

النص الكامل  
مجموعة القصص القصيرة باللغة العربية

# انغاثا كريستي



## تَحْرِيَّاتُ بَارْكَرِ بَايْنِ

مجموعة قصص قصيرة



الأجيال  
للترجمة والنشر  
AL-AJIAL PUBLISHERS



# Agatha Christie



Parker Pyne  
Investigates

## تَحْرِيَّاتِ بَارَكِر بَايِن

أَحْسَبَتِ السَّيِّدَةُ بِالْيَاسِ وَالْأَسَى، وَلَكِنْ حَيَاتُهَا انْقَلَبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ بَعْدَمَا قَرَأَتْ فِي الصَّحِيفَةِ إِعْلَانًا يَقُولُ: «هَلْ أَنْتِ سَعِيدَةٌ؟ إِنْ لَمْ تُكُنْ كَذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِاسْتِشَارَةِ السَّيِّدِ بَارَكِر بَايِن».

مَنْ هُوَ السَّيِّدُ بَارَكِر بَايِن الَّذِي يَسْتَشِيرُهُ الْيَاسُونُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَشْكَلاتِ؟

إِنَّهُ أَبْعَدُ الْمُحَقِّقِينَ وَرِجَالِ التَّحْرِيرِ عَنِ الْمَالُوفِ، وَلَكِنَّهُ -بِالتَّأَكُّدِ- الْأَكْثَرُ نَاقِلًا وَنَجَاحًا وَغَرَابَةً!

رِوَايَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ رِوَايَاتِ الْكَاتِبَةِ الْعَمَلَاءَةِ الَّتِي تُعْتَبَرُ أَكْثَرُ مَوْفُوفَةٍ فِي التَّارِيخِ مِنْ حَيْثُ اتِّسَاعُ كِتَابَتِهَا وَعَدَدُ مَا يَبِيعُ مِنْهَا مِنْ نَسَخٍ، وَهِيَ «بِلَا جِدَالٍ» أَشْهُرُ مِنْ كِتَابِ قِصَصِ الْجَرِيمَةِ فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِينَ وَفِي سَائِرِ الْعُصُورِ. وَقَدْ تُرْجِمَتْ رِوَايَاتُهَا إِلَى مَعْظَمِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ، وَقَارِبِ عَدَدِ مَا طُبِعَ مِنْهَا أَلْفَي مِائَةِ نَسْخَةٍ!



رَقْمُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ حَسَبَ تَرْتِيبِ  
صُدُورِ الرِّوَايَاتِ بِالْإِنْكِلِيزِيَّةِ

٢٢

## قضية الجندي السّئم

تردد الميجر ويلبراهام خارج باب مكتب السيد باركر باين ليقرأ، كما قرأ مراراً من قبل، الإعلان الذي قرأه في صحيفة الصباح والذي أحضره إلى هنا. كان إعلاناً بسيطاً تماماً: 'هل أنت سعيد؟ إن لم تكن سعيداً فاستشر السيد باركر باين، ١٧ شارع رينشمووند'.

سحب الميجر نفساً عميقاً ودخل من الباب الدوار المؤدي إلى المكتب الخارجي، فرفعت فتاة دميمة بصرها عن آلة الطباعة ونظرت إليه متسائلة.

قال الميجر ويلبراهام وقد احمر وجهه: مكتب السيد باركر باين؟

- تفضل من هنا رجاء.

نعمها إلى مكتب داخلي... إلى حضرة السيد الهادي باركر باين، الذي بادره قائلاً: صباح الخير. هل لك أن تفضل بالجلوس؟  
والآن، قل لي ما الذي بمكتبي أن أفعله من أجلك.

بدأ الرجل حديثه: اسمي هو ويلبراهام...

- ميجر؟ أم كولونيل؟

- بل ميجر.



- أه! وقد عُدتْ مؤخرًا من الخارج. الهند؟ أم شرق أفريقيا؟

- بل شرق أفريقيا.

- أظنها مكانًا رائعًا. حسنًا، فقد عدتْ ثانية إلى الوطن إذن، وأنت غير مرتاح لذلك. أليست هذه هي المشكلة؟

- أنت مُحقٌّ تمامًا، مع أنني لا أعرف كيف عرفت.

لوح السيد باركر باين بيد مؤثرة وقال: إن عملي هو أن أعرف؛ فلمدة خمسة وثلاثين عامًا من حياتي كنتُ أعمل في جمع الإحصائيات في مكتب حكومي. وقد تقاعدتُ الآن، وخطر لي أن أستخدم الخبرة التي حصلتُ عليها بطريقة مبتكرة. والأمر كله بسيط جدًا. أؤكد لك أن النعاسة يمكن تصنيفها تحت خمسة عناوين كبيرة، لا أكثر، وبمجرد أن تعرف سبب المرض لا يعود العلاج مستحيلًا.

إنني أقوم مقام الطبيب؛ فالطبيب يشخص علة مريضه أولاً، ثم يصف طريقة علاج. وهناك حالات لا يكون فيها العلاج ذا فائدة، وإذا كان الأمر كذلك فإنني أقول -بصرامة- إنني لا أستطيع فعل شيء، أما إن توليتُ القضية فإن العلاج يكون مضمونًا عمليًا.

إن بوسعي أن أؤكد لك -يا مينيغر ويلبراهام- أن ستة وتسعين بالمئة من بُناة الإمبراطورية (كما أسميتهم) نساء. إنهم يتخلون عن حياة نشيطة، حياة مليئة بالمسؤولية، حياة ذات أخطار مُحتملة، يتخلون عنها مقابل... ماذا؟ مقابل فقر، وطقس سيء، وشعور عام بأنهم كالسمكة خارج الماء.

قال الميجر: كل ما قلته صحيح. إن ما أشكو منه هو الملل،

الملل والكلام التائه الذي لا ينتهي حول شؤون القرية. ولكن ما الذي أستطيع فعله إزاء ذلك؟ لدي مبلغ صغير من المال بالإضافة إلى راتبي التقاعدي، ولدي بيت صغير رائع قرب كويهام، ولستُ متزوجًا. وجيراني جميعهم طيبون، ولكن ليست لديهم اهتمامات ذات شأن.

- خلاصة القول أنك تجد الحياة مملة.

- مملة جدًا.

- وأنت ترغب بالمتعة، وربما بالخطر؟

رفع العسكري كتفيه بلا مبالاة وقال: لا وجود لشيء من هذا في هذا البلد التمس.

قال السيد باركر باين بجديّة: أعذرني، ولكنك مخطئ في هذا؛ إذ يوجد الكثير من الخطر والكثير من التشويق هنا في لندن إن عرف المرء أين يطلعه. أنت لم ترِ إلا السطح من حياتنا الإنكليزية، السطح الهادئ المستع. ولكن يوجد جانب آخر، وإن كنت ترغب لأن بوسعي أن أريك ذلك الجانب الآخر.

نظر إليه الميجر ويلبراهام متأملًا. كان في السيد باركر باين شيء يبعث على الاطمئنان. كان رجلًا ضخمًا، ناهيك عن سمته، وكان ذا رأس أصلع ضخم ويضع نظارات سمكة فوق عينيه اللتين ترمشان باستمرار. وكان له جوٌ يعطي انطباعًا بأنه ممن يُعتدّ عليهم.

مضى السيد باركر باين قائلًا: غير أن عليّ أن أحذرك من أن في الأمر عنصر مجازفة.

الشمعت عينا العسكري وقال: "لا بأس بذلك". ثم قال فجأة:  
وأنتابك؟

- أتعايني هي خمسون جنيهاً تُدفع مقدماً. وخلال شهر، إذا ما  
بقيت في نفس الحالة من الملل سأعيد إليك المبلغ.

فكر ويلبراهام قليلاً ثم قال أخيراً: عرض مُنصف... موافق.  
سأعطيك شيكاً الآن.

وهكذا أبرمت الصفقة، وضغط السيد باركر باين على جرس  
على طاولته وقال: الساعة الآن الواحدة، وسأطلب منك أن تأخذ  
شاية لتناول الغداء.

فُتح الباب فقال السيد باركر باين: أه، عزيزتي مادلين! دعيني  
أعرفك على الميجر ويلبراهام الذي سيصحبك إلى الغداء.

قال الميجر: يسرني ذلك.

قال السيد باركر باين: الأکسة دي سارا.

تمتعت مادلين دي سارا: هذا لطف بالغ منك.

قال السيد باركر باين مخاطباً الميجر: لديّ عنوانك هنا،  
وستستلم غداً صباحاً تعليمات إضافية مني.

\*\*\*

كانت الساعة الثالثة عندما عادت مادلين. وقع السيد باركر باين  
بصره وسأل: حسناً، ماذا جرى؟

هزت مادلين رأسها وقالت: لقد خاف مني! لقد ظن أنني  
أستهدف استغلاله.

- هذا ما توقعتُ. هل نقّدت تعليماتي؟

- نعم - لقد أخذنا راحتنا في التعليق على من كان حولنا في  
المطعم. إن النوع الذي يحبه هو الشراء ذات العينين الزرقاوين، مع  
شيء من الشحوب، دون أن تكون بالغة الطول.

- يُفترض أن يكون هذا سهلاً. أعطيتني الخطة وبه لأرى ما  
لدينا من خيارات في الوقت الراهن.

ومرر إصبعه نزولاً على إحدى القوائم حتى أوقفها أخيراً على  
اسم وقال: "فريدا كليغ". نعم، أظن أن فريدا ستقوم بالمهمة بشكل  
رائع. ثم أضاف قائلاً بشيء من التأمل: يُستحسن أن أرى السيدة  
أوليفر بخصوص الأمر.

\*\*\*

في اليوم التالي تلقى الميجر ويلبراهام رسالة جاء فيها:

في الساعة التاسعة من يوم الإثنين القادم اذهب إلى المنزل رقم  
٨٩، شارع فرايزر لين، هامبستد، واسأل عن السيد جونز. وسوف  
تقدم نفسك باعتبارك قادمًا من شركة غوافا للشحن.

\*\*\*

انطلق الميجر يوم الإثنين الذي تلا ذلك (وكان يوم عطلة)

قاصداً ذلك العنوان في هامبستد. وأقول إنه انطلق، ولكنه لم يصل إلى هناك أبداً؛ إذ حدث شيء قبل أن يصل إلى هناك.

يبدو أن العالم كله كان في طريقه إلى هامبستد، وقد علق الميجر ويلبراهام ضمن حشود، وكاد الازدحام في قطار الأنفاق أن يخنقه، ووجد صعوبة في العبور على المكان. كان فرايزر لين شارعاً متعلقاً مهملًا تملؤه الجردان، على جانبيه بيوت ابتعدت قليلاً عن الطريق إلى الخلف. كانت بيوتاً كبيرة شهدت فيما مضى أياماً أفضل من أيامها هذه، إلا أنها باتت خربة الآن.

مشى ويلبراهام في الشارع يحدق النظر إلى لوحات الأرقام التي أوشكت أن تمنحي عن بوابات البيوت، وفجأة سمع شيئاً جعله يتصلب بكل انتباه. كان الصوت أقرب إلى الغرغرة؛ صوت صحيحة نصف مختنقة. ثم سمع الصوت ثانية، ولكنه في هذه المرة كاد يشبه كلمة «التجدة»، وقد جاء الصوت من داخل البيت الذي كان يمر أمامه.

ودون أية لحظة تردد دفع الميجر ويلبراهام بوابة البيت المُخْلَعَة وتسلسل من دون صوت عبر الممشى المغطى بالأعشاب، وهناك، بين الشجيرات، كانت فتاة تكافح وهي في قبضة عملاقين من الزنوج. كانت تبلي بلاء حسناً في مقاومتها وتقاوم وتضرب بقدميها، وكان أحد الزنوجين يكتم فيها يديه رغم محاولاتها المسميتة لتخليص رأسها.

وبما أن الرجلين كانا متصرفين إلى صراعهما مع الفتاة فإنهما لم يتبها لتقدم ويلبراهام، وكان أول انتباههما لذلك عندما وجه الميجر لكمة عنيفة لفك الرجل المنسك بتم الفتاة مما جعله يتراجع إلى

الخلف. وقام الثاني، وقد أخذته المفاجأة، بترك الفتاة والانفلات ولكن ويلبراهام كان مستعداً له فعاجله بلكمة أخرى جعلته يتراجع ويسقط، ثم التفت الميجر إلى الرجل الآخر الذي كان يقترب منه.

ولكن الرجلين نالا نصيبهما، تدرج الرجل الثاني وجلس ثم لهض واندفع باتجاه البوابة، ولحق به صاحبه سريعاً. وانطلق الميجر خلفهما، ثم غير رأيه والتفت إلى الفتاة التي كانت متكئة على شجرة وهي تلهث.

قالت لاهنة: آه، شكراً لك! كان ذلك قطعياً.

رأى الميجر ويلبراهام للمرة الأولى الفتاة التي أنقذها بمنحصر المصادقة. كانت في نحو الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين من عمرها، شقرها زرقاء العينين، جميلة مع شيء من الشحوب في وجهها.

شهقت قائلة: لو لم تأت!

قال الميجر مُهْذَفاً: هيا، هيا، لا بأس الآن. ولكن أظن أن من الأفضل أن نخرج من هنا؛ فمن الممكن أن يعود هذان الرجلان.

ارتسمت على شفهي الفتاة ابتسامة خفيفة وقالت: لا أظنهما سيعودان... ليس بعدما لقياء منك. لقد كان ذلك رائعاً منك!

احمر وجه الميجر أمام حراوة نظرة الإعجاب في عينيها وقال بارتباك: لا يوجد ما يستحق ذلك. إنه أمر طبيعي تماماً... عندما تنتم مضايقة سيده. اسمعي، هل تستطيعين السير إذا اتكأت على ذراعي؟ أعرف أنها كانت صدمة شديدة عليك.



- إنني بخير الآن.

ومع ذلك فقد انكأَت على الذراع التي مَدَّتْ لها. كانت ما تزال مضطربة قليلاً، ونظرت خلفها إلى البيت وهما يخرجان من البوابة وقالت: لا يمكنني تخيل ذلك. من الواضح أن هذا البيت خالٍ.

واقفها الميجر وهو ينظر إلى النوافذ المحطمة والبلى الذي لحق بالبيت: إنه خالٍ بالتأكيد.

قالت وهي تشير إلى اسم كاد يتمحي عند البوابة: ومع ذلك فهو منزل وايت فرايزر، وهو المكان الذي يُتَرَضَّ أن آتي إليه.

- لا تقلقي تجاه أي شيء الآن. بعد لحظات سيكون بوسعنا استئجار سيارة أجرة، وعندها سنذهب إلى مكان ما ونشرب فنجان قهوة.

وعند نهاية الزقاق خرجا إلى شارع أكثر حركة، ولحسن حظهما كانت سيارة أجرة قد أُنْزِلَتْ لنوها راكباً عند أحد البيوت. لَوَّحَ لها ويلبراهام، ثم أعطى السائق عنواناً وصعدا السيارة.

قال لرفيقته: لا تحاولي الكلام، تمددي فقط. لقد تعرضت لتجربة فظيعة.

ابتسمت له بامتنان، فقال: بالمناسبة، اسمي ويلبراهام.

- اسمي كلينغ... فريدا كلينغ.

بعد عشر دقائق كانت فريدا كلينغ تحسني قهوة حارة وتنتظر غير الطاولات الصغيرة إلى منفذها بامتنان. قالت: يبدو الأمر أشبه بالحلم، بل بالحلم السيء.

ارتعدت ثم أضافت: وقبل فترة قصيرة فقط كنتُ أتوق إلى حدوث شيء... أي شيء! آه، إنني لا أحب المغامرات.

- أخبريني كيف حدث ذلك.

- حسناً، حتى أخبرك بشكل جيد سيتعين عليّ أن أتحدث كثيراً عن نفسي.

قال الميجر وهو ينحني: وهو موضوع ممتاز.

- أنا يثيمة. مات والدي (وكان قبطاناً بحرياً) عندما كنتُ في الثامنة من عمري، وتوفيت أُمِّي قبل ثلاث سنوات. وأنا أعمل في المدينة... موظفة في شركة للغاز. في إحدى أمسيات الأسبوع الماضي وجدتُ رجلاً ينتظر ليراني عندما عدتُ إلى بيتي، وكان محامياً يُدعى السيد ريد من مليون.

وقد كان مؤدياً جداً وسألني عدة أسئلة عن عائلتي، وقد شرح قائلاً إنه عرف والدي قبل سنوات كثيرة، بل إنه قام بتنفيذ صفقة قانونية له. ثم أخبرني بسبب زيارته فقال: "آنسة كلينغ، إن لديّ أسباباً تدعوني للاعتقاد بأنك قد تستقيدين من صفقة مالية اشترك فيها أبوك قبل وفاته بسنوات عديدة". وقد ذهبتُ كثيراً بالطبع، ولكنه مضى قائلاً: من غير المحتمل أن تكوني قد سمعتِ بهذه القضية أبداً، وأحسب أن جون كلينغ لم يأخذ تلك الصفقة على محمل الجد أبداً، وقد تحققت على غير توقع. ولكنني أخشى أن تعتمد أية مطالبة تقدمينها على امتلاكك أوراقاً معينة. ويحتمل أن تكون هذه الأوراق جزءاً من تركة والدك، ومن الممكن -طبعاً- أن تكون قد أُلْتُفِتَ باعتبارها غير ذات قيمة. فهل احتفظتِ بأيّ من أوراق والدك؟

شرحت له أن والذي قد احتفظت بالعديد من أغراض والذي في صندوق قديم، وأنتي قد بحثت فيه على عمل ولكن لم أكتشف شيئاً ذا أهمية، فقال لي وهو يبتسم: لا يكاد يكون من المرجح أن تدركي أهمية تلك الوثائق.

عندها قمّت فذهبت إلى الصندوق فأخرجت منه الأوراق القليلة التي يحتويها وجئت بها إليه. نظر إلى الأوراق، ولكنه قال إنه من المستحيل أن يستطيع الجزم فوراً بما هو مرتبط منها بالقضية وما هو غير مرتبط، وقال إنه سيأخذها معه وسيصل بي إن جدّ شيء. وفي البريد المسائي ليوم السبت تلقيت منه رسالة يقترح فيها عليّ أن آتي إلى بيته لمناقشة القضية، وقد أعطاني العنوان: منزل وايت فرايرز، بشارع فرايرز لين، في هامبستد. على أن أكون هناك في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم.

وقد تأخرت قليلاً في العثور على المكان، ودخلت البوابة بسرعة واتجهت صوب البيت حيث قفز هذان الرجلان الفظيعان فجأة عليّ من بين الأغصان. ولم يتح لي من الوقت ما أصرخ معه، ولكنني خلصتُ رأسي بصعوبة وصرخت، فقام أحدهما بوضع يده على فمي. وخلصتُ رأسي ثانية وصرخت طالبة النجدة، ولحسن الحظ أنك سمعته، ولولاك...

ثم توقفت، وكانت عينها أفصح من أي كلام.

- إنني سعيد جداً لمصادفة وجودي في ذلك المكان بالضبط، وإني لأتمنى أن أمسك بهذين الوحشين. هل رأيتهما من قبل؟

هزت رأسها بالنفي وقالت: ما معنى ذلك برأيك؟

- من الصعب الجزم، ولكن يبدو شيء واحد مؤكداً: يوجد شيء ما بين أوراق أبيك، وأحدهم يريد، لقد أخبرك هذا الرجل، ريد، بقصة ملققة بحيث يحصل على فرصة تفتيش الوثائق. والواضح أن ما أراده لم يكن هناك.

- آه، عجباً عندما عدت إلى البيت يوم السبت ظننت أن أحدهم قد عبت بأغراضي، والصرخة أنني شككت بأن صاحبة البيت فتشت غرقي بدافع الفضول، ولكن الآن....

- نقي بما أقوله، تلك هي المسألة. لقد استطاع أحدهم دخول طرفك وقام بتفتيشها دون أن يجد مبتغاه، وقد شك بأنك تعرفين قيمة تلك الورقة كأنها ما كانت وأنتك تحملينها معك دوماً، وهكذا خلطت لهذا الكمين. فإن وُجدت معك أخذوها، وإن لم توجد احتفظوا بك سجيبة حتى تخبرهم بمكانها.

صاحت قريداً: ولكن ما عساها تكون؟

- لا أدري، ولكنها ثمينة جداً بالنسبة له دون شك، حتى يبلغ به الأمر القيام بكل ذلك.

- لا يبدو هذا ممكناً.

- آه، لا أدري. لقد كان والدك بحاراً، وقد سافر إلى أماكن بعيدة نائية، ربما عثر على شيء لم يدرك قيمته أبداً.

ظهرت حمرة الانفعال على وجنتي الفتاة وقالت: أنظرن ذلك حقاً؟

- نعم، بالتأكيد. المسألة هي: فما الذي ستفعله الآن؟...  
لا أحسبك تريدان اللجوء للشرطة؟

- آه، لا أريد ذلك رجاء.

- يسعدني أن تقول لي ذلك؛ فأنا لا أرى ما يمكن أن يفعله الشرطة، ولن يسبب لك ذلك إلا المضايقة. أقترح الآن أن نسمحي لي بأن أدعوك إلى الغداء، ثم أرافقك إلى بيتك لأضمن وصولك بأمان إلى هناك، ويعدّها يمكننا أن نبحث عن الورقة؛ لأنها ينبغي أن تكون موجودة في مكان ما.

- ربما يكون والذي نفسه قد أنقذها.

- هذا ممكن بالطبع، ولكن الطرف الآخر لا يبدو مقتنعاً بذلك، وهذا يحمل لنا بعض الأمل.

- ماذا تفعلنا نكون؟ كنزاً مدفوناً؟

هفت الميجر وقد استيقظت فيه مشاعر المغامرة لهذا الاقتراح: قد تكون كذلك! ولكن هيا الآن إلى الغداء يا آتسه كليغ.

تناولا وجبة دافئة معاً، وروى الميجر لها كل شيء عن حياته في شرق أفريقيا واصفاً لها صيد الفيلة، بحيث أثار متعتها. وعندما فرغا من طعامهما أصرّ على أخذها إلى البيت بسيارة أجرة.

كان منزل الفتاة قرب نوتينغ هيل غيث، ولدى وصولهما إلى هناك أجرت فريدا حديثاً قصيراً مع صاحبة البيت، ثم عادت إلى الميجر. ويلبراهام وأخذته إلى الطابق الثاني حيث كانت لها غرفة نوم

وغرفة جلوس صغيرتان. قالت: إن الأمر كما ظنناه تماماً؛ لقد جاء رجل صباح يوم السبت ليشرف على تمديد سلك كهربائي جديد وأخبرها بوجود خطأ في تمديدات الأسلاك في غرفتي، وقد بقي هناك لفترة لا بأس بها.

قال ويلبراهام: أريني صندوق والدك.

أرته فريدا صندوقاً مرسعاً بالنحاس، وقالت وهي ترفع غطاءه: هل نرى؟ إنه فارغ.

أوما العسكري برأسه متأملاً وقال: ألا توجد أوراق في أي مكان آخر؟

- لا أظن؛ لقد احتفظت أُمّي بكل شيء هنا.

تفحص الميجر داخل الصندوق، وفجأة أطلق صيحة انفعال وهو يقول: 'ههنا فتحة في البطانة'. ثم أدخل يده بحذر وتلمس داخل الفتحة، وما لبث أن قال: لقد دُسر شيء هنا.

وسرعان ما أخرج لُقيته، وكانت ورقة قدرة تم طيها عدة مرات، مشدّها على الطاولة وفريدا تنظر من ورائه، ثم هفت بخيبة أمل: إنها مجرد علامات غريبة.

صاح الميجر ويلبراهام: عجباً، إنها مكتوبة باللغة السواحلية، بالسواحلية، من بين كل لغات الأرض؟! إنها لهجة سكان شرق أفريقيا.

- ما أغرب ذلك! هل نستطيع قراءتها إذن؟



قال: إلى حد ما، يا له من أمر مدهش!

ثم أخذ الورقة إلى قرب النافذة، فسألته فريدا بصوت مرتعش:  
هل تعني شيئاً؟

فرا الميجر الورقة بشبعن، ثم عاد إلى الفتاة وقال متبسماً:  
حسناً، هذا هو كترك السخيو بالتاكيد.

- كتر محبوب؟ حقيقة؟ أتعني أنه ذهب إسباني... سفينة ذهب  
غارفة... شيء كهذا؟

- ربما لا يكون الأمر على هذا القدر من الرومانسية، ولكنه  
نفس الشيء في النهاية، إن هذه الورقة تبين مخبأ كتر من العاج.

قالت الفتاة بدهشة: العاج؟

- نعم، من الفيلة كما تعلمين. يوجد قانون يحدد العدد الذي  
يمكنك اصطيلاده منها، وقد تجح صياد ما في اصطلياد أعداد كبيرة  
والنجاحة بفعلته. وحين تعقبوه دفن ما لديه من عاج... كمية هائلة منه.  
وهذه الورقة تعطي فكرة واضحة تماماً عن كيفية العثور على المكان  
اصطليح، سيكون علينا أن نتبع هذا الأمر، أنا وأنت.

- أتعني أنه يوجد -حقاً- مال كثير في هذا الأمر؟

- توجد ثروة لا بأس بها لك.

- ولكن كيف جاءت هذه الورقة لتصبح بين أوراق أبي؟

رفع الميجر كتفيه خيرة وقال: ربما كان ذلك الصياد يحتضر

مثلاً... وربما كان قد كتب هذه الورقة باللغة السواحلية من باب  
الحماية وأعطاهم لوالدك الذي ربما كان قد صادقه بشكل ما، وربما  
أن والدك لم يكن يوسعه قراءتها فإنه لم يعلق عليها أهمية كبيرة. هذا  
مجرد تخمين مني، ولكن لا أظنه تخميناً مستبعداً جداً.

تحدثت فريدا وقالت: يا له من أمر مشير جداً!

- السؤال الآن: ما الذي تفعله بالوثيقة البنية: لا أحب تركها  
هنا، وربما عادوا ليبحثوا من جديد. لا أحسبك تأتمنيني عليها؟

- بل أفعل بالطبع، ولكن ألا يمكن أن يكون ذلك خطيراً  
عليك؟

قال الميجر متجهماً: "إنني شديد التمراس، لا حاجة لأن تقلقي  
عليّ"، ثم طوى الورقة ووضعها في محفظته وقال: هل أستطيع القدوم  
لوربتك مساء غداً؟ سأكون قد وضعت عندها خطة، وسأدقق في  
الأماكن على خريطةي. في أية ساعة تعودين من المدينة؟

- أعود في نحو السادسة والنصف.

- عظيم. وسوف نتناقش عندها في الأمر، وربما سمحت لي  
باصطحابك إلى العشاء. علينا أن نحتفل بهذا الأمر. وداعاً إذن، غداً  
في السادسة والنصف.

\* \* \*

في اليوم التالي وصل الميجر في الوقت المحدد تماماً. وإن

جريس البيت وسأل عن الأنسة كليغ. وقد فتحت له الباب خادمة  
وقالت: الأنسة كليغ؟ إنها ليست هنا.

لم يشأ الميجر ويلبراهام أن يقترح الدخول لانتظارها، بل قال:  
سأعود بعد قليل.

تجول في الشارع المقابل متوقفاً - في كل لحظة - أن تتقدم منه  
قريداً. وسرت العقائد: السابعة، الأربعة، السابعة، السابعة والربع،  
ولم تأت قريداً. اجتاحه شعور بعدم الارتياح، فعاد إلى البيت وقرع  
الجرس ثانية.

- اسمعي. لدي موعده مع الأنسة كليغ في السادسة والنصف.  
ألئت وافقة أنها ليست في الداخل، أو أنها لم... ثم ترك ملاحظة؟

سألت الخادمة: ألئت الميجر ويلبراهام؟

- نعم.

- معي رسالة لك. لقد جاءت باليد.

أخذت الرسالة وقرأها:

عزيزي الميجر ويلبراهام،

لقد حدث شيء غريب بعض الشيء. إن أكتيب النزيذ  
الآن، ولكن هل لك أن تقابلني في منزلك وايت فرايرز؟  
اذذهب إلى هناك بمجرد حصولك على هذه الرسالة.

المختصة: فريدا كليغ

قطب الميجر ويلبراهام جيته وهو يفكر بسرعة، ثم امتدت  
يده بشروء فأخرجت رسالة من جيبه وقال للخادمة: هل يمكنك  
الحصول لي على طابع؟

- أحسب أن السيدة باركنز قد تفيدك في ذلك.

لم عادت بعد دقيقة ومعها طابع دفع الميجر ثمنه شيئاً، وبعد  
دقيقة أخرى كان الميجر يمشي باتجاه محطة قطار الأنفاق حيث وضع  
الرسالة في صندوق بريدي. لدى مروره.

أشعرته رسالة فريدا بعدم ارتياح شديد. ما الذي يمكن أن يأخذ  
اللفظ بمفردها إلى مسرح المواجهة المخيفة التي جرت بالأمس؟ هل  
رأسه حيرة. يا له من نصرف أحمق! هل ظهر ريد؟ هل نجح بشكل  
أو بأخر في جعل الفتاة تثق به؟ ما الذي أخذهما إلى هامبستد؟

نظر إلى ساعته فوجد أنها تقارب السابعة والنصف. من شأنها  
أن تكون قد اعتمدت على انطلاقه إليها في السادسة والنصف. أي  
أن هناك ساعة كاملة من التأخير، وهي فترة طويلة. لو كان لديها من  
الحكمة ما يجعلها تعطيه لمحة عن الأمر!

حيرته الرسالة، وشعر - على نحو ما - بأن تيرة الاستقلالية فيها  
لم تكن من صفات فريدا كليغ.

كانت الساعة قد بلغت الثامنة إلا عشر دقائق عندما وصل إلى  
فرايرز لين، وكان الظلام قد بدأ يخيم. نظر بحدو حوله، فلم يجد  
أحد. دفع البوابة المتخلعة بهدوء بحيث الفتحت دون صوت. كان  
الممر خالياً، والبيت مظلماً، مشى في الممر بحذر وهو ينظر إلى



جانيه، إذ لم يكن ينبغي أن يؤخذ على حين غرة.

وفجأة توقف، فللمحظة قصيرة فقط ظهرت النجاعة ضوء من خلال إحدى النوافذ. فاليبت لم يكن فارغاً إذن! كان أحدهم في الداخل.

تسلل الميجر ويلبراهام يهدوء بين الأغصان وشرق طريقة إلى مؤخرة المنزل، وفي النهاية عثر على ما كان يبحث عنه. كانت إحدى نوافذ الطابق الأرضي غير مغلقة، وكانت نافذة تبدو وكأنها تعرفه الأواني الملحقة بالمطبخ. فتح النافذة وأضاء مصباحاً كهربائياً يدوياً (كان قد اشتراه من محل عند قدميه) وسلط الضوء على داخل الغرفة المهجورة، ثم تسبق قدسها.

فتح باب الغرفة بكل حذر وأصغى، فلم يسمع شيئاً، وأضاء المصباح ثانية فوجد مطبخاً فارغاً. وخارج المطبخ كانت هناك بضع درجات، وباب بدا واضحاً أنه يؤدي إلى القسم الأمامي من المنزل.

فتح الباب وأصغى، فلم يسمع شيئاً. مشى بهدوء حتى أصبح الآن في الصالة الأمامية، ولم يكن هناك أيضاً أي صوت. كان هناك بابان أحدهما إلى يمينه والآخر إلى شماله. وقد اختار الباب الأيمن فأصغى عنده للحظة ثم أدار قبضته فانفتحت، فقام بفتح الباب ببطء شديد ثم دخل.

وأضاء المصباح ثانية فوجد الغرفة فارغة لا أثاث فيها... وفي تلك اللحظة بالذات سمع صوتاً خلفه فانفتحت... ولكن الوقت كان متأخراً. نزل شيء ما على رأسه فسقط على الأرض مغشياً عليه.

لم يعرف الميجر ويلبراهام كم مر عليه من الوقت قبل أن يستعيد وعيه، ولكنه عاد إلى الحياة متألماً موجوع الرأس. وحاول التحرك ولكنه وجد ذلك مستحيلاً؛ فقد كان مربوطاً بالحبال.

وفجأة عاد له رشده. وتذكر أنه قد ضرب على رأسه. وأظهر له ضوء خافت ينبعث من مصباح زيتي في أعلى الجدار أنه كان في لير صغير. نظر حوله فقفز قلبه، فعلى بعد خطوتين منه كانت فريدا مرموطة مثله، مغمضة العينين، ولكنها نهذت وهو ينظر إليها بلهفة وفتحت عينيها. وقعت نظرتها المذعورة عليه فقفزت إلى عينيها نظرة فرح وتعرف، وقالت: أنت أيضاً ما الذي حدث؟

لقد عدلتك. أيما خذلان! سمعت مباشرة جتي. وقعت في اللع، أخبرني، هل تركت لي ملاحظة تملين فيها أن ألتيك هنا؟

انفتحت عينا الفتاة دهشة وقالت: أنا؟ أنت من أرسل لي ملاحظة!

- آه، هكذا إذن؟

- نعم، تلقيتها في المكتب، وقد طلبت مني لقاءك هنا بدل بيبي.

دمدم قائلاً: أتيت نفس الطريقة معنا نحن الاثنين.

ثم شرح لها الموقف، فقالت: فهمت، فقد كانت الفكرة إذن...

- الحصول على الورقة... لا بد أننا كنا ملحقين بالأمس، وهكذا نالوا مني.

- وهل... حصلوا عليها؟

قال العسكري وهو ينظر بحزن إلى يديه المقيدتين: لا أستطيع مد يدي للتأكد من ذلك مع الأسف.

بعد ذلك جفل الاثنان؛ فقد تكلم صوت، صوت بدا أنه قادم من الفراغ. قال الصوت: نعم، شكراً لكم. لقد حصلتُ عليها، بكل تأكيد.

جعلهما الصوت الخفي يرتعدان، وتبسمت فريدا: السيد ريد.

قال الصوت: ريد هو واحد من أسمائي يا فتاتي العزيزة... ولكنه واحد منها فقط؛ قلدي من الأسماء الكثير. والآن يؤسفني القول إنكما قد تدخلتما في خططي... وهو أمر لا أسمح به أبداً. إن اكتشافكما هذا البيت قضية خطيرة، إنكما لم تُخبرا الشرطة عن ذلك، ولكنكما قد تعلمان ذلك في المستقبل. أخشى أن لا أستطيع الثقة بكما في هذه المسألة. ربما وعدتما بالزمام الضممت، ولكن الوعود نادراً ما تُحترم. وهذا البيت مفيد جداً بالنسبة لي. يوسعكما تسميته «بيت التصفية»... البيت الذي لا عودة منه. فمن هنا تنتقلان إلى... عالم آخر. وبؤسفي القول إنكما ستنتقلان إلى ذلك العالم، وهو أمر مؤسف... ولكنه ضروري.

سكت الصوت لحظة ثم تابع يقول: لا إزافة دماء؛ فأنا أمتعت إزافة الدماء. طريفتي أبسط بكثير، وهي حقاً ليست مؤلمة جداً كما فهمت. حسناً، ينبغي أن أذهب. طاب مساءكم.

صاح ويلزيهام: اسمعني! أفعل بي ما تشاء، ولكن هذه الفتاة

لم تفعل شيئاً... أبداً، لا يمكن أن يؤذيك إطلاق سراحها.

ولكن لم يكن ثمة جواب. وفي تلك اللحظة انطلقت صرخة من فريدا: الماء... الماء!

التفت ويلزيهام متألماً ونظر إلى حيث تنظر فريدا، فرأى فتحة عند السقف ينصب منها الماء بلا انقطاع.

صاحت فريدا بجنون: إنهم سيغرقونا!

تبلل جبين ويلزيهام بالعرق وقال: لم ينته أمرنا بعد؛ منصرفاً طلباً للتجدة. لا بد أن يسمعت أحد. هيا، تصرخ معاً.

صرخا بكل ما أوتيا من قوة، ولم يسكتا حتى تبع صوتاهما. قال الميجر بحزن: أخشى أنه لا فائدة؛ فنحن تحت الأرض، وأظن أن الأبواب محكمة الإغلاق، ولو كان بالإمكان سماعنا لكتم ذلك الوحش أفواهنا دون ريب.

صاحت فريدا: والغلظة غلظتي؟ فأنا التي ووطنتك في هذا الأمر.

- لا تقلقي بشأن ذلك يا طفلي، إنك أنت ما أفكر به الآن. لقد وقعت في مأزق كثيرة من قبل وخرجت منها... لا تفقدني شجاعتك؛ سأخرجك من هذه الورطة... لدينا الكثير من الوقت؛ فحسب معدل دخول هذه الحياة سنتميز ساعات قبل حدوث أي مكروه.

- كم أنت رائع! أنا لم أقابل مثلك أبداً... إلا في الروايات.

- هراً... إنه المثلث فقط. والآن، علي أن أترك هذه الحبال.

طوقها بقراعيه وقال: يا خبيثي المسكينة! لقد كتبت شجاعة بشكل رائع. فريدا... هل لك... اعني هل يمكنكك... انني احبك يا فريدا. هل تتزوجيني؟

وبعد فترة صمت مناسبة ومُرضية كثيراً لكلا الطرفين قال الميجر ويلبرهام ضاحكاً: وفوق ذلك فلا يزال أمامنا سر العاج.

ولكنهم أخذوا الورقة منك!

ضحك الميجر ثانية وقال: هذا ما لم يفعلوه أبداً! فقد كتبت نسخة زائفة من الرسالة، وقبل أن أتى إليك هنا هذه الليلة وضعت الرسالة الحقيقية في رسالة ووضعتها في صندوق البريد. لقد حصلوا على النسخة الزائفة... وأتمنى لهم كل سعادة بها! اتعلمين ماذا سنفعل يا خبيثي؟ سنذهب إلى شرق أفريقيا لنقضاء شهر عسلنا وللمبحث عن الكنز.

\*\*\*

غادر السيد باركر باين مكتبه وصعد درجاً، وفي غرفة في أعلى العيني جلست السيدة أوليفر، كاتبة الروايات المشيرة التي أصبحت الآن واحدة من موظفي السيد باركر باين.

فرع السيد باركر باين الباب ودخل. كانت السيدة أوليفر تجلس على طاولة عليها آلة طباعة، وعدة دفاتر ملاحظات، وغوضى شديدة من المخطوطات، وسلة كبيرة من التفاح.

قال لها السيد باركر باين بمودة: كانت قصة جيدة جداً يا سيدة أوليفر.

وبعد نحو ربع ساعة وكثير من الجهد شعر ويلبرهام بأن قيوده تحللت إلى حدٍ مقبول، ثم تسكن من إحنا رأسه ورفع رسفيه ليهاجم عُقد التحل بأسنانه، وبمجرد أن أصبحت يدها طليقتين أصبح ما تبقى مسألة وقت فقط. كان جسمه قد تشنج وتصلب، ولكنه تحرر من الحبال وانكب على الفتاة، وبعد لحظة كانت قد تحررت هي الأخرى.

لم يكن الماء قد بلغ إلا كاحليهما حتى الآن. قال العسكري: والآن، إلى الخروج من هنا.

كان باب القبو في أعلى درج صغير، فضغصه الميجر وقال: لا توجد صعوبة هنا؛ فهو باب أخرق الصنع ولن يلبث أن يتخلع من مفاصله.

وضع عليه كتفه وأخذ يدفع. طلق الخشب، ثم سمع صوت ارتطام، واتخلع الباب من مفاصله.

كان في الخارج درج في أعلاه باب آخر... باب مختلف تماماً، من الخشب القوي وقضبان الحديد.

قال الميجر ويلبرهام: هذا أصعب قليلاً... ولكن مبرحى، لدينا شيء من الحظ هنا! إنه غير مقفل.

فتح ونظر إلى الخارج، ثم أشار للفتاة أن تتبعه. خرج الاثنان إلى ممر خنف المطبخ، وبعد لحظات كانا يقفان تحت النجوم في فرايرز لين.

قالت فريدا وهي تشنج قليلاً: آه! كم كان ذلك رهيباً!

- هل نجحت؟ يسعدني ذلك.

- ولكن تلك المسألة الخاصة بصب مياه في القيو، ألا تترين ضرورة للتفكير بشيء أكثر إبداعاً في المستقبل؟

طرح اقتراحه ذلك بشيء من الحجل المطلوب، فهزت السيدة أوليفر رأسها بالنفي وقالت وهي تأخذ نقاشة من السلة: لا أظن ذلك يا سيد باين؛ فقد تعود الناس قراءة مثل هذه الأمور: أقبية يتم ملؤها بالماء، تسريب غاز مسموم... إلى آخر ذلك. إن معرفة هذه الأمور مسبقاً تجعلها ذات متعة أكبر عندما تحدث للمرء. إن الجمهور محافظ يا سيد باين، وهو يحب الحيل القديمة نفسها.

- حسناً، أنت تعرفين أفضل مني.

اعترف السيد باركر باين بهذا وهو يفكر بست وأربعين رواية ناجحة للسيدة أوليفر حققت كلها أعلى المبيعات في (تكترا وأميركا) وتُرجمت إلى الفرنسية والألمانية والإيطالية والهنغارية والفلمندية واليابانية والصينية.

قال لها: ماذا عن التكاليف؟

- سمحت السيدة أوليفر ورقة وقالت: تكاليف زهيدة عموماً.

لقد طلب الزنوجيان، بيرسي وجيري، مبلغاً بسيطاً جداً. وقد وافق الممثل الشاب لوريمر على أداء دور السيد ريد مقابل خمسة جنيهات، أما خطبة القيو فقد كانت تسجيلاً بالطبع.

- لقد أفادني منزل وايت فريبرز أيما غائلة، فقد اشترته بثمان بخس جداً، وقد كان حتى الآن مسرحاً لإحدى عشرة مسرحية مثيرة.

- آه، لقد نسيت! أجور جوني... خمسة شلنات.

- جوني؟

- نعم، الصبي الذي صب الماء من أباريق السقاية من خلال لوحة الجدار.

- آه، نعم. وبالمناسبة يا سيدة أوليفر، كيف حدث أنك تعرفين اللغة السواحلية؟

- أنا لا أعرفها.

- فهمت. استعنت إذن بالسفاحف البريطاني؟

- لا، بل بـمكتب ديلفريدج للمعلومات.

تتمتع قائلاً: ما أروع مصادر التجارة الحديثة!

قالت السيدة أوليفر: الأمر الوحيد الذي يقلقني هو أن الاثنين لن يهدأ أي كثر عندما يصلان هناك.

- ولكن المرء لا يستطيع الحصول على كل شيء في هذا العالم، سيقيطان شهر عمل مثيراً على أي حال.

\*\*\*

كانت السيدة ويلبرهام تجلس على كرسي، وكان زوجها يكتب رسالة: سألتها: ما هو تاريخ اليوم يا قريدا؟

- السادس عشر.

- السادس عشر؟ يا الهي!

- ما الأمر يا عزيزي؟

- لا شيء.. تذكرت - فقط - رجلاً يدعى جوتز.

مهتما كانت سعادة الزواج فإن هناك أموراً لا يباح بها المرأة.  
فكر الميجر ويلبراهم قائلاً لنفسه: تياً! كان ينبغي أن أזור ذلك  
المكتب وأسترد مالي.

وبعد ذلك، ولأنه ذو عقل مُنصف، نظر إلى المسألة من زاوية  
أخرى وقال لنفسه: ولكنني أنا من نقض الاتفاق! إذ أحسب أنني  
لو ذهبت لرؤية جوتز لكان قد حدث شيء ما. وعلى أية حال فإنني  
لو لم أذهب لرؤية جوتز لما قُدر لي أبداً أن أسمع استغاثة فريدا،  
وربما ما كنا لتتقي أبداً. ولذلك فربما كان لهم الحق - بشكل غير  
مباشر، في جنيتاهي الخمسين!

### زوجة في وسط العمر

السيدة ويلبراهم كانت تتابع هي الأخرى تسلسل أفكارها  
الخاصة: كم كنت حكيماً غبية حين صدقت ذلك الإعلان ودفعت  
ثلاثة جنيهات لأولئك الناس، إنهم لم يفعلوا شيئاً يبرر ذلك المبلغ  
بالطبع، ولم يحدث شيء أبداً. لو أنني عرفت فقط ما كان يتظرني!  
السيد ريد أولاً، ثم هذه الطريقة الرومانسية الغريبة التي دخل تشارلي  
بها حياتي... والآنكي أن أفكر بأنني لولا المصادفة المحضة لما كان  
لي أن ألتقي أبداً!

التفتت وانقسمت لزوجها بحب.



بأربع زفرات استياه، وصوتٍ ساخطٍ يسأل عن سبب عيب  
البناس بالقبعات، وبباب مصفوق، غادر السيد باكينغتن للحاق بقطار  
التاسعة إلا ربعاً المتجه إلى المدينة. أما السيدة باكينغتن فقد جلست  
على مائدة الإفطار، وكان وجهها محسراً، وشفتاها مزموختين، وكان  
السبب الوحيد لعدم بكائها هو أن الغضب حل في اللحظة الأخيرة  
محل الحزن. قالت السيدة باكينغتن: "لن أتحمل ذلك، لن أتحملة".  
وبقيت تفكر بينهم - للحظات - ثم نسمت: السافلة! تلك اللثيمة  
الفذرة! كيف يمكن لجورج أن يكون مغفلاً إلى هذا الحد؟

تلاشى الغضب، وعاد الحزن، وترقرقت الدموع في عيني  
السيدة باكينغتن ثم اتحدت نزولاً على خديها الكهلين وهي تفكر:  
من السهل جداً القول إنني لن أتحمل ذلك، ولكن ما الذي أستطيع  
فعله؟

فجأة شعرت بالوحدة، والعجز، والهجران التام. وبعده أخذت  
صحيفة الصباح وقرأت، كما قرأت مراراً من قبل، هذا الإعلان على  
الصفحة الأولى: "هل أنت سعيد؟ إن لم تكن سعيداً فامنشر السيد  
باركر باين، ١٧ شارع ريتشموند".

قالت السيدة باكينغتن: "هراء ومخف كأملي"، ثم قالت بعد  
قليل: ولكن يمكن أن أجرب فقط... وهذا هو سبب دخول السيدة

باكينغتن في الساعة الحادية عشرة، وهي مرتبة قليلاً، إلى المكتب الخاص للسيد باركر باين.

وكما سبق وقيل، كانت السيدة باكينغتن مرتبة، ولكن لسبب أو لآخر فإن مجرد رؤية السيد باركر باين قد جذب لها شعوراً بالطمأنينة. كان رجلاً ضخماً، كيلاً تقول سبباً، وكان له رأس أصلع ضخم، ونظارات سميكه، وعينان صغيرتان ترسمان باستمرار. قال: "أرجوك أن تجلسي"، ثم أضاف يحثها على الكلام: هل جئت استجابة لإعلاني؟

قالت السيدة باكينغتن: نعم.

وتوقفت عند ذلك، فقال السيد باركر باين بصوت بهيج واقعي: وأنت لست سعيدة؟ قليلون هم السعداء. متدهشين لو علمت مدى قلّة السعداء.

- حقاً؟

قالت السيدة باكينغتن دون أن تشعر بأن سعادة الآخرين أو تعاستهم مسألة مهمة.

قال السيد باركر باين: أعرف أن هذا لا يهملك، ولكنه يهمني أنا كثيراً. فلمدة خمسة وثلاثين عاماً من حياتي كنت مشغولاً بوضع إحصائيات في مكتب حكومي. وقد تقاعدت الآن، وقد خطر لي أن أستخدم الخبرة التي كسبتها بأسلوب يتسم بالجدة. والأمر كله بسيط جداً؛ أؤكد لك أن التعاسة يمكن أن تدرج تحت خمسة عناوين رئيسية... لا أكثر، وبمجرد معرفتك بسبب المرض لا يعود العلاج مستحيلاً. إنني أقوم مقام الطبيب، فالطبيب يشخص أولاً علّة

مريضه، ثم يصفى ليصف طريقة علاج. وتوجد حالات لا يكون فيها العلاج ذا فائدة، وإذا كان الأمر كذلك فإني أقول بصراحة إنني لا أستطيع فعل شيء، ولكنني أؤكد لك - يا سيدة باكينغتن - أنني إن توليت قضية فإن العلاج يكون مضموناً عملياً.

أيمكن أن يكون الأمر كذلك؟ أهذا هراء، أم أنه ربما كان صحيحاً؟ حدثت السيدة باكينغتن إنيه يأمل.

قال السيد باين مبسماً: "هل لنا أن نلخص حالتك؟"، ثم عاد ليستند إلى ظهر مقعده، ثم جمع أطراف أصابعه معاً وقال: المشكلة تخص زوجك. لقد قضيت - عموماً - حياة زوجية سعيدة، وأظن أن زوجك قد لاقى نجاحاً. وأحسب أن في هذه القضية فتاة شابة... وربما كانت شابة في مكتب زوجك.

- إنها عاملة نظافة حقيرة... ذات خصللات شعر ملفوف.

انطلقت الكلمات من فمها بسرعة، فأوماً السيد باركر باين برأسه كمن يسري عنها وقال: لا بأس، وأنا متأكد كيف يفكر زوجك الآن؛ لماذا لا يستمتع بصداقة بريئة مع هذه الشابة، ويكون قادراً على إدخال قليل من الحيوية وقليل من الفرح على حياتها المسلة؟ فالطفلة المسكينة لم تر الكثير من السعادة. يُخَيِّلُ لي أن تلك هي مشاعره.

أومات السيدة باكينغتن برأسها بقوة وقالت: كذب... كله كذب! إنه يأخذها إلى النهر، وأنا أحببت دوماً الذهاب إلى النهر، ولكنه قال لي قبل خمس سنوات أو ست إن ذلك يتعارض مع لعبة الغولف التي يلعبها، ولكنه يستطيع التحلي عن الغولف من أجلها

هي. وأنا أحب المسرح... وقد كان جورج يقول دائماً إنه يكون متعباً جداً في الليل بحيث لا يستطيع الذهاب إلى... الآن ياخذها كل ليلة ويعود في الثالثة صباحاً! إنني... إنني...

- ولا شك أنه يستنكر حقيقة كون النساء غيورات، غيورات بشكل غير معقول في حين لا يوجد أبداً داعٍ للغيرة، أليس كذلك؟  
أومات السيدة باكينغتون ثانية برأسها وهي تقول: "بالضبط". ثم سألت بجدّة: كيف تعرف كل ذلك؟

قال السيد باركر باين ببساطة: الإحصاء.

- إنني تجسّس جداً. لقد كنت دوماً زوجة طيبة لجورج. لقد عملت أعمالاً شاقة في أيامنا الأولى، وساعدته على التقدم، ولم أنظر أبداً إلى أي رجل آخر. ملازمه دائماً جاهزة، وجباته جيدة، والبيت في أحسن حال وأديره بشكل اقتصادي جداً. والآن... وقد تحسنت أحوالنا، وأمكنا أن نستمع بحياتنا ونسافر قليلاً ونشغل كل الأمور التي كنا نتطلع لفعلها يوماً ما... تأتي هذه المشكلة!

ثم ابتغثت ريقها بضغوية، فأوماً السيد باركر باين برأسه بجدية وقال: أؤكد لك أنني أفهم فضيحتك تماماً.

سألت بصوت أشبه بالهمس: وهل... وهل تستطيع فعل شيء بشأنها؟

- بالتأكيد يا سيدتي العزيزة، يوجد علاج. نعم، يوجد علاج.

سألت: "وما هو؟"، ثم انتظرت وقد اتسعت عيناهما ترقباً.

تكلم السيد باركر باين يهدوء وحزم: سوف تضعين أمرك بين يدي، وستكون أجوري مثني جنبه.

- مثني جنبه!

- بالضبط. يمكنك دفع مثل هذا المبلغ يا سيّدة باكينغتون، من شأنك أن تدفعي هذا المبلغ لعملية جراحية، والسعادة لا تقل أهمية عن الصحة الجسميّة.

- وأحسب أنني سادق لك فيما بعد، أليس كذلك؟

- على العكس، متدفعين لي مقدماً.

نهضت السيدة باكينغتون قائلة: أخشى أنني لا أرى طريقتي...

قاطعها السيد باركر باين قائلاً بمرح: لشراء سمك في بحر؟ حسناً، ربما كنت على حق. إنه مبلغ أكبر من أن يُجَارَف به، ولكن عليك أن تقي بي، عليك أن تدفعي المال وتجربي فرصتك. تلك هي شروطي.

- متا جنبه!

- بالضبط، متا جنبه. إنه مبلغ كبير. طاب صباحك يا سيّدة باكينغتون. أخبريني إن غيرت رأيك.

ودّعها وهو يبتسم بشكل هادئ، وعندما ذهبت ضغط جرساً على مكتبه، فأجاب على الجرس شابة بشعة الشكل. قال لها: أريد ملفاً من فضلك، وأبلغني كلود بأنني يمكن أن أحتاجه قريباً.



- نعم، زبونة جديدة، لقد ذهبت حالياً، ولكنها ستعود، وربما عادت في نحو الرابعة من بعد ظهر اليوم، فأدخلها.

الخطة ٥١٤، غريب كيف يظن كل امرئ أن مشكلته فريدة لا مثيل لها. حسناً، تبني كلود. قل لي له أن لا يكون غريب المظهر أكثر مما ينبغي. لا يستعمل عطرًا، ومن الأفضل أن يقصر شعره.

كانت الساعة الرابعة والربع عندما دخلت السيدة باكينغتون مرة أخرى إلى مكتب السيد باركر باين. أخرجت دفتر شيكات وكتبت شيكًا وأعطته له، فأعطاه إيصلاً بالمقابل.

قالت السيدة باكينغتون وهي تنظر إليه بأمل: - والآن؟

قال السيد باركر باين وهو يتسم: - والآن ستعودين إلى البيت، وستستلمين غداً في بريد الصباح تعليمات معينة ساكون سعيداً إن نفذتها.

ذهبت السيدة باكينغتون إلى البيت بحالة ترقب مفرح، أما السيد باكينغتون فقد عاد إلى البيت بمزاج دفاعي، جاهزاً لمناقشة موقفه إذا ما أعيد فتح الموضوع الذي طرح على مائدة الإنطار. ولكنه ارتاح إذ رأى أن زوجته ليست في مزاج قتالي، كانت تتأمل على غير عادتها.

أصغى جورج للمذياع، وتساءل إن كانت تلك الفتاة العزيزة

منسح له بأن يقدم لها معطفاً من القراء، فقد كان يعرف أنها شديدة الاعتزاز بالنفس، وهو لا يريد جرح مشاعرها. ومع ذلك فقد سبق لها أن اشكت من البرد، ومعطفا الصوفي ذاك معطف رخيص لا ينعف كثيراً في مكافحة البرد. ربما كان يوسعه طرح الموضوع بحيث لا تمنع. يجب أن يقضيا أمسية أخرى في الخارج قريباً، إنه لمن الممتع أن يأخذ المرأة فتاة كهذه إلى مطعم راقٍ. لقد كان يوسعه رؤية العديد من الشبان يحسدونه؛ فقد كانت جميلة بشكل يندر وجوده، وهي معجبة به، فبالنسبة لها - كما أخبرته - لم يبد لها كبيراً أبداً.

رفع بصره ليلتقي عينه بعين زوجته، وشعر فجأة بالذنب، الأمر الذي أزعجه. يا لماريا من امرأة ضيقة التفكير شكاك! إنها تنخص عليه أي لحظة سعادة. ثم أغلق المذياع وذهب إلى فراشه.

تلقت السيدة باكينغتون رسالتين غير متوقعتين في صباح اليوم التالي. كانت إحداهما استمارة مطبوعة تؤكد موعداً لدى أحد صالونات التجميل المشهورة، وكانت الثانية موعداً لدى خياط. كما استلمت رسالة ثالثة كانت من السيد باركر باين ويطلب فيها منها تشريفه بقبول تناول الغداء معه في فندق ريتز في ذلك اليوم.

ذكر السيد باكينغتون أنه قد لا يعود إلى البيت للعشاء مساء لأنه مرتبط بموعد عمل مع أحد الرجال، وقد اكتفت السيدة باكينغتون بإيماءة من رأسها وهي شاردة، وغادر السيد باكينغتون البيت وهو يهين نفسه على تجاهته من العاقصة.

كان اختصاصي التجميل واقعاً: "يا لهذا الإهمال! ولكن لماذا يا سيدتي؟" كان ينبغي تدارك ذلك منذ سنوات، ولكن الوقت لم

يفت بعداً، جرت عمليات عديدة لوجهها، فقد ضُغَطَ وَدَلْكُ وَجْهِه، ووضع عليه معجون، ورُسَّ بالساحيق، ثم أُجريت عليه العديد من التلمسات الأخيرة. وفي النهاية أعطوها مرآة، فقالت لنفسها: أظن أنني أبدو أصغر حقاً. أما جلسة الخطاط فلم تكن أقل إثارة، وقد خرجت من عنده وهي تشعر بالأثافة والعصرية.

وفي الساعة الواحدة والنصف ذهبت السيدة باكينغتن إلى موعدها في فندق ريتز، وكان السيد باركر يابن ينتظرها بأفضل هندام وقد حمل معه ذلك الجوّ المُطْبَّخ المهدئ الذي يتميز به. قال وغيتة الخبيثة تومنها من رأسها حتى أخمص قدميها: رائع. لقد طليت لك القهوة.

أصغَت السيدة باكينغتن لمرشدتها اللطيف وهي ترتشف من فتجانها، قال السيد باركر: ينبغي أن تجعل زوجك «ينفعل» يا سيدة باكينغتن، أنتهسيني؟ أن ينفعل ويثار. وللمساعدة في ذلك فإنني سأعزفك على صديق شاب لي، وسوف تغدئين معه اليوم.

في تلك اللحظة نجاء شاب وهو ينظر من جانب لآخر، وما لبث أن لمح السيد باركر فجاء نحوه برشافة، قال السيد باركر مُعْرِضاً: السيد كلود لوترييل، السيدة باكينغتن.

ثم يكن السيد لوترييل قد بلغ الثلاثين من عمره، وكان بهي الطلعة مرحاً شديد الأثافة والوسامة. تمتم قائلاً: أتعلمني معرفتك، وبعد ثلاث دقائق كانت السيدة باكينغتن تواجه مرشدتها الجديد على طاولة صغيرة مخصصة لأثنين.

كانت خجلة في البداية، ولكن السيد لوترييل سرعان ما جعلها

تتبع بالارتياح. وقد سألتها إن كانت تحب المسرح، فأجابته بأنها تحبه ولكنها نادراً ما تزوره في هذه الأيام إذ أن السيد باكينغتن لا يهتم بالخروج ليلاً.

قال السيد لوترييل وهو يتسهم مُظهِراً صفاً من الأسنان شديدة البياض: ولكن لا يمكن أن يكون ظالماً بحيث يُبقيك في البيت. إن النساء لا يتحملن غيره الرجال في هذه الأيام.

أوشكت السيدة باكينغتن على القول إن الغيرة لا شأن لها بهذا الأمر، ولكنها لم تقل ذلك، فهذه فكرة جيدة على أي حال. تحدث كلود لوترييل بعذوبة عن المسرح، ثم تقرر أن يذهباً معاً في الليلة التالية إلى مسرح ليسبر المشهور.

كانت السيدة باكينغتن مترددة قليلاً في إعلان هذه الحقيقة لزوجها، فقد شعرت بأن جورج سبى ذلك غريباً، ولكن جاء ما يولر عليها كل غناء في هذا الشأن، فقد كانت أكثر تردداً من أن توضح من نيتها على مائدة الإفطار، ولكنها نقلت في الثانية ظهرًا مكالمة هاتفية مفادها أن السيد باكينغتن سيتناول عشاءه في المدينة.

وقد كانت الأمسية ناجحة جداً، فقد كانت السيدة باكينغتن في مزاج جيد، وقد هاتأ السيد لوترييل على توبها وعلى تسريحة شعرها أيضاً (وكان قد صُرب لها موعد صباح ذلك اليوم مع مصفف شعر ذي أسلوب حديث). وعندما دُعيها السيد لوترييل كانت في قمة السعادة، فهي لم تكن قد تمتعت بأمنية كهذه منذ ستين عديدة.

مزنت بعد ذلك عشرة أيام احتفلة، تحدثت فيها السيدة باكينغتن

ونعشت وزارت كل المسارح، وسمعت كل شيء عن طفولة كلود  
لوتريل البائسة والظروف المؤسفة التي خسر فيها أبوه كل أمواله،  
وسمعت قصة حبه التراخيذية ومشاعره المريرة نحو البناء عامة.

وفي اليوم الحادي عشر كانا يتعشيان معاً في مطعم أدميرال،  
وقد رأت السيدة باكينغتن زوجها قبل أن يراها هو. كان جورج مع  
الشابة التي تعمل في مكتبه، ولم يكن على طاولة بعيدة. وعندما  
صدف والتفت باتجاهها قالت بخفة: مرحباً جورج.

وبعداً بالغة رأت السيدة باكينغتن وجه زوجها يحنو أولاً،  
ثم يندو فرمياً من دهشته. ومع الدهشة أمكنها رؤية شيء من  
الشعور بالذنب، وشعرت "فرحة" بأنها سيدة الموقف. يا لجورج  
المسكين! جلست على طاولتها ترافقه... كم كان سميناً وأصلع! مسكين  
جورج! يريد - بانساً - أن يبدو شاباً! وتلك الفتاة المسكينة  
التي يتعشى معها مضطرة للظواهر بالتمتع بالأم. إنها تبدو الآن شبيهة  
تماماً، ووجهها خلف كتفه بحيث لا يستطيع رؤيته.

وفكرت السيدة باكينغتن - بشيء من الرضا - بأن وضعها هي  
أكثر مدعاة للحسد. ونظرت إلى كلود الذي كان الآن ساكناً بلباقة.  
كانت تحس بنظرة جورج الاعتدالية تراقبهما، وتذكرت أن الفكرة  
كانت تقضي أساساً بإثارة غيرة جورج. كم مضى وقت طويلاً على  
ذلك! إنها لا تريد الآن حقاً إثارة غيرة جورج. فهذا قد يزعجه،  
ولماذا عساهما تزوج ذلك المسكين؟ لقد كان الجميع سعداء.

كان السيد باكينغتن قد وصل إلى البيت قبل ساعة عندما

وصلت السيدة باكينغتن. بدا حائراً غير واثق من نفسه، وقال معلقاً:  
أه، لقد عُدتِ إذن؟

ألقت السيدة باكينغتن وشاح سهرة كان قد كلفها أربعين جنيهًا  
في ذلك الصباح نفسه وقالت بمبسمة: نعم، لقد عدت.

تنحج جورج وقال: لقد...

- لقد كان من الغريب أن ألتيك، أليس كذلك؟

- إنني... فكرت أن من اللطف أن آخذ الفتاة إلى مكان ما؛ فقد  
كانت تتعرض للعديد من المناعب في البيت... مجرد لطف.

أومات السيدة باكينغتن برأسها. مسكين جورج!

- من هو هذا الشاب الذي كنت معه؟ إنني لا أعرفه، أليس  
كذلك؟

- اسمه لوتريل، كلود لوتريل.

- وكيف قابلته؟

قالت السيدة باكينغتن بغموض: عرفني عليه أحدهم.

- أمر غريب منك بعض الشيء. يا عزيزتي - أن تغرجي مع  
شاب كهذا وأنت... بمثل منك. يجب أن لا تجعلني نفسك أضحوكة  
يا عزيزتي.

إنسبت السيدة باكينغتن: كانت تشعر بأنها الآن الطلف من أن  
تجيبه الجواب الواضح. قالت بمودة: التغيير مسألة لطيفة دائماً.

- ولكن ينبغي أن تحرجي، يوجد الكثير من هؤلاء العاطلين عن العمل في المجتمعات الراقية، والنساء في وسط أعمارهن يجعلن من أنفسهن أضحوكة أحياناً. إنني أحذرك فقط يا عزيزتي؛ فليست أحب أن أراك تغليين شيئاً غير مناسب.

- لقد وجدت الأمور مسلية جداً.

- آه... نعم.

قالت السيدة باكينغتن بلطف: وأظنك وجدتها أنت كذلك أيضاً. الأمر المهم هو أن يكون المرء سعيداً، أليس كذلك؟ أذكر أنك قلت ذلك ذات صباح على مائدة الإفطار، قبل نحو عشرة أيام.

نظر إليها زوجها بحدة ولكن أسلوبها بدا خالياً من السخوية، ثم تساءلت وقالت: ينبغي أن أذهب إلى النوم. وبالنسبة يا جورج، لقد كنت مسرقة جداً مؤخراً، وسوف تأتي بعض الفواير الوهية. لا أحببك تمناع، أليس كذلك؟

قال السيد باكينغتن: فواير؟

- نعم؛ للملايين والتدليك ومعالجة الشعر. لقد كنت مسرقة جداً، ولكنني أعرف أنك لا تمناع.

ثم صعدت الدراج، فيما بقي السيد باكينغتن فاغراً فمه. لقد كانت ماري لطيفة إلى حد مذهش بخصوص هذه الليلة، إذ لم يبدو أنها تهتم أبداً، ولكن من المؤسف أن تعاد فجأة على صرف المال. ماري... التي هي رمز الاقتصاد والتدبير!

يا للساء! هز جورج باكينغتن رأسه. يا للورطات التي يتورط بها الرجال مؤخراً! حسناً، لقد أسعده أن يساعد، ومع ذلك، ورغم كل شيء فإن الأمور لم تكن تجري على ما يرام في المدينة. وصعد السيد باكينغتن الدراج بدوره وهو يتنهّد.

أحياناً يتم في وقت لاحق تذكر الكلمات التي لم تُعطِ تأثيرها. لبعض الكلمات التي قالها السيد باكينغتن لم تخترق وعي زوجته حتى صباح اليوم التالي: العاطلون في المجتمعات الراقية، النساء في وسط أعمارهن يجعلن من أنفسهن أضحوكة.

كانت السيدة باكينغتن ذات قلب شجاع، فجلست وأخذت تواجه الحقائق. أيكون كلود من أولئك الشباب الذين تستأجرهم النساء المسنات لمرافقتهن؟ لقد قرأت الكثير عن مثل هؤلاء الشباب في الصحف، وقرأت أيضاً عن مخازي النساء الكهيلات.

أيكون كلود من هؤلاء؟ رأت أنه منهم. ولكن السائد هو أن تدفع النساء مصاريف أمثال هؤلاء، فيما كان كلود هو الذي يدفع مصاريفها. نعم، ولكن السيدة باركر باين هو الذي دفع وليس كلود. أو أن المصاريف - بالأحرى - كانت من الممتي جنبه التي دفعها هي. أتراها كهلة مغفلة؟ هل يضحك كلود منها خلف ظهرها؟ أحمر وجهها لهذه الفكرة.

حسناً، وما أهمية ذلك؟ لقد كان كلود من أولئك الشباب، وهي كهلة مغفلة، ورأت أنه كان عليها أن تهديه شيئاً. قادتها فكرة غريبة مفاجئة لأن تذهب لنزها إلى محل لبيع الهدايا، حيث اختارت علبة ذهبية للفاغات التبغ ودفعت ثمنها. وكان مقرراً أن تلقى بكلود



للغداء في مطعم كلاريدج. وفيما كانا يحتسيان القهوة أخرجت العلبة من محفظتها وقالت له: هدية صغيرة.

رفع بصره، وعبس ثم قال: لي أنا؟

- نعم، وأرجو أن تعجبك.

أطبقت يده على العلبة ثم دفعها بعنف عبر الطاولة قائلاً: لماذا تعطيني هذه؟ لن أخذها، خذها، أعيدها.

كان غاضباً وغيتاه السوداوان تلمعان. تمنت قائلة: "إني أسفة"، ثم وضعتهما في حقيبتها من جديد.

سأد شيء من التحفظ بينهما يومها، وفي صباح اليوم التالي اتصل بها وقال: يجب أن أراك، هل أستطيع القدوم إلى بيتك بعد ظهر اليوم؟

أخبرته أن يأتي في الساعة الثالثة، فجاءها شاحياً جداً ومثوراً. تبادلوا التحية، وكان التحفظ أكثر وضوحاً. وفجأة قفز واقفاً مواجهاً لها وقال: ماذا تحسبيني؟ هذا ما جئت لسؤال عنه، فأنت نظنين أنني... أنني من أولئك العاطلين الذين يصاحبون النساء لقاء أجر، نظنيني مخلوقاً يعيش على حساب النساء، أليس كذلك؟

- أبدأ، أبدأ.

نحى جانباً احتجاجها بحركة من يده. كان وجهه قد شحِب كثيراً، ومضى يقول: أنت نظنين ذلك بالفعل حسناً، هذا صحيح، هذا ما جئت لقوله، هذا صحيح! لقد تلقيت أوامر لكي أخرجك،

وأسلِك، وأجعلك تنسين زوجك، كانت تلك مهمتي... مهمة بلهفة، أليس كذلك؟

- لماذا نقول لي ذلك؟

- لأنني أنهيت ذلك كله. لا أستطيع الاستمرار في هذا. ليس معك أنت، فأنت مختلف. أنت امرأة أستطيع تصديقها والثقة بها. إلك نظنين أنني أقول ذلك ادعاء فقط وأنه جزء من اللعبة.

اقترَب منها وقال: "وسوف أثبت لك أنه ليس كذلك. إنني مسافر... بسببك. إنني سأجعل من نفسي رجلاً بدل هذا المخلوق العليل الذي تربيته، وذلك كله بسببك". ثم ابتعد قائلاً: وداعاً، لقد كنت غداً دائماً، ولكنني أقسم أن الأمور ستختلف الآن. لقد قلت لي - مرة - إنك تحبين قراءة زاوية مشكلات القراء في الصحف، أليس كذلك؟ في مثل هذا اليوم من كل عام ستجدين هناك رسالة مني تقول إنني ما أزال أذكر وإنني أتقدم بشكل جيد، وعندئذ ستعرفين ما كنت تعنيه بالنسبة لي. وأمر آخر... أنا لم أخذ منك شيئاً، ولكنني أريدك أن تأخذي شيئاً مني.

سحب من إصبعه خاتماً ذهبياً وقال: هذا كان لأمي، وأود أن تأخذه. والآن وداعاً.



جاء جورج باكيتن إلى البيت مبكراً، فوجد زوجته تحديق إلى نار الموقد بنظرة بعيدة متأمل، وقد تكلمت معه بلطف ولكن بشروء. وفجأة قال لها: اسمعي يا ماري، بخصوص تلك الفتاة؟

- نعم يا عزيزي؟

- أانا... أنا لم أقصد أبداً إزعاجك. لا يوجد في الأمر شيء.

- أعرف... لقد كنت غبية. قابلها وقتما تشاء إن كان هذا يُعديك.

كان من شأن هذه الكلمات - بالتأكيد - أن تُخرج جورج باكينغتون، ولكن الغريب أنها أزعجته، إذ كيف تستطيع التمتع بالخروج مع فتاة إذا ما كانت زوجتك تحثك على ذلك؟ تباً للأمر كله، فهذا ليس منقولاً! وهكذا تلاشى زعمات ميتة غير شريفة كل هذا الشعور لذيذ بأنه ذلك الرجل المرح القوي الذي يلعب بالنار. وشعر جورج باكينغتون فحاة بأنه متعب وبأنه أفقر جيباً بكثير؛ لقد كانت الفتاة لعباً ذكياً وقال بشيء من الخنوع: بوسعنا أن نساغر معاً إلى مكان ما لبعض الوقت إن أحببت يا ماريا؟

- آه، لا تهتم لي، أنا سعيدة تماماً.

- ولكنني أرغب في إخذك في رحلة... لنسافر إلى الزيفيرا!

ابتسمت السيدة باكينغتون له من بعيد. يا لجورج المستكين! كانت من قبل مغرمة به، ورائته الآن رجلاً يستحق الشفقة. لم يكن لي حياته التي سري كذلك الموجود في حياتها.

وابتسمت بشكل أكثر لطفاً وقالت: سيكون ذلك رائعاً يا عزيزي.



قال السيد باركر باين لسكرتيرته الأنسة ليمون: حساب الترفيه؟

قالت: متة وجنيهان وأربعة عشر شلناً وستة بنسات.

فتح الباب ودخل كلود لوتربيل وهو يبدو معكر المزاج. قال السيد باركر باين: صباح الخير يا كلود، هل مضى الأمر بشكل مرضي؟

- أظن ذلك.

- والمخاطم؟ ما الاسم الذي نقشته داخله بالمناسبة؟

قال كلود متجهماً: مانيلدا، ١٨٩٩.

- ممتاز. وما هي صبغة الدعاية؟

- «أنا أقدم، وما زلت أذكر كلود».

- اكتبني ملاحظة بذلك يا آنسة ليمون. في زاوية مشكلات القراء، في الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) لكل عام حتى... ليز؟ لقد كانت الشفقات متة وجنيهين وأربعة عشر شلناً وستة بنسات. حسناً، اجعلي الإعلان يُنشر لعدة عشر سنوات. هذا يترك لنا أرباحاً قدرها اثنان وثمانون جنيهاً وثلثان وأربعة بنسات... ربح مناسب، مناسب تماماً.

خادوت الأنسة ليمون. والفضير كلود قائلاً: اسمعني، إنني لا أحب هذا الأمر... إنها لعبة قدرة.

- يا فتاتي العزيز!

- إنها لعبة قذرة، لقد كانت تلك امرأة طيبة. إن رواية كل ذلك الكذب وشحنها بكل تلك العواطف... ثبأ، إن هذا يقرفني!

عدل السيد باركر باين نظارته وتطرق إلى كلود بنوع من الاهتمام العلمي، وقال بيروود: يا إلهي! لا أكاد أذكر أن ضميرك قد أزعجك خلال حياتك المهنية في الماضي.

- حسناً، لقد بدأت أشعر بشكل مختلف؛ فهذه اللعبة ليست... ليست لطيفة.

تكلم السيد باركر باين بصوت مدير مدرسة يوبينغ أحد تلامذته المفضلين: لقد نفذت عملاً يستحق الثناء يا عزيزي كلود. لقد منحت امرأة نعمة ما نحتاجه كل امرأة: قصة حب شاعرية. إن من شأن المرأة أن تتجاهل حباً جازفاً وتضرب به عرض الحائط ولا تستفيد منه شيئاً، أما القصة الشاعرية فمن شأنها أن تحتفظ بها عطرة وتعود إليها لسنوات طويلة قادمة. (إنني أعرف الطبيعة البشرية يا فتني، وإنني أقول لك إن من شأن المرأة أن تعيش على مثل هذا الحادث لسنوات طويلة.

قال كلود: "إنني لا أحب هذه اللعبة"، ثم غادر الغرفة.

أخرج السيد باركر باين ملفاً جديداً من الدرج وكتب فيه: «لوحظت دلائل مثيرة للاهتمام على وجود ضمير حي لدى الشاب. ملاحظة: تُدرس التطورات».

\* \* \*

## قضية السيدة الحزينة

دق الجرس الموجود فوق مكتب السيد باركر باين بصوت خافت، فقال الرجل الضخم: نعم؟

قالت سكرتيرته: سيدة شابة ترغب برؤيتك، وليس لديها موعد.

- يمكنك أن تدخلها يا آنسة ليمون.

وبعد لحظة كان يصافح زائرته قائلاً: صباح الخير، تفضلني بالجلوس:

جلست الفتاة ونظرت إلى السيد باركر باين. كانت فتاة جميلة صغيرة السن، وكان شعرها أسود متموجاً تنزل منه خصلات على مؤخرة عنقها. وكانت ترتدي ملابس أنيقة، من الغطاء الأبيض المشوج فوق رأسها إلى الحذاء الناعم. وبدأ ارتباكها واضحاً.

سالت: أنت السيد باركر باين؟

- نعم.

- أنت الذي... يعلن؟

- أنا الذي أعلن.



- إنك تقول إن الناس إن لم يكونوا... إن لم يكونوا سعداء،  
فليأتوا إليك.

- نعم.

انطلقت فائلة: حسناً، إنني نَحْسة جداً، ولذلك فكرت بأن آتي  
و... وأرى.

انظر السيد باركر باين؛ فقد شعر أن المزيد سيأتي.

قالت: "إنني... إنني في مشكلة فظيعة". ثم ضمت قبضتها  
بارتباك.

قال السيد باركر باين: هذا ما أراه. انتظنين أن بمقدورك أن  
تخبريني بالأمر؟

بدأ أن ذلك ما لم تكن الفتاة واثقة منه أبداً. حدثت إلى السيد  
باين بابتداء يائس، ثم تكلمت فجأة بسرعة: نعم، سأخبرك؛ لقد  
عزمتُ أمري الآن. لقد كاد التلق يقتلني ولم أعرف ما أفعل أو إلى  
أين ألتجأ، ثم آيت إعلانك وفكرت في أنه ربما كان مجرد احتيال،  
ولكنه بقي في ذهني، فقد بدا مريحاً جداً على نحو ما. وبعد ذلك  
فكرت... فكرت بأنه لن يكون ضرر إن جئت وأيت. فيوسعي دوماً  
تقديم عذر والخروج ثانية إن لم... إن لم...

- بالضبط، بالضبط.

- أفهمتي؟ إن المسألة تعني الثقة بشخص ما.

قال مبتسماً: وهل تشعرين أن بوسعك الثقة بي؟

قالت الفتاة بشيء من الوقاحة اللاواعية: غريباً. ولكنني أشعر  
بذلك دون أن أعرف أي شيء عنك أنا واثقة أن بوسعي الثقة بك.

- يمكنك أن أوكد لك أن ثقتك لن تكون في غير محلها.

- إذن فإنني سأخبرك كل شيء عن الموضوع. اسمي هو دافني  
سينت جون.

- نعم يا آنسة سينت جون.

- بل سيده؟ فأنا... فأنا متزوجة.

تاوه السيد باركر باين متزعجاً من نفسه وقد لاحظ الخاتم  
البلاتيني في الإصبع الوسطى ليدها اليسرى، وقال: ما أغباتي!

قالت الفتاة: لو لم أكن متزوجة لما اهتممتُ إلى هذا الحد.  
أعني أن المسألة لم تكن لثهم كثيراً. إن التكثير يجير الد... حسناً،  
إليك قصة المشكلة كلها!

نشرت في حقيبتها وأخرجت منها شيئاً وألقته على المكتب  
حيث تدرج وهو يلتصق حتى وصل السيد باركر باين. كان ذلك  
خاتماً بلاتينياً ذا النماسة ضخمة من السوليتير.

التقطه السيد باين وأخذه إلى قرب النافذة، ثم اختبره على  
زجاج النافذة، ثم وضع على عينه عدسة جواهرتي ونفحصه بدقة،  
ثم قال وهو يعود إلى المكتب: الثماس رائع جداً. أظنه يساوي نحواً  
من ألفي جنيه على الأقل.

- نعم، وهو مسروق... أنا سرقته! ولا أعرف ماذا أفعل:

- يا إلهي! هذا مثير جداً.

انهارت زيوته وراحت تنحب في منديل لا يفي بهذا الغرض، فقال السيد باين: هيا، هيا، سيكون كل شيء على ما يرام.

جففت الفتاة عينيها ونشفت قائلة: آه، هل سيكون كذلك حقاً؟ طبعاً سيكون كذلك. أخبريني فقط بالقصة كلها.

- حسناً، لقد بدأ الأمر بضائقة مررت بها. وأنا امرأة مسرفة جداً، وجيرارد يتزعج كثيراً من ذلك. جيرارد هو زوجي، وهو أكبر مني بكثير، وله أفكار... متمردة جداً. فهو يرى أن وقوع المرأة في الدين مسألة فظيعة، ولذلك لم أخبره. وقد ذهبت مع بعض الأصدقاء إلى لو توكيه، وقلت أنني ربما أكون محظوظة قليلاً في القمار وأقف على رجلي من جديد. وقد ربحت في البداية، ثم خسرت، ثم رأيت أن عليّ الاستمرار في اللعب، ثم... ثم...

- نعم، نعم، لا حاجة بك للخلوص في التفاصيل. الخلاصة أنك أصبحت في بلوى أكبر من أية بلوى سابقة، أليس كذلك؟

أومأت دافني سينت جون برأسها موافقة وقالت: وبعد ذلك لم استطع -بساطة- إخبار جيرالد؛ لأنه يكره القمار، آه، لقد كنت في حال يرثى لها بعد ذلك ذهبت للإقامة أياماً مع عائلة دورثيمز قرب كوههام. وصاحب البيت غني جداً بالطبع، وقد كانت زوجته نعمومي في المدرسة، وهي جميلة ولطيفة، وعندما كنا هناك تخلخلت فقص هذا الخاتم، وفي صباح مغادرتنا طلبت مني أن أخذه (إلى بائع الحلوى الذي تتعامل معه في شارع بوند).

ثم سكنت، فقال السيد باركر باين يساعدها؛ والآن تأتي إلى الجزء الصعب من القصة. استعري يا سيده سينت جون.

قالت المرأة متوسلة: لن تغيب أحداً بذلك أبداً، أليس كذلك؟

- إن أسرار زبائني مقدسة، وعلى أية حال فقد أخبرتني -يا سيده سينت جون- ما يمكنني معه أن أكمل القصة من عندي.

- هذا صحيح. حسناً، ولكنني أكره سرد ذلك... فهو فظيع جداً. ذهبت إلى شارع بوند، وهناك رأيت محل حلوى آخر اسمه ليرو، وهو محل يصنع نسخاً طبق الأصل عن الجواهر. فجأة فقدت عقلتي، فدخلت بالخاتم وقلت أنني أريد نسخة مطابقة له، مبررة ذلك بأنني مسافرة إلى الخارج ولا أريد أخذ جواهر حقيقية معي. وبدا أنهم رأوا الأمر طبعياً تماماً.

بعد ذلك حصلت على النسخة الزائفة، وكانت من الإقتان بحيث لا تستطيع تمييزها عن الخاتم الأصلي، وأخذتها إلى الليدي دورثيمز. وقد كانت الليدي علبة عليها اسم الجواهري الأصلي الذي تتعامل معه الليدي، وهكذا لم أجد صعوبة في الأمر؛ وضعت الخاتم في العلبة وغلفته بشكل يدل على الاحتراف. وبعدما قمت... قمت برهن الخاتم الحقيقي.

حيأت وجهها بين يديها وقالت: كيف أمكنني ذلك؟ كيف فعلت ذلك؟ لقد كنت لصة وضعية!

تحنح السيد باركر باين وقال: لا أظنك أكملت القصة تماماً.

- نعم، لم أكملها. لقد حدث ذلك قبل نحو ستة أسابيع،

وقد وقيت كل ديوني حتى لم أعد مدينة لأحد، ولكنني كنت بائسة طوال الوقت بالطبع. وبعد ذلك نوفي ابن عمّ عجوز لي فورثت بعض المال، وكان أول شيء فعلته هو استعادة الخاتم وفك الوهن عنه. حسناً، لقد تم ذلك كما ينبغي، ولكن حدث أمر صعب جداً.

- وما هو؟

- تشاجرتنا مع عائلة دورنجر. وكانت المشاجرة بشأن بعض الأسهم التي أفتح السير روبن دورنجر زوجي بشرائها، وقد تكبد زوجي خسارة فادحة فيها فبست السير دورنجر بأفزع الكلام. آه، إنه أمر فظيع! والآن لا أستطيع إعادة الخاتم.

- ألا تستطيعين إرساله إلى الليدي على أنه من مجهول؟

- هذا يفضح الأمر كله! لأنها ستفحص خاتمها فتجده مزيفاً وتضمن فوراً ما فعلته.

- أنت تقولين إنها صديقتك، فلماذا لا تقولين لها الحقيقة كاملة... وتضعين نفسك تحت رحمتها؟

هزت السيدة سينت جون رأسها وقالت: لستأ صديقتين إلى هذه الدرجة، وعندما يتعلق الأمر بالمال أو الحلي فإن نعومي فاقدة لآية مشاعر. ربما لا أستطيع ملاحقتي قضائياً إن أعدت لها الخاتم، ولكن بوسعها أن تخبر الجميع بما فعلته فتدمرني، وسيعرف جيرالد ولن يسامحتني أبداً. آه، ما أفظع الأمر كله!

ثم بدأت تبكي من جديد وقالت: لقد فكرت وفكرت،

ولا أستطيع أن أرى ما يمكنني فعله! آه، يا سيد باين، ألا تستطيع فعل شيء؟

- بل عدة أشياء.

- أستطيع؟ حقاً؟

- بالتأكيد. لقد اقترحت عليك أبسط الطرق لأنني وجدتها، بخبرتي الطويلة، أفضل الطرق؛ فهي تجنب المراء أي تعقيدات غير محسوبة. ومع ذلك فيمكنني أن أرى وجهة اعتراضاتك. ألا يعرف أحد غيرك بهذا الحدث المؤسف في الوقت الزاهر؟

- أنت فقط.

- آه، أنا لا أعوذ! حسناً، إن سرك في حرز أمين حالياً. كل ما هو مطلوب هو تبديل الخاتمين بشكل لا يثير الريبة.

قالت الفتاة بلهفة: هذا هو الأمر.

- ينبغي أن لا يكون ذلك صعباً. ينبغي أن نأخذ بعض الوقت للتفكير في أفضل طريقة.

قاطعت قائلة: ولكن لا يوجد وقت! هذا ما يكاد يدفع بي إلى الجنون! إذ أنها ستأخذ الخاتم لتبديل حجره.

- وكيف عزلت؟

- بالمصادفة البحتة. كنت أتقذى مع امرأة قبل يومين وأبدت إعجابي بخاتم كان في يدها... من الزمرد الضخم، فقالت إنه آخر

صباحات الموضة وإن تعومي دوريمر ستأخذ خانمتها لتغير حجره  
وفق هذه الموضة.

قال السيد باركر باين متأملاً: مما يعني أن علينا التصرف  
بسرعة، وهذا يعني ضرورة التجاح في إدخال أحدهم إلى البيت...  
ولن يتنجح أن يكون هذا المرم خادماً؛ فقرة الخدمة في الوصول  
إلى الخواتم الثمينة فرصة ضعيفة. هل لديك أنت أية أفكار يا سيدة  
سينت جون؟

- حسناً، إن تعومي ستقيم حفلة يوم الأربعاء، وصديقتي هذه  
ذكرت أنها كانت تبحث عن فرقة للمرقص الاستعراضى.

- أظن أن الأمر يمكن ترتيبه. إن كانت المسألة قد تم ترتيبها  
أصلاً فسيكون ذلك مكلفاً أكثر، هذا كل ما في الأمر. وهناك شيء  
آخر. هل تعرفين مكان لوحة المفاتيح الكهربائية في البيت؟

- الحقيقة أنني أعرف ذلك بالفعل، فقد حدث هناك تماس  
كهربائي في ساعة متأخرة من إحدى الليالي بعد أن ذهب الخدم إلى  
النوم. إن اللوحة في صندوق في مؤخرة الصالة داخل خزانة صغيرة.

وبناء على طلب السيد باين، قامت برسم مخطط للمكان:

قال السيد باركر باين: والآن سيكون كل شيء على ما يرام،  
لا تقلقي يا سيدة سينت جون. ماذا عن الخاتم؟ هل أخذه الآن أم  
تفضلين الاحتفاظ به حتى يوم الأربعاء؟

- ربما كان من الأفضل أن أحفظ به.

- حسناً، لا حاجة لمزيد من القلق الآن.

سألت يشي من الخنوع: وماذا عن... أتعابك؟

- يمكن تأجيل ذلك حالياً. سأخبرك عما احتجته من نفقات  
في يوم الأربعاء، وأؤكد لك أن الأتعاب ستكون مزية.

قادما إلى الباب، ثم ضغط على زر الجرس على مكتبه وقال:  
أرسلني لي كلود ومادلين إلى هنا.

كان كلود لوتربل واحداً من أشد طفليتي المجتمعات الراقية  
وساماً في إنكلترا، أما مادلين دي سارا فكانت فتاة بالغة الجاذبية.

استعرضهما السيد باركر باين باستحسان وقال: يا عزيزتي،  
عندي لكما عمل، ستكونان من أكثر الراقصين الاستعراضيين شهرة في  
العالم، والآن اسمعني جيداً يا كلود، وافهم جيداً ما أقوله لك...

\* \* \*

كانت الليدي دوريمر مقتنة تماماً بالترتيبات التي أجرتها  
لحفلاتها. استعرضت زينة الزهور ووافقت عليها، ثم أعطت بعض  
الأوامر الأخيرة لكبير الخدم، وقالت لزوجها إن كل شيء قد سار  
على ما يرام حتى الآن!

وقد كانت خيبة أهل بسيطة أن مايكل وخواتمها، الراقصين من  
فرقة ريد آدميرال، لم يستطيعوا الإبقاء بعقدتهما في اللحظة الأخيرة  
بسبب التواء في كاحل خواتمها، ولكن تم بدل ذلك إرسال راقصين  
أثارا عاصفة إعجاب في باريس (هكذا مضت القصة على الهاتف).



وصل الراقصان في الوقت المحدد. وحظيا بقبول الليدي دورثيمر، ومضت الأسمية بشكل رائع. وقد قام خوليس وسانشيا بفقرتهما، وكانت ممثلة جداً، وقد تضمنت رقصة صاخبة بعنوان الثورة الإسبانية، ثم تم استعراض رائع للرقص الحديث.

وبعد أن انتهى الاستعراض، تم استئناف الرقص العادي. وقد طلب خوليس الوسيم مراقبة الليدي دورثيمر، وطافاً معاً يرقصان. أما السير روين دورثيمر فقد كان يبحث عن سانشيا عيهاً؛ إذ لم تكن في قاعة الرقص (والحقيقة أنها كانت في الخارج، في الصالة الفارغة قرب علبة صغيرة على الجدار، وعباتها ثابتان على الساعة الثمينة التي كانت تضعها في معصمها).

تمتم خوليس في أذن الليدي دورثيمر: أنت لست إنكليزية... لا يمكن أن تكوني إنكليزية بطريقة وقلصك الرائعة هذه... دروشكا بيروفكا فالمارونشي.

- أية لغة هذه؟

قال خوليس كاذباً: الروسية. إنني أقول بالروسية شيئاً لا أجرو على قوله بالإنكليزية.

وفجأة الطغفأت الأنوار فحسبت الليدي دورثيمر يدها، ولكن خوليس قام بحركة بارعة، وعلى نحو ما اتزلق خاتم من إصبعها إلى يده. وقد بدا لليدي أن انقطاع الكهرباء لم يدم (لأثنية واحدة، وجدت بعدها خوليس يبتسم لها قائلاً: خاتمك، لقد اتزلق من يدك. هل تسمحين لي؟

ثم أعاد وضعه في إصبعها فيما كان السير دورثيمر يتحدث عن لوحة مفاتيح الكهزباء، ويقول: لا بد أنه مغفلٌ ما.



وصل السيد باركر باين إلى مكتبه صباح الخميس ليجد السيدة سينت جون في انتظاره، فقال لسكرتيرته: أدخلها.

دخلت وقالت له بكل لهفة: ماذا حدث؟

قال لها بلهجة انهام: تبدين شاحبة الوجه.

هزت رأسها وقالت: لم أستطع النوم طوال الليلة الماضية. كنت أتساءل...

- ها هي فاتورة التكاليف: أجور تدوين، وأزياء، وخمسون جنيهًا لمايكل وخوانيتا، المجموع خمسة وستون جنيهًا وسبعة عشر شللاً.

- نعم، نعم، ولكن ماذا بشأن الليلة الماضية؟ هل نجح الأمر؟

نظر إليها السيد باركر باين دهشاً وقال: يا فتاتي العزيزة! لقد نجح الأمر بالتأكيد. لقد اقترضتُ جدلاً - أنك قد فهمت ذلك.

- يا له من ارتياح! لقد خشيت...

هز السيد باركر باين رأسه مؤثباً وقال: إن الفشل كلمة غير مسوح بها في هذه المؤسسة، فإن لم أكن أرى أن بإمكانني النجاح

فلنني أرفض تولي القضية أساساً، وإذا ما توليت قضية فإن نجاحها يكون مسألة محسومة عملياً.

- هل استردت خاتمها حقاً دون أن تشك بشيء؟

- لم تشك بشيء أبداً؛ لقد تم تنفيذ العملية بكل دقة ومهارة.

تهددت دافني سينت جون وقالت: إنك لا تعرف الحمل الذي نزل عن عاتقي. ماذا كنت تقول عن التكاليف؟

- خمسة وستون جنيهاً وسبعة عشر شللاً.

فتحت السيدة سينت جون حقيبتها وعدت النقود، وشكرها السيد باركر باين وكتب لها إيصالاً باستلام المبلغ، فقالت: ولكن ماذا عن أنعابك؟ هذا فقط لنقطلة النفقات.

- في هذه القضية لا توجد أنعاب.

- آه يا سيد باين! إنني لا أستطيع قبول ذلك.

- إنني أصر يا فتاتي العزيزة، إن ألبس بشأ واحداً، فسيكون ذلك مخالفاً لمبادئنا. هو إيصالك. والآن...

وباتسامة ساحر يخرج حيلة ناجحة سحب حلبة صغيرة من جيبه ودفعها إليها عبر المكتب. فتحت دافني، وكانت بداخلها النسخة طبق الأصل من الخاتم. قالت السيدة سينت جون وهي تعطي وجهها مظهر الاستمزاز: بغضب... لكم أكرهكم! تراءدني نفسي أن أنفي بك من النافذة.

قال السيد باركر باين: ما كنت لأفعل ذلك؛ فهذا قد يدهش الناس.

- أأنت واثق تماماً أنه ليس الخاتم الأصلي؟

- نعم، نعم! إن الخاتم الذي أريتني إياه في المرة السابقة هو الآن في يد الليدي دورثيمر دون شك.

نهضت السيدة سينت جون ضاحكة بمرور وقالت: حسن! إذن.

- ولكن من الغريب أن تسأليني ذلك، إذ أن كلود المسكين لا عقل له بالطبع، وربما اختلط عليه الأمر بسهولة. ولذلك؛ وبغية التأكد، جعلت أحد الخبراء يلقى نظرة على هذا الخاتم صباح اليوم. جلست السيدة سينت جون ثانية بشكل مفاجئ وقالت: آه! وماذا قال؟

قال السيد باركر باين مبسماً: قال إنه تقليد ممتاز جداً؛ صنعة من الدرجة الأولى. ولذلك فإن هذا سيريح بالك، أليس كذلك؟

بدأت السيدة سينت جون تريد قول شيء ثم توقفت، وأخذت تتحدث إلى السيد باين الذي عاد للجلوس خلف مكتبه وهو ينظر إليها بلطف، ثم قال حالماً: الملقط الذي يأخذ الكسنة من بين الجمر، إن دور الملقط هذا ليس دوراً لطيفاً... ليس بالدور الذي يمكن أن أسنده لأي من موظفي. عفواً، هل قلت شيئاً؟

- أنا... لا؛ لا شيء.

قال السيد باركر باين:

جيد. أريد أن أقص عليك قصة صغيرة يا مينة سينت جون. قصة عن فتاة أظنها فقراء الشعر، وهي ليست متزوجة وليس اسمها سينت جون، واسمها الأول ليس دافني. اسمها إيرستين ريتشاردز، وقد كانت -حتى عهد قريب- سكرتيرة لليدي دورنيمر.

حسناً، تخلخل في أحد الأيام نص خاتم الليدي دورنيمر، وأخذته الأنسة ريتشاردز إلى المدينة لتشيته. تماماً كقصتك تلك، أليس كذلك؟ وقد حطرت للأنسة ريتشاردز نفس الفكرة التي حطرت لك؛ فقامت بعمل نسخة عن الخاتم، ولكنها كانت فتاة بعيدة النظر، وقد توقعت أن يأتي يوم تكتشف فيه الليدي دورنيمر استبدال الخاتم. وعندما يحدث ذلك فإنها ستتذكر من الذي أخذ الخاتم إلى المدينة، وسندعوم الشكوك حول الأنسة ريتشاردز فوراً.

ما الذي حدث إذن؟ يخيل لي أن الأنسة ريتشاردز قد قامت -بدايةً- بإجراء تغيير على شكلها، وغيرت تصفيفة شعرها ولونه ليصبح بنياً غامقاً بعض الشيء. ثم قامت بزيارتي، حيث أرثني الخاتم، وسمحت لي بأن أقنع نفسي بأنه حقيقي، بحيث تبذل أية شكوك قد تتولد عندي. وبعد القيام بذلك، ووضع خطة استبدال الخاتم، أخذت الشابة الخاتم إلى الجواهرتي الذي أعاده بعد ذلك لليدي دورنيمر.

وفي مساء أمس، تم على عجل تسليم الخاتم الآخر المزيف في آخر لحظة في محطة قطار وارلو. وقد اعتبرت الأنسة ريتشاردز (وهي محقة في ذلك) أن السيد لوتريل لا يفعل أن يكون خبيراً حجة

في الجواهر. ولكنني، المجرد إقناع نفسي بأن كل شيء مستقيم في العملية، رتبّ لوجود صديقي لي من تجار الحلي على متن نفس القطار. وقد نظر إلى الخاتم وأعلن فوراً أنه ليس من الألماس الحقيقي، ولكنه تقليد ممتاز له.

إنك تفهمين المغزى طبعاً يا سيدة سينت جون، أليس كذلك؟ فما الذي استدركه الليدي دورنيمر عندما تكتشف خسارتها؟ سوف تذكر الراقص الشاب الوسيم الذي سحب الخاتم من أصبعها عندما انطلقت الأنوار، وسوف تقوم بتحريات وتجد أن الراقصين اللذين تم الاتفاق معهما أولاً قد تمت رشوتهما حتى لا يأتيا. وإذا ما قادت التحريات إلى مكثبي فإن من شأن قصتي عن السيدة سينت جونز أن تبدو ضعيفة أشد الضعف؛ فالليدي دورنيمر لم تعرف أيداً سيدة باسم سينت جون، وستبدو القصة تلقياً بئناً. ولعلك تفهمين الآن أنني لا يمكن أن أسمع بذلك، ولذلك فإن صديقي كلود قد وضع في إصبع الليدي دورنيمر نفس الخاتم الذي نزعته!

ثم يتسم السيد باركر باين دون أن تكون إبتسامته لطيفة الآن، وقال: هل فهمت لماذا لم أستطع نقاضي أعقاب منك؟ إنني أضمن توفير السعادة، ومن الواضح أنني لم أوفر لك السعادة. وسأقول شيئاً واحداً آخر. إنك شابة، وربما كانت هذه أول محاولة لك في أمور كهذه. أما أنا فعلى العكس؛ فأنا متقدم في العمر نسبياً، ولقد اكتسبت خبرة طويلة في إعداد الإحصائيات. ويمكنني -من هذه الخبرة- أن أوكد لك أن سبعة وثمانين بالمئة من التقاضيا لا يفيد فيها العش والخداع: سبعة وثمانون بالمئة، فكري في هذا الأمر!

نهضت السيدة الزائفة سميت جون بحركة سريعة وقالت: أيها  
المتملق الوغد العجوز! تغرر بي وتجعلني أدفع النكفات! وأنت  
طوال الوقت...

ثم غصت الكلمات في قمها واندفعت باتجاه الباب.

قال السيد باركر باين وهو يمد يده بالخاتم: خانمك.

خبطته منه، فنظرت إليه ثم ألقت من النافذة المفتوحة، ثم  
خرجت وصدقت الباب خلفها.

نظر السيد باركر باين من النافذة بشيء من الاهتمام وقال: كما  
توقعت، لقد أثار ذلك الكثير من الدهشة، فبائع الخرداوات لا يعرف  
ما يفعل بالخاتم.





## قضية الزوج المحبّط

مما لا شك فيه أن إحدى الصفات العظيمة لدى السيد باركر باين كانت أسلوبه المتعاطف، فقد كان ذلك الأسلوب يوحى بالثقة، وقد كان يعرف تمام المعرفة ذلك النوع من الشلل الذي يهبط على زبائنه بمجرد دخولهم إلى مكتبه. وكانت مهمة السيد باين أن يمهّد الطريق أمام الاعترافات الضرورية.

وفي هذا الصباح - بالذات - جلس يواجه زبوناً جديداً يدعى السيد ريجينالد ويد، وقد استنتج فوراً أن السيد ويد كان من النوع الذي لا يُحسن التعبير عما في نفسه؛ ذلك النوع الذي يجد صعوبة في وضع أي شيء ذي علاقة بالعواطف على شكل كلمات.

كان رجلاً طويلاً عريضاً ذا عيين زرقاوين هادتين مريحتين وبشرة مفعنها الشمس. جلس وهو يشد شاربته الصغير بشروء وهو ينظر إلى السيد باركر باين بكل ما يثيره حيوان أبكم من شفقة وقال بسرعة: لقد رأيت إعلاتك، وفكرت بأن من الأفضل أن آتي إليك. مسألة عويصة، ولكن المزم لا يدري، ماذا؟

فسر السيد باين هذه الملاحظات الغامضة بشكل صحيح، وقال: عندما تسوء الأمور يصبح المزم مستعداً للمجازفة والتجربة. - نعم، نعم، بالضبط. إنني مستعد للمجازفة... لأية مجازفة.

إن الأمور صعبة معي يا سيد يا ابن ولا أدري ماذا أفعل إزامها صعبة،  
صعبة جداً.

- وهنا يأتي دوري، فلما أعرف ماذا أفعل! إنني مختص بكل  
أنواع المتاعب البشرية.

- آه، هذا أمر صعب بعض الشيء.

- ليس صعباً حقاً، فالمشكلات البشرية يمكن تصنيفها ضمن  
بضعة عناوين أساسية بسهولة. اعتلال الصحة مثلاً، والملل، ونساء  
قلقات بسبب أزواجهن، وأزواج...

توقف قليلاً ثم أكمل: قلقون بشأن زوجاتهم.

- الحقيقة أنك أصبت بصيغ الموضوع... أصبت بصيغته  
تماماً.

- أخبرني بالأمر.

- لا يوجد الكثير مما يمكن قوله، فزوجتي تريدني أن أطلقها  
بحيث تستطيع الزواج برجل آخر.

- هذا شائع جداً في أيامنا هذه حقيقة، والآن أفهم أنك لا ترى  
رأيها تماماً في هذا الأمر.

قال السيد ويد ببساطة: إنني أحبها.

كانت تلك عبارة بسيطة ومكرورة إلى حد ما، ولكن لو قدر  
للسيد ويد أن يقول: إنني مجنون بها... إنني مستعد لتفطير نفسي

إرباً من أجلها (أو أي عبادة أخرى مشابهة) لما كان ذلك أكثر  
وضوحاً وتأثيراً بالنسبة للسيد يادوكر باين.

ومضى الرجل قائلاً: ومع ذلك، فما الذي يمكنني عمله؟ أعني  
أنني عاجز تماماً؛ فإن كانت تفضل ذلك الرجل الآخر فليس بوسعي  
سوى أن ألتحق بجانيه.

- والمفترض هو أن تقوم هي بطلب الطلاق؟

- بالطبع، فلا أريد لها أن تعاني من الشد والجذب الطويلين  
في محاكم الطلاق.

نظر إليه السيد يادوكر باين مثملاً وقال: ولكنك جئت إلي؟  
لماذا؟

ضحك الرجل بخجل وقال: لا أدري... الحقيقة إنني لست  
بالرجل الذكي، ولا أستطيع التفكير بوسائل وطرق. وقد ظننت أنك  
ربما اقترحت علي شيئاً فلدني سنة أشهر، وفقد الوقت على ذلك.  
فإذا ما ظننت -بعد الأشهر الستة- مصحمة على ما في رأسها فعندها  
أخرج من حياتها. لقد ظننت أنك ربما استطعت أن تعطيني فكرة أو  
فكرتين، إن كل ما أفعله يزعجها في الوقت الحاضر... أتفهمني يا سيد  
باين؟ خلاصة القول أنني لست رجلاً ذكياً! (إنني أحب الألعاب  
الكروية... أحب لعب الغولف، وأستمع بعدة نغمات جيدة، ولكنني  
لست بارعاً في أمور الموسيقى والفن وغير ذلك. أما زوجتي فهي  
ذكية ونحبة السينما والأوبرا والحفلات الموسيقية، ومن الطبيعي  
أنها تمل مني. أما ذلك الرجل الآخر، وهو رجل قذر طويل الشعر،

فإنه يعرف كل شيء عن هذه الأمور، ويمكنه التحديث عنها، بينما لا أستطيع أنا ذلك. يمكنني -على نحو ما- أن أفهم مآم امرأة ذكية جميلة من حمار مثلي.

قال السيد باركر يابن يضوت هادر: كم مضى على زواجك؟ تسع سنوات؟ وأحسب أنك تبيت هذا الموقف منذ البداية... وهذا خطأ يا سيدي العزيز، خطأ كارثي تماماً! لا تبتئ موقفاً اعتذارياً ضعيفاً مع امرأة أبداً، وإلا فإنها ستعاملك وفق تقويمك لنفسك... وستكون مستحقاً لذلك! كان عليك أن تفاخر بخيرتك الرياضية، وكان عليك أن تتحدث عن الفن، والموسيقى باعتبارهما كل ذلك الهراء الذي تحبه زوجتي... كان ينبغي أن تعزبها على عدم قدرتها على لعب الرياضة بشكل أفضل! إن النفسية المتواضعة المسكينة -يا سيدي العزيز- هي الفشل الذريع في الحياة الزوجية؛ فلا يُتوقع من امرأة أن تتحمل ذلك أبداً. ولا عجب أن زوجتك لم تستطع إكمال المسيرة.

كان السيد ويد ينظر إليه بخيرة، ثم قال: حسناً، ماذا تظن أن علي أن أفعل؟

- هذا هو السؤال بالتأكيد. لقد فات الآن وقت القيام بكل ما كان ينبغي القيام به قبل تسع سنوات... ينبغي تبني أساليب جديدة. هل سبق لك أن اقتربت من نساء أخريات؟

- كلا بالتأكيد.

- ولا بشكل عابر؟

- إنني لا أهتم كثيراً بالنساء.

- حسناً، ينبغي أن تبدأ الآن.

بدأ السيد ويد مدعوراً وقال: آه، اسمعني، لا أستطيع حقاً... أعني...

- لن تتعرض لأي مشكلات في ذلك، سيتم ترتيب أمر إحدى العائلات لدي لتؤدي هذا الدور، وسوف تخبرك بما هو مطلوب منك. ومن الطبيعي أنها ستفهم أن أي اهتمام تبديه نحوها سيكون مجرد عمل.

بدأ الارتياح على السيد ويد وقال: هذا أفضل. ولكن هل ترى حقاً... أعني أنني أظن أن إيريس ستكون -في هذه الحالة- أحرص على التخلص مني.

- إن معرفتك بالطبيعة البشرية ضعيفة يا سيد ويد، والأضعف منها معرفتك بالطبيعة البشرية للنساء. إنك الآن -من وجهة النظر النسوية- سلعة قافضة عن الحاجة؛ لا أحد يريدك. فما استفادة امرأة من شيء لا أحد يريده؟ لا فائدة لها منه على الإطلاق. ولكن خذ الأمر من منظور آخر. افترض أن زوجتك اكتشفت أنك تتطلع إلى الفوز بخيرتك من جديد بقدر ما تتطلع هي.

- ينبغي عندها أن تسعد لذلك.

- ربما كان ينبغي ذلك، ولكنه لن يحصل! وفوق هذا فسترى زوجتك أنك قد نلت إعجاب شابة جذابة... شابة يمكنها أن تختار وتتقن من نساء. سوف تعلق أسهمك فوقاً، وتعرف زوجتك أن كل صديقاتها سيقلن أنك أنت الذي شمت منها ورغب في الزواج بأمرأة أكثر جمالاً... وسوف يزعمها هذا.

- أنظن ذلك؟

- بل إنني واثق منه. ولا شك أنها ستحاول استردادك دون أن تتخلى عن الرجل الآخر، ولكنك سترفض أن تُسترداً ستكون عقلاً وتتردد على مسامعها كل حججها: "من الأفضل كثيراً أن نفترق"، "أمرجنا مختلفة". وسوف تدرك أنه في الوقت الذي كان كلامها صحيحاً حول عدم فهمك لها أبداً، فإن الصحيح أيضاً أنها لم تفهمك أبداً هي الأخرى. ولكن لا حاجة بنا للمضي إلى هذا المدى الآن، فستصلك تعليمات كاملة في الوقت المناسب.

يبدأ أن السيد ويد لم يزل متشككاً، وسأل بارتتاب: أنظن أن خطبك هذه ستنتج حقاً؟

قال السيد باركر باين يحذر: لن أقول إنني واثق كلياً من ذلك إذ يوجد احتمال ضعيف في أن تكون زوجتك محبة لذلك الرجل الآخر حياً جارقاً لا يفيد معه أي شيء نقوله أو تفعله، ولكنني أعتبر ذلك أمراً غير محتمل. فربما ساقها الملل إلى مثل هذه العلاقة الملل من جو التعلق غير المشروط والإخلاص التام الذي أحاطتها به دون تفكير منك. وإذا ما اتبعت تعليماتي فلنني أرى أن الاحتمالات في صالحك بنسبة سبعة وتسعين بالمئة.

- هذا جيد جداً. سأفعل ذلك. وبالمناسبة... كم الكلفة؟

- أنتباهي هي امتنا جنبه تُدفع مقدماً.

سحب السيد ويد دفتر شيكائه.

\* \* \*

كانت حدائق منزل لوريمر كورت رائعة تحت أشعة شمس العصر، وكانت إيريس لتمدد بملابسها الزاهية على كرسي طويل وتحدث مع صديقتها السيدة ماسينغتن (التي كانت نجلتها -دوماً- صديقة متعاطفة معها)، وكانت المرأتان قد ابتلتا بزوجين رياضيين يتراوح كلاهما: دوماً وبالتاب، بين الأسهم والغولف.

أنهت إيريس حديثها قائلة: وهكذا يتعلم المرء أن يعيش ويترك لغيره أن يعيش.

قالت السيدة ماسينغتن: "إنك رائعة يا عزيزتي". ثم أضافت بسرعة: أخبريني من هي هذه الفتاة؟

دفعت إيريس كففاً شحماً وقالت: لا تسأليني! لقد وجدتها ريجي. إنها صديقتها الصغيرة! أمر مُسلٌ جداً فأنت تعلمين أنه لا ينظر إلى الفتيات عامة. وقد جاء إلي فهمهم وعمهم وقال أخيراً إنه يريد دعوة هذه الأنسة، دي سارا، لقضاء عطلة نهاية الأسبوع هنا. وقد ضحكك بالطبع... لم أتمالك نفسي؛ فهو ريجي الذي تعرفينه! وما هي هنا.

- أين التقى بها؟

- لا أدري، لقد كان عامضاً جداً حول الأمر كله.

- ربما كان يعرفها منذ وقت طويل.

- آه، لا أظن ذلك. وبالطبع فلنني مسرورة... مسرورة تماماً. أعني أن ذلك يجعل الأمر أسهل بكثير علي! لأنني كنت حقاً حزينة على ريجي؛ فهو مسكين، وهذا ما ظللت أردده على سيكليز... أن



ثم مررت يديها خلال خصلات شعرها الأسود الجميل.

لا سبيل للإنكار جمالها.

صاحت: لقد قضيت وقتاً رائعاً جداً! إنني أشعر بحرٍّ شديدٍ!  
لا بد أنني أبدو فظيعة الشكل.

جفل ريجي بارتباك عندما سمع الجملة التي كانت إيذاناً له  
ليتكلم، ثم قال: إنك تدين... تدين...

ثم أطلق ضحكة صغيرة وأكمل قائلاً: لن أقولها.

التفت عينا مادلين بعينيه. كانت نظرة تفهم كامل من طرفها،  
وقد انتهت السيدة ماسينغتن لذلك بكل بقطة.

قالت مادلين لمضيفتها: ينبغي أن تلعب الغولف كيلا تفوتوك  
الكثير من المتعة. لماذا لا تتعلمينه؟ لدي صديقة تعلمته وأصبحت  
ماهرة جداً، وكانت أكبر منك بكثير.

قالت إيريس بيروود: إنني لا أهتم بمثل هذه الأشياء.

- ألا تتقنين الألعاب؟ كم هو سيء بالنسبة لك! إنه أمر يجعل  
المرء يشعر بأنه فاقد للصلة مع العصر. ولكن التدريب قد أصبح  
حقاً ممتازاً هذه الأيام - يا سيدة ويد - بحيث صار بمقدور أي امرئ  
أن يلعب بشكل جيد. لقد حشنتُ لمعي في التنس كثيراً في الصيف  
الماضي، ولكنني سيئة جداً في لعب الغولف.

قال ريجي: هراء! أنت لا تحتاجين إلا للتدريب... ألم تري

الأمر سيخرج ريجي كثيراً، ولكنه أصغر على أن ريجي سيتغلب على  
ذلك سريعاً، ويبدو أنه كان على حق، فمضت يومين كان ريجي يبدو  
كسبر القلب... وما هو الآن يريد دعوة هذه الفتاة إلى هنا، وكما  
قلتُ فإنني سعيدة! إنني أحب رؤية ريجي يتمتع نفسه. يخيل لي أن  
المسكين ظنَّ أنني ربما شعرتُ بالغيرة... يا لها من فكرة سخيفة!  
وقد قلتُ له: "بالطبع، أحضر صديقك"، يا لريجبي المسكين! وكان  
فتاة كهذه يمكن أن تهتم به أيداً... إنها تسلي نفسها فقط.

قالت السيدة ماسينغتن: إنها جميلة جداً... تكاد تكون خطيرة  
الجمال، من ذلك النوع الذي لا يهتم إلا بالرجال، وليسبب ما  
لا أشعر أنها يمكن أن تكون فتاة لطيفة حقاً.

- ربما لا تكون كذلك.

قالت السيدة ماسينغتن: وهي ترتدي ملابس رائعة جداً.

- ألا ترين أنها ملابس مفرطة في غرابتها قليلاً؟

- ولكنها ثمينة جداً.

- تتظاهر بالغمى... إنها تبدو شديدة التظاهر بالغمى.

- ها قد وصلنا.



كانت مادلين دي سارا تمتشى مع ريجي ويداً على المرجة  
العشبية، كانا يضحكان ويتحدثان معاً ويبدوان بأبعد حال، ومرت  
مادلين نفسها على كرسي، ونزعت فبعة الرياضة التي كانت ترتديها

كيف نَقَذت تلك الضربات بالمضرب التحاسي قبل قليل؟

- ذلك لأنك علمتني كيف أضربها. فأنت مدرب ممتاز. إن الكثير من الناس لا يحبسون التدريب، ولكن لديك هذه الموهبة: لا شك أنك تشعر بتفوق رهيب... إن يوسعك القيام بأي شيء.

قال ريجي بارتياك: هراء! لست جيداً في شيء... لا فائدة مني أبداً.

قالت مادلين وهي تلتفت إلى مضيقها: ينبغي أن تكوني فخورة جداً به. كيف استطعت الاحتفاظ به كل هذه السنين؟ لا بد أنك كنت شديدة الذكاء... أم أنك خيأت به بعيداً عن أعين الناس؟

لم تجبها مضيقها، بل مدت يداً مرتجفة وأخذت كتابها، وتعمم ريجي بكلام عن حاجته لتبديل ملابسه وذهب.

قالت مادلين لمضيقها: إنني أرى أن من لطفك الشديد أن تستقبلي هنا بعض النساء شكاكات جداً في صديقات أزواجهن. إنني أرى - فعلاً - أن الغيرة أمر سخيف، ألا ترين ذلك؟

- أرى ذلك بالتأكيد... ما كنت لأحلم بالغيرة على ريجي.

- هذا رائع، لأن يوسع أي امرئ أن يرى أنه جذاب جداً. لقد صُدمت عندما سمعت أنه متزوج. ما بال الرجال الجذابين يُختطفون سريعاً وهم ضيقاً؟

- أنا سعيدة لأنك تجدين ريجي جذاباً إلى هذا الحد.

- إنه جذاب فعلاً، أليس كذلك؟ وسيم يوماً، ورياضي ماهر

جداً. وتلك اللامبالاة التي يتظاهر بها تجاه النساء!

قالت السيدة ويد: أحسب أن لديك الكثير من الأصدقاء الرجال.

- آه، نعم. إنني أحب الرجال أكثر من النساء؛ فالنساء لسن لطيفات معي حقاً. لا أؤري السبب في ذلك.

قالت السيدة ماسينغتن بضحكة صغيرة: ربما كنت لطيفة جداً مع أزواجهن!

- المرأة يشعر بالحزن على الناس أحياناً، فالكثير من الرجال الرائعين يكونون مرتعطين بزوجات مملات جداً، من أولئك النساء مدعيات الفن والثقافة العالية. ومن الطبيعي أن الرجل يريد فتاة شابة تنفسمه. أعتقد أن الأفكار الحديثة الخاصة بالزواج والطلاق حكيمة جداً... فليداً المرأة ثالثة، وهو ما يزال شاباً، مع شريك حياة يبادل الكثير من الأدوار والأفكار؛ فهذا أفضل للجميع في نهاية المطاف. أظن أن اختصار المرأة لخسائرها والمبادرة للبدء من جديد أمر حكيم تماماً، ألا ترين ذلك يا سيدة ويد؟

- بالتأكيد.

أدركت مادلين -بوعي يقظ- أن البرود الشديد قد ساد جو الحديث، فتمتت بشيء عن تغيير ملابسها استعداداً لتناول الشاي وتركتهما.

قالت السيدة ويد: إن بدأت هذه الأيام هؤلاء مقيتات جداً، لا تجدن فكرة واحدة في رؤوسهن.

قالت السيدة ماسينغتن: ولكن لدى هذه الفتاة فكرة واحدة في رأسها يا إيريس... إن الفتاة تحب ويحب.

- هراء!

- إنها تحبه... لقد رأيت طريقة نظرتها إليه قبل قليل؛ إنها لا تأتيه أبداً لتكون متزوجاً أم غير متزوج، وهي تنوي الحصول عليه... أمر مقرف!

بقيت السيدة ويد ساكنة للحظة ثم ضحكت بشيء من التردد وقالت: وماذا يهم ذلك في نهاية الأمر؟

وسرعان ما نهضت السيدة ويد هي الأخرى وصعدت إلى الطابق العلوي. كان زوجها في غرفة الملابس يبدل ثيابه، وكان يغني.

قالت له: أتستمتع بوقتك يا عزيزي؟

- آه، نعم، تقريباً.

- يسعدني ذلك؛ أريدك أن تكون سعيداً.

- نعم.

ثم يكن تمثيل الأدوار أحد نقاط القوة عند ويجي ويد، ولكن ما حدث هو أن حرجه الشديد الناتج من تفكيره بأنه يؤدي دوراً كان مناسباً جداً؛ فقد تجنب نظرات زوجته، وكان يجفل عندما تتحدث إليه. وقد شعر بالخجل وكره هذا التهرج كده، ولكن لم يكن شيء يمكن أن يترك أثراً أبلغ أو أشد من ذلك؛ فقد بدا مثلاً لمن يورقه دتب بفعله.

سألته زوجته فجأة: منذ متى وأنت تعرفها؟

- من تعنين؟

- الأنسة دي سارا بالطبع.

- لا أعرف بالضبط. أعني... منذ بعض الوقت.

- حقاً؟ ولكنك لم تذكر شيئاً عنها؟

- ألم أذكرها؟ أحسب أنني نيت.

قالت: "نسيت فعلاً؟"، ثم غادرت سريعاً وثوبها البنفسجي يلتف معها.

بعد تناول الشاي قام السيد ويد باصطحاب الأنسة دي سارا لرؤية حديقة الورود. مشى الاثنان عبر الممرجة العشبية وهما يحسان بأربعة أعين تسع ظهريهما.

قال السيد ويد ليفرغ القلب عن كاهله وقد أصبحا آمينين في حديقة الورود: اسمعيني، أظن أن علينا التخلي عن هذا الأمر. لقد نظرت إلي زوجتي الآن وكأنيما تكررني.

قالت مادلين: لا تقلق؛ فالأمر على ما يرام.

- أظن ذلك؟ أعني أنني لا أريد أن أكسب عداوتها. لقد

قالت عدة أشياء مقذعة أثناء تناول الشاي.

- الأمر على ما يرام، إنك تتصرف بشكل رائع.

- أظن ذلك حقاً؟

- نعم -

ثم مضت قائلة بصوت منخفض: إن زوجتك تشفي عند زاوية العصية، وهي تريد أن ترى ما تفعله الأفضل أن تعتز عن حبك لي بصوت مسموع.

قال السيد ويد بارتباك: آه! أيجب ذلك؟ أعني...

قالت مادلين بشدة: قل أي شيء بسرعة!

خرجت من فم السيد ويد بعض كلمات الغزل المنعثة التي بدت طبيعية تماماً مع ما خالطها من ارتباك، وقد كان من شأن مادلين أن تعالج أي نقص في حيوية الأداء وتبادله بكلمات متعائلة.

ثم سألت: هل كرمت ذلك كثيراً؟

قال بارتباك: "لا، لا. ولكن... ولكن الأمر كان مفاجأة". ثم قال بحزن: أترين أننا مكنتنا في حديقة الزورد بما يكفي من الوقت؟

- أظن ذلك، لقد تمنا بعمل رائع هنا.

عادا إلى العرجة العشية، وأبلغتهما السيدة ماسينغتن أن السيدة ويد قد ذهبت لتسدد قليلاً.

وفي وقت لاحق جاء السيد ويد إلى مادلين بوجه حائر متكدور وقال: إنها بخالة فضيحة... حالة هينيريا.

- جيد -

- لقد رأينا وسعدنا.

- حسناً، هذا ما قصدناه أساساً.

- أعرف، ولكنني لا أستطيع قول هذا، أليس كذلك؟ لم أدِر ما أقول. قلت إنها كانت مجرد... مجرد كلام عابر.

- ممتاز.

- قالت إنك تخططين لفرزاج بي وقالت إنك فتاة سيئة، وقد أزعجني ذلك... فقد بدا حقاً شيئاً جاداً بالنسبة لك. أعني في وقت لا تقومين فيه إلا بعمل محض. قلت لها إنني أكن لك احتراماً بالغا وإن ما قالته ليس صحيحاً أبداً، وأظنتني غضبت عندما استمرت في الموضوع.

- هائل.

- ثم طليت مني أن أرحل، وقالت إنها لا تريد التحدث إليّ أبداً بعد الآن. ثم تحدثت عن جمع أمتعتها ومغادرة البيت.

كان وجهه ينضغ بالأسى. ولكن مادلين ابتسمت وقالت: سأقول لك كيف تجيها على هذه النقطة الأخيرة: قل لها إنك أنت الذي سيرحل. وإنك ستحزم أمتعتك وتغادر إلى المدينة.

- ولكنني لا أريد ذلك!

- لا بأس بذلك، فلن تضطر للمغادرة؛ فمن شأن زوجتك أن تكره الضكير بك وأنت تمتع نفسك في لندن.

\*\*\*

في اليوم التالي كانت لدى زيجي. وقد نشرة أخبار جديدة يدعيها: لقد قالت إنها كانت تفكر بأنه ليس من الإنصاف أن تغادر طالما أنها وعدت بالبقاء ستة أشهر، ولكنها قالت إنها لا ترى سبباً يمنعها من دعوة أصدقائها إلى هنا طالما أنني أدعو أصدقائي. ولذا استدعو سينكلير جوردان.

- أهو صاحبها؟

- نعم، ولتي سأكون مغفلاً إن سمحت له بالضيء إلى هذا البيت!

- ينبغي أن تسمح له. لا تعلق؛ سأتولى أنا أمره. قل لها إنك لا تعارض مجيئه بعد أن فكرت في الأمر ملياً، وإنك تعلم أنها لن تعارض بقائي هنا أيضاً.

تنهد السيد ويد وقال: آه، يا إلهي!

- لا تغفد شجاعته؛ كل شيء يسير بشكل رائع. أسبوعان آخران وتنتهي كل متاعبك.

- أسبوعان؟ أنظنين ذلك حقاً؟

- أظن ذلك؟ بل أنا واثقة منه.

\*\*\*

بعد أسبوع من ذلك دخلت مادلين دي سارا مكتب السيد باركر باين وألقت بنفسها بسام على أحد الكرسي.

قال السيد باركر باين مبتسماً: جاءت خاطفة الأزواج!

- خاطفة الأزواج؟!

ثم أطلقت ضحكة وقالت: إنني لم أصادف - أبداً - صعوبة في عملي كما صادفتُ هذه المرة. إن ذلك الرجل مهووس بزوجته!

قال السيد باين مبتسماً: نعم، بالفعل. ولكن هذا يجعل مهمتنا أسهل.

ضحكت الفتاة وقالت: لو تعرف الصعوبة التي لاقيتها!

- حسناً، هل أنجزت مهمتك؟

- نعم، أظن أن كل شيء على ما يرام. لقد حدث مشهد رائع ليلة أمس. هل كان آخر تقرير لي قبل ثلاثة أيام؟

- نعم.

- حسناً، كما أخبرتك؛ لم يتطلب الأمر مني سوى نظرة واحدة إلى ذلك الحشرة النعسة سينكلير جوردان، فقد تعلق بي أيتها تعلق... خاصة وأنه ظن من ملاسي أنني غنية. وقد جُن جنون السبدة ويد بالطبع، فها هما رجلاها يتقربان مني زاحفين. وسرعان ما أظهِرتُ أين يكمن خياري، فسخرت من سينكلير وجهاً لوجه وأمامها، وضحكّت من ملبسه ومن شعره الطويل، وأشرتُ إلى أنه مقوس الساقين عند ركبته...

قال السيد باركر باين: أسلوب رائع!

- وقد تقاوم الأمر كله الليلة الماضية. فقد خرجت السيدة ويد



عن صمتها واتهمني بأنني أريد تحطيم بيتها، وأشار ريجي إلى قضية سينكلير فقالت إن علاقتها معه لم تكن إلا نتيجة لتعاسيتها ووجدتها وإنها قد لاحظت شرود زوجها منذ بعض الوقت ولكنها لم تعرف سبب ذلك، وقالت إنهما كانا دوماً سعيدين جداً وإنها تحبه وهو يعرف ذلك جيداً، وقالت إنها تريد هو، وهو فقط.

قلت لها إن الوقت قد فات على ذلك... وقد اتبع السيد ويد التعليمات بشكل رائع فقال إنه لا يهتم قيد شعرة، وإنه سيتزوجني! وإن يوسع زوجته أن تأخذ «سينكليرها» بأسرع ما تشاء، فلا يوجد سبب يدفع للتأجيل بإجراءات الطلاق، وقال إن انتظار ستة أشهر مسألة سخيفة، قال إنها ستحصل على الطلاق الذي تريده خلال بضعة أيام، وإن يوسعها أن تخطر محامياً بذلك، قال إنه لا يستطيع العيش من دوني، وعندما أمسكت السيدة ويد بصدرها وتكلمت عن مشاعب في القلب بحيث أعطوها مهدياً... ولكن السيد ويد لم يضعف، وقد جاء إلى لندن هذا الصباح، ولا شك أنها جاءت خلفه.

قال السيد باركر باين فخرج: هذا جيد... قضية مَرْخِية جداً.

فُتح الباب فجأة ووقف في مدخله ريجي ويد، ثم قال وهو يدخل الغرفة: هل هي هنا؟ أين هي؟

لم تبه لوجود مادلين فاقرب منها هاتفاً: حبيبتي! لقد عرفت أن ما قلته ليلة أمس كان حقيقياً، أليس كذلك؟... وأني عشت كل كلمة قلتها لإيريس؟ لا أدري لماذا كنت أعنى كل الوقت، ولكني أدركت ذلك في الأيام الثلاثة الماضية.

قالت مادلين بصوت ضعيف: ما الذي عرفته؟

- عرفت أنني أقيم بك حياً، وأنه لا توجد امرأة في هذا العالم أريدها زوجة سواك. ستحصل إيريس على طلاقها، وعندما ينتهي ذلك فستزوجين بي، أليس كذلك؟ قلني (بك موافقة يا مادلين... إنني أحبك).

شلت المفاجأة مادلين، فيما فُتح الباب ثانية لدخول هذه المرة امرأة نحيلة ترتدي ثوباً أخضر غير مرتب. قالت القادمة الجديدة: لقد حسبك ذلك وتبعك... عرفت أنك ستذهب إليها!

أما السيد باركر باين، الذي صحا أخيراً من دهشة الشديدة، فقد بدأ يقول: بوسعي أن أؤكد لك...

ولكن المرأة لم تأبه لكلامه، وانطلقت تقول: آه، ريجي! لا يمكن أن تكون غافياً في تحطيم قلبي. عد إلي فقط! لن أقول كلمة واحدة عن هذا الأمر، وسأعلم الغولف، ولن أعرف أحداً سواك... بعد كل هذه السنين، حيث كنا في غاية السعادة معاً...

قال السيد ويد وهو مستمر بالتحديق في مادلين: إنني لم أجد سعادة أبداً إلا الآن. ثأ يا إيريس! لقد أردت الزواج بذلك الحمار جوردان، فلماذا لا تسفين في ذلك وتزوجينه؟

صاحت السيدة ويد قائلة: إنني أكرهه، إنني أكرهه، إنني أكرهه، ثم التفتت إلى مادلين وقالت: أيتها المرأة الشريرة! تسريق مني زوجي.

صاحت مادلين بغضب: لا أريد زوجك.

قال السيد ويد وهو يحرق إليها بالأم: مادلين؟

- أزوجك إن تزحل عني،

- ولكن اسمعي، إني لا أظاهر، بل أعني ما أقول..

صاحت مادلين بهستيرية: آه، اذهب عني اذهب عني!

تحرك ريجي يتردد نحو الباب وهو يقول محذراً: سوف أعود  
لن تكون هذه آخر مرة تربطني فيها.

ثم خرج وصلى الباب خلفه، فيما صرخت السيدة ويد قائلة:  
(إن الفتيات هن أمثالك ينبغي أن يُجلدن! لقد كان ريجي دائماً ملائماً  
معي إلى أن ظهرت أنت، وقد تغير الآن حتى لم أعد أعرفه.

ثم أسرع خلف زوجها وهي تتسحب.

### قضية موظف المدينة

تبادل السيد باين ومادلين النظرات، ثم قالت مادلين باين:  
لم أستطع تمالك نفسي، إنه رجل لطيف جداً... ولكن لا يمكنني أن  
أحلم بالزواج به... لم تكن لدي أية فكرة عن هذا كله!

قال السيد باركر باين: يؤسفني الاعتراف بأن ذلك كان خطأ  
في الحكم من جانبي.

ثم هز رأسه بحزن، ومسح ملف السيد ويد إليه وكتب فيه:

قتل: لأسباب طبيعية.

ملاحظة: كان ينبغي التنبؤ بتلك الأسباب.

\* \* \*

اتكأ السيد باركر يمين إلى مسند كرسيه الدوار والتي نظرة  
مستعرضة على ذائره، رأى أمامه رجلاً فضيل الجسم رغم قوة بنيته،  
في نحو الخامسة والأربعين من عمره، ذا عينين كئيبتين حائرتين  
خائعتين تنظران إليه بشيء من الأمل المثلث.

قال الرجل الضئيل بارتباك: لقد رأيتُ (علاتك في الصحيفة).

- أنت وافع في مشكلة يا سيد روبرتس؟

- لا، لستُ في مشكلة بالضبط.

- هل تحسن بالتعاسة؟

- ما كنتُ لأحب قول ذلك أيضاً؛ فعندي الكثير مما أحمده

الله عليه.

- لدينا جميعاً الكثير مما نحمد الله عليه، ولكن عندما نُضطر

لتذكير أنفسنا بهذه الحقيقة يكون ذلك مؤثراً سيئاً.

قال الرجل الضئيل بلهفة: أعرف... هذه هي القضية بالضبط!

لقد أصبحت كيد الموضوع يا سيدي.

- لماذا لا تخبرني كل شيء عن نفسك؟

- لا يوجد الكثير مما يمكن قوله في هذا الصدد؛ فإنا -كما قلت لك- لدي الكثير مما أحمد الله عليه. أولادي أقوياء أصحاء، ووظيفتي جيدة، وقد نجحت في توفير بعض المال.

- ما الذي تريده إذن؟

- إنني... إنني لا أعرف.

ثم احمر وجهه وأضاف: أحسب أن هذا يبدو لك سخيفاً يا سيدي.

- أبدأ، أبدأ.

استطاع السيد باين، بشيء من التحقيق المتحرف مع الرجل، أن يحصل على مزيد من الحقائق. فعرف عن عمل السيد روبرتس في شركة مشهورة، وتقدمه البطيء المطرد فيها. وعرف عن زواجه وكفاحه لتقديم صورة جيدة لعائلته... لتعليم الأطفال، وجعلهم في مظهر حسن، وعرف عن التخطيط والتدبير والتفتير وتوفير بضعة جنبيات كل عام. وفي الحقيقة فإنه سمع من الرجل تاريخاً لحياة من الجهود التي لا تتوقف للحفاظ على البقاء.

قال السيد روبرتس معترفاً: وهكذا نرى كيف هي الأمور... زوجتي مسافرة؛ مقيمة مع أهلها هي والطفلان، وهذا يشكل نوعاً من التغيير لهما، والراحة لهما. لا يوجد مكان لي، ولا نستطيع دفع تكاليف الذهاب إلى مكان آخر. وبسأني وحدي، وقد كنت أقرأ الصحيفة، فقد رأيت إعلانك، وقد جعلني ذلك أفكر. فإنا في الثامنة والأربعين، وقد تساءلت فقط... إن الأمور تجري في كل مكان.

أنهن كلامه بثلث العبارة وقد ظهرت في عينه كل روح المدينة الكثيرة.

قال السيد باين: أريد أن تعيش بشكل مريح لبعض الوقت؟

- ما كنت لأعترض عن الأمر بهذه الصورة، ولكن ربما كنت على حق... حتى أخرج فقط عن نهج الحياة الرتيبة. وسأعود إلى ذلك النهج ممثلاً بعد ذلك... لو توفر لي فقط شيء أفكر به.

ثم نظر إلى الرجل الآخر بلهفة وقال: لا أظن أن بالإمكان القيام بشيء، أليس كذلك يا سيدي؟ أخشى... أخشى أنني لا أستطيع دفع الكثير.

- كم نستطيع أن ندفع؟

قال الرجل الضئيل: "يمكنني تدبير أمر خمسة جنبيات"، ثم انتظر حاسباً أنفاسه.

قال السيد باركر باين: "خمس جنبيات؟ يخيل إلي، مجرد خيال، أنه ربما أمكننا تدبير شيء، مقابل خمسة جنبيات". ثم أضاف بخلة: هل تمانع في التعرض للخطر؟

احمر وجه السيد روبرتس الشاحب وقال: هل قلت الخطر؟ أه، لا؛ لا أمانع أبداً. إنني... إنني لم أقدم أبداً على أي أمر خطير.

ابسم السيد باركر باين وقال: تعال لرويتي -ثانية- يوم غد وسأقول لك ما يمكنني فعله لأجلك.

\*\*\*

كان مقهى بون فويجز مكاناً مغموراً، وهو مطعم لا يزناده إلا القليل من الزبائن الذين يكرهون دخول غرباء جدد إليه. دخل السيد باركر باين إليه فاستقبل باحترام شخص معروف. وسأل: هل السيد بونينغتون هنا؟

- نعم يا سيدي؟ إنه يجلس على طاولته المعتادة.

- حسناً، سأذهب إليه.

كان السيد بونينغتون رجلاً عسكري الهبة ذا وجه يليد بعض الشيء، وقد حيا صديقه بسورور قائلاً: مرحباً يا باركر. لم تعد تراك إلا لعباً في هذه الأيام. لم أكن أعرف أنك تأتي إلى هنا.

- أنا آتي من وقت لآخر، خاصة عندما أريد الإمساك بصديق قديم.

- أتعني أنا؟

- نعم (أعنيك أنت). والعقيقة - يا لوكاس - أنني كنت أقول النظر فيما كنا نتحدث به قبل أيام.

- بخصوص مسألة بترفيلد... هل رأيت آخر الأخبار في الصحف؟ ولكن لا، لا يمكن ذلك؛ فلن تناقل الصحف ذلك إلا هذا المساء.

- وما هي آخر الأخبار؟

قال السيد بونينغتون يهدوء وهو يتناول الشَّلْطَة: لقد قتلوا بترفيلد الليلة الماضية.

صاح السيد باين: يا إلهي!

- آه، ولكن هذا لا يدهشني. لقد كان بترفيلد عجوزاً عنيداً. لم يكن ليصغي إلينا، وقد أصر على إبقاء المخططات لديه تحديداً.

- وهل حصلوا عليها؟

- لا، يبدو أن امرأة ما قد جاءت وأعطت البروفسور وصفة معينة لطبخ اللحم، وقد عمل الحمار العجوز (وهو الشارد دوماً كعادته) إلى وضع وصفة طبخ اللحم في خزنته، ووضع المخططات في المطبخ.

- هذا حظ حسن.

- بل هي العناية الإلهية. ولكن ما زلت أجهل من سيأخذها إلى جيف؟ إذ أن ميتلاند في المستشفى، وكارسليل في برلين، وأنا لا أستطيع المغادرة. وهذا لا يفي إلا الشاب هوبر.

ثم نظر إلى صاحبه، فسأله السيد باركر باين: أما زلت على نفس الرأي؟

- بالتأكيد... لقد توصّلوا إليه! أنا أعرف ذلك رغم أنني لا أملك عليه أي دليل، ولكنني أؤكد لك - يا باركر - أنني أمتز الرجل عندما يتحرف ويصبح غشاشاً! وأنا أريد لكل المخططات أن تصل إلى جيف؛ فعصبة الأمم بحاجة إليها، وهذه هي المرة الأولى التي لا يباع فيها اختراع إلى دولة معينة، بل يتم تسليمه طوعاً إلى عصبة الأمم. إنها أروع الفئات سلام تم القيام بها حتى الآن، ولا بد أن تصل إلى منتهائها. هوبر غشاش، وسوف ترى، ربما يتم تخديره



في الفطار ، وإذا ما سافر بالطائرة فستزول الطائرة في مكان ملائم معين ! انتهى لا أستطيع إرساله ؛ ولذلك تحدثت إليك قبل أيام.

- لقد سألتني إن كنت أعرف أحداً.

- نعم. ظننت أنك ربما كنت تعرف أحداً من خلال عملك ؛ شخصاً جريئاً يبحث عن المتاعب بحثاً. فمن أرسله معرض لاحتمال القتل. ولكن ربما كان رجلاً من طرفك بعيداً تماماً عن الشبهات، بشرط أن يكون شجاعاً.

- أظنني أعرف شخصاً مستعداً للقيام بذلك.

- الحيد لله على وجود رجال لا يزالون مستعدين للمجازفة. حسناً، لقد اتفقتا إذن؟

- لقد اتفقتا.

\*\*\*

كان السيد باركر باين يلخص تعليماته - والآن، هذا واضح تماماً؟ - مسافراً إلى جنيف في مقصورة نوم في الدرجة الأولى في الفطار. ستغادر لندن في الساعة الحادية عشرة إلا ربعا في فطار بين يوكستون وبولتون، وستدخل مقصورة نومك في بولتون. وسوف تصل إلى جنيف في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، وها هو العنوان الذي ستذهب إليه. يرجى أن تحفظه غيباً لأنني سأبلغه. بعد ذلك تذهب إلى هذا الفندق وتنتظر هناك وزود مزيد من التعليمات. وها هي نقود كافية لك بالعملة الفرنسية والسويسرية. هل فهمت؟

- نعم يا سيدي.

كانت عينا السيد روبرتس تشتعلان بالانفعال، ومثال: احذرتي يا سيدي. ولكن هل يُسمح لي أن... أن أعرف شيئاً عن هذا الذي أحمله؟

اتسم السيد باركر باين بسجية وقال: إنك تحمل نصاً مُشفراً يكشف المخبأ السري لجواهر العائلة المالكة في روسيا. إنك نفهم - طبعاً - أن عملاء البلاشفة سيكونون متيقظين حريصين على اعتراضك، فإن كان من الضروري عليك أن تتحدث عن نفسك فإنني أنصح بأن تقول إنك قد ورثت بعض المال وتستمع برحلة خارج البلاد.

\*\*\*

رشف السيد روبرتس القهوة من فنجانده ونظر أمامه إلى بحيرة جنيف. كان سعيداً ولكنه كان يحن، في نفس الوقت، بخيبة أمل.

كان سعيداً لأنه في بلد أجنبي لأول مرة في حياته، وفوق ذلك فقد كان في فندق ما كان ليترل فيه ثلثية أبدأ، وما كان عليه أن يفتقر لحظة واحدة بشأن المال! وقد كانت له غرفة ذات حمام خاص، مع وجبات لذيذة وخدمة ممتازة. كل هذه الأشياء استمتع بها السيد روبرتس كثيراً.

وقد كان يشعر بخيبة الأمل لأنه لم يصادف - حتى الآن - ما يمكن تصنيفه في باب المغامرة... إذ لم يعترض طريقه لا بلاشفة متكرون ولا روس غامضون، وقد كانت المحادثة الوحيدة التي

أجراها مع إنسان هي ذلك الحديث اللطيف مع تاجر فرنسي في  
القطار يتحدث الإنكليزية بطلاقة تامة. وكان قد أعطى الأوراق في  
بطاقته حقيقته كما طُلب منه وأوصلها حسب ما اقتضته التعليمات،  
ولم تحدث هناك مخاطر ليتغلب عليها ولا مآزق تجا منها بأعجوبة.  
كان السيد روبرتس خائب الأمل.

وفي تلك اللحظة جاء رجل طويل مُلثم قدمتم قاتلاً: "عفوك"  
وجلس قبالته على الطاولة الصغيرة وقال: اعتذري، ولكنني أظن أنك  
تعرف أحد أصدقائي. ويبدأ اسمه بحرفي ب ب.

أحسن السيد روبرتس بمتعة شديدة: فيها هو ذا أخيراً روسي  
غامض. قال له: صح... صحح.

- إذن فأظن أننا متماهيان.

نظر إليه السيد روبرتس متحسناً. لقد كان هذا يشبه ما يجري  
- حقيقة - في مثل هذه الظروف. كان الغريب في نحو الخمسين من  
عمره، ذا مظهر مميز رغم أنه مظهر أجنبي. وكان يلبس نظارة ويضع  
شريطاً ملوناً صغيراً في جيب سترته.

قال الغريب: لقد نفذت مهمتك على أكمل وجه. هل أنت  
مستعد لتولي مهمة أخرى؟

- بالتأكيد. آه، نعم.

- حسناً. سوف تحجز مقصورة نوم في القطار المغادر من  
جنيف إلى باريس ليلة غد، وسوف تطلب السريز رقم تسعة.

- وإن كان محجوزاً؟

- سيكون شاعراً؛ سوف يتم تولي هذا الأمر.

كرر السيد روبرتس: السريز رقم تسعة. نعم، لقد حفظت  
ذلك.

- وخلال رحلتك سيأتي إليك شخص ويقول لك: "أسف  
يا سيدي، ولكنني أعتقد كنت مؤخرًا في غراس؟"، وستجيب  
أنت على ذلك بقولك: "نعم، في الشهر الماضي"، وسيقول لك  
الشخص: "هل أنت مهتم بالعملة؟"، وستجيب أنت قائلًا: "نعم،  
لأننا أصبحنا زبائن مركبة من الياسمين". بعد ذلك ستضع نفسك كلياً  
تحت تصرف ذلك الشخص الذي تحدث معك. وبالمناسبة، هل  
أنت مُسلخ؟

قال روبرتس مرتعداً: لا، لا، لم أحسب أبداً... أي أنني...

- يمكن معالجة ذلك.

ثم نظر الرجل الملثم حوله فلم يرَ أحداً بالقرب منهما، فذبح  
في يد السيد روبرتس شيئاً صلباً يلتمع وقال وهو يتسهم: إنه سلاح  
صغير ولكنه يؤدي الغرض.

دس السيد روبرتس المسدس على مضض في جيبه، ولم  
يكن قد استعمل مسدساً أبداً من قبل، وإثابه شعور غير مريح بأن  
المسدس قد يطلّق في أية لحظة.

فأما مراجعة كلمات السر ثانية، ثم نهض صديق روبرتس  
الجديد وقال: أتمنى لك حظاً سعيداً، وأرجو أن تخرج من الأمر  
سالمًا. إنك رجل شجاع يا سيد روبرتس.

وعندما غادر الرجل قال السيد: روبرتس لنفسه: "أنا شجاع حقاً؟ أنا واثق من أنني لا أريد أن أقتل؟ فلن يفيدني ذلك بشيء". وسرت في نفسه متعة غامضة.

ذهب إلى غرفته وتفحص السلاح. لم يكن متأكداً -بعد- من آلية عمله، ورجا أن لا تدفعه الظروف إلى استعماله. ثم خرج ليحجز مقعده.

غادر القطار جنيف في الساعة التاسعة والنصف، وقد وصل روبرتس إلى المحطة في الوقت المحدد، وأخذ موظف مقصورات النوم بطاقته وجواز سفره ووقف جانباً بينما كلف مساعد له بحقيبة السيد روبرتس إلى الرف. وقد كانت هناك حقائب أخرى: حقيبة من الجلد، وحقيبة أخرى من النوع الذي يطوى.

قال الموظف: السرير رقم تسعة هو السرير الأسفل.

وفيما التفت روبرتس لمغادرة المقصورة اصطدم برجل ضخم كان يدخلها. تنحى الاثنان جانباً وهما يعتذران، وروبرتس بالإنكليزية والرجل الآخر بالفرنسية. كان رجلاً ضخماً قوي البنية ذا رأس حليق تماماً ونظارة مسيكة جداً بدت عيناه من ورائها وكأنتهما تنظران بارتياح.

قال روبرتس لنفسه: "رجل يشع". وقد أحس سحلي نحو غامض -بشيء- شريـر في رفيق سفره هذا. أيـمكن أن يكون قد طلب منه أخذ السرير رقم تسعة بهدف مراقبة هذا الرجل؟ رأى أن هذا ممكن. خرج إلى الممر ثانية. كانت أمامه عشر دقائق قبل أن ينطلق

القطار، ورأى أن يمضي ذهاباً وإياباً على رصيف المحطة. وفي منتصف طريقه في الممر تنحى جانباً ليمسح لسيدة بالمرور. كانت تدخل القطار لتوها والموظف يتقدمها والبطافة في يده، وفيما هي تمر قرب روبرتس أسقطت حقيبتها اليدوية، فسارع السيد روبرتس لاكتفائها وإعادتها لها.

قالت: شكراً لك أيها السيد.

كانت تكلم الإنكليزية، ولكن بلهجة أجنبية، وكان صوتها منخفضاً غني النبرة. وفيما كانت تستعد للمضي في طريقها ترددت قليلاً وتتمتعت: علداً يا سيدي، ولكنني أظنك كنت في غراس مؤخراً؟

قفز قلب روبرتس انفعالاً: سوف يضع نفسه تحت تصرف هذه المخلوقة الرائعة. كانت ترتدي معطف سفر من الفرو، وقبعة أنيقة، ولآلئ حول عنقها.

نطق روبرتس بالجواب المطلوب: نعم، في الشهر الماضي.

- هل أتت مهمت بالعمور؟

- نعم، فأنا أصنع زيتاً مركبة من الياسمين.

أحتت رأسها وعبرت ناركة وراها مجردة همسة تقول: "في الممر حالما يتحرك القطار".

بدت الدقائق العشر التالية دهوراً بالنسبة لروبرتس. وأخيراً انطلق القطار، فمشى ببطء في الممر، فوجد السيدة التي ترتدي

معطف الفرو تعالج إحدى النوافذ فخرج لمساعدتها.

قالت: "شكراً أيها السيد. قليل من الهواء قبل أن يفتلوا إغلاق كل شيء". ثم قالت بصوت منخفض سريع رقيق: بعد الحدود، وعندما ينأى صاحبنا في المقصورة (وليس قبل ذلك) اذهب إلى مكان الغسيل، ومن خلاله إلى المقصورة التي تقع عند الطرف الآخر. هل فهمت؟

قال: "نعم"، ثم أنزل النافذة وقال بصوت أعلى: أحذا أفضل يا سيدتي؟

- شكراً جزيلاً.

عاد إلى مقصورته فوجد رقيق سكره ممتدداً على السرير العلوي. وبدا واضحاً أن استعداداته لقضاء الليل كانت بسيطة تماماً، ولم تتعد -في الحقيقة- نزع حذائه ومعطفه.

فكر روبرتس في ملابسه، فبين الواضح أنه لا يستطيع أن يغير ملابسه إن كان سيذهب إلى مقصورة سيدات. وجد ثلعين خفيفين فاستبدلهما بحذائه ثم تمدد وأطفأ الضوء، وبعد وضع ذائق يدا الرجل فوقه يشخر.

بعد الساعة العاشرة بقليل وصل القطار إلى الحدود، وفتح باب المقصورة وطرح سؤال روتيني: هل لدى السجين ما يصطحب به؟ ثم أغلق الباب ثانية، وسرعان ما خرج القطار ببطء من بيلغارد.

عاد الرجل في السرير العلوي للشخير ثانية، وانتظر روبرتس

نحواً من عشرين دقيقة، ثم أنزل وقفاً وفتح باب غرفة المرافق الصحية. وعندما أصبح داخلها أقفل الباب خلفه ونظر إلى الباب المقابل في الجهة الأخرى. لم يكن ذلك الباب مقفلاً، وتروى قليلاً، أتوجب عليه أن يقرع الباب؟

ربما كان من السخافة أن يقرعه، ولكنه لم يتردد كثيراً للدخول دون قرع الباب. وأخيراً وجد حلاً وسطاً: فقد فتح الباب بهدوء بضعة سنتيمترات ثم انتظر، بل إنه جازف بسبعة خطيفة.

جاء الجواب سريعاً: فقد فتح الباب، وأمسكت قبضة بذرأه وشدته إلى داخل الغرفة، ثم أغلقت الفتحة الباب وأقفله خلفه.

حبس روبرتس أنفاسه؛ إذ لم يسبق له أن تخيل نفسه وسط مغامرات من هذا النوع. رأى الفتاة واقفة أمامه وقد استندت إلى الباب المقضي إلى الممر وهي تلهت. وكان روبرتس قد قرأ كثيراً عن مخلوقات جميلة مذعورة محاصرة، ولكنه رأى الآن واحدة من تلك المخلوقات لأول مرة!

تمت الفتاة: الحمد لله.

تكلمت بصوت منخفض مستعجل، وكانت إنكليزيتها جيدة ولكن لكتتها كانت أجنبية تماماً. قالت: إنني سعيدة جداً ببجبتك. لقد خفت خوفاً شديداً إن فاسيليتش على متن القطار. أنفهم ما يعنيه ذلك؟

لم يفهم روبرتس أبداً ما يعنيه ذلك، ولكنه أومأ برأسه بالإيجاب.

- لقد ظننت أنني تخلصت منه، ولكن كان علي أن لا أتخدر بذلك. ماذا ستفعل؟ إن فاسيليفيتش في المقصورة المجاورة لهذه المقصورة، ولا ينبغي أن يحصل على الجواهر مهما حصل.

قال روبرتس بتصميم: إنه لن يحصل على الجواهر.

- ماذا أفعل بها إذن؟

نظر روبرتس خلفها إلى الباب وقال: إن الباب مقفل.

ضحكت الفتاة وقالت: وما أهمية الأفعال عند فاسيليفيتش؟

تفاهت لدى روبرتس الشعور بأنه وسط واحدة من رواياتة المفضلة. قال لها: شيء واحد فقط يمكن فعله؛ أعطني إياها.

نظرت إليه بارتياح وقالت: إنها تساوي ربع مليون.

احمر وجه روبرتس وقال: يمكنك أن تقبي بي.

ترددت الفتاة قليلاً، ثم قالت: نعم، سأقبي بك.

ثم قامت بحركة سريعة، وبعد لحظة كانت تمد له يدها بزوج من الجوارب الشبكية المكورة. قالت لروبرتس المدهوش: خذها يا صديقي.

أخذها وفهم على الفور. فبدل أن تكون الجوارب خفيفة جداً كانت ثقيلة بشكل غير متوقع. قالت الفتاة: خذها إلى مقصورتك، ويمكنك أن تعطيني إياها في الصباح... إذا... إذا بقيت هنا.

تنحى روبرتس وقال: اسمعي، بالنسبة لك، يجب... يجب

أن أبقى في حراستك. واحمر وجهه وهو يحاول العثور على التصرف المناسب. ثم قال: "لا أعني هذا... سوف أبقى هناك. وأوما برأسه إلى مقصورة المرافق الضخمة وقال: وإن احتجيت إلي فتأذي.

قالت الفتاة بركة: "شكراً لك يا صديقي"، وإبتسمت له بإمتنان فيما عاد هو إلى غرفة المرافق.

بعد نحو ساعتين من ذلك شعر فجأة بأنه سمع شيئاً. أصغى... فلم يسمع شيئاً، ربما كان مخطئاً، ومع ذلك فقد بدا له أنه سمع صوتاً خفيفاً من المقصورة المجاورة. فماذا لو...

فتح الباب بهدوء، فوجد المقصورة كما تركها، بوجود الضوء الصغير الأزرق في السقف. وقف هناك وعيناه تحدقان إلى العتمة حتى اعتادتا عليها، ثم تكن الفتاة هناك!

أشعل ضوء المقصورة فوجدها فارغة، ثم استنشق فجأة بأنه كان في المقصورة أثر خفيف لرائحة، ولكنه مثيراً. وكانت رائحة الكلوروفورم التي تثير الدوار.

خرج من المقصورة (التي لاحظ أنها لم تعد مغلقة الآن) إلى الممر وأمعن النظر في جانيه فوجده فارغاً. ثم تركزت عيناه على الباب المجاور لباب الفتاة. كانت قد قالت إن فاسيليفيتش يحتل المقصورة المجاورة لها. وجرب روبرتس قبضة الباب بحذر شديد فوجده مقفلاً من الداخل.

ماذا يفعل؟ يطلب الدخول؟ ولكن من شأن الرجل أن يرفض، وقد لا تكون الفتاة هناك في نهاية الأمر! وإن كانت هناك فهل ستكون



مستترة له على إثارة ضجة حول الموضوع قد تسمع بها القاصي والداني؟ لقد فهم أن السرية مسألة جوهرية في اللعبة التي يلعبونها.

تمشى الرجل الضئيل الحائر في الممر ببطء، ثم توقف عند آخر مقصورة. كان بابها مفتوحاً، وقد تمدد فيها موظف القطار نائماً، وفوقه كان قد علق معطفه الرسمي البني وبقية الرسمية.

وبلحظة واحدة قرر روبرتس ما الذي سيفعله. وبعد دقيقة كان قد ارتدى المعطف والقبعة وأسرع عائداً في الممر، ثم توقف عند الباب المجاور لمقصورة الفتاة واستجمع كل عزيمته وفتح الباب بقوة.

وعندما لم يجبه أحد قرعه ثانية وقال بأفضل لهجة يستطيعها: سيدي.

فتح الباب قليلاً وأطل منه رأسه... وكان رأس امرئ أجنبي، حليق اللحية ذي شارب أسود. كان وجهاً غاضباً شديداً. قال الرجل بحدة: ما الأمر؟

قال روبرتس: "جواز سفرك يا سيدي". ثم تراجع قليلاً وأشار للرجل بالخروج.

تردد الآخر قليلاً ثم خرج إلى الممر، وكان روبرتس قد وضع حساباته على أساس هذا الخروج للرجل. لأنه إن كان يحتفظ بالفتاة في الداخل فمن الطبيعي أن لا يسمح للموظف بالدخول. وهكذا تصرف روبرتس بسرعة البرق فدفع الأجنبي جانباً بكل قوته (ولم يكن الرجل مستعداً لذلك، كما أن تأرجح القطار ساعد في الأمر) ثم دخل إلى المقصورة فأغلق بابها وأقفله.

كانت الفتاة ممددة عند طرف السرير وقد غطت فيها كمامة ورُبط راسها معاً، حررها بسرعة فقالت ببطء: أشعر بضعف وإعياء شديدتين. أظنه كان الكلوروفورم. هل حصل على الجواهر؟

ربت روبرتس على جيبه وقال: لا، ما الذي سيفعله الآن؟

جلست الفتاة، وكانت حواسها تستيقظ فاستوعبت الزلزال الذي يليه وقالت: يا له من ذكاء منك! كيف فكرت في ذلك؟ لقد قال إنه سيقتلني إن لم أخبره عن مكان الجواهر، وقد كنت خائفة جداً... ثم أتيت أدت.

ثم ضحكت فجأة وأضاعت: ولكننا كنا أدنى منه! لن نجترأ على فعل شيء، بل إنه لا يستطيع حتى محاولة العودة إلى مقصورته. يجب أن يبقى هنا حتى الصباح، ربما غادر هو القطار في محطة ديجون، فالقطار يتوقف هناك بعد نحو نصف ساعة. سوف يرسل برقية إلى باريس، وسوف يتبعون أثرنا هناك. وفي غضون ذلك يُستحسن أن ترمي هذا المعطف والقبعة من النافذة؛ فقد يورطناك في متاعب كثيرة.

أطاعها روبرتس فيما قالت بتصميم: ينبغي أن لا ننام. يجب أن يبقى حترمين حتى الصباح.

وكانت ليلة حراسة عربية مشيرة، وفي الساعة السادسة صباحاً فتح روبرتس الباب بجذو ونظر إلى الخارج فلم يرَ أحداً. انسلت الفتاة بسرعة إلى مقصورتها ثم تبعها روبرتس، وكان من الواضح أن المقصورة قد تم تفريغها. ثم عاد روبرتس إلى مقصورته عبر غرفة المرافق ليجد صاحبه ما يزال يشخر.

وصلا باريس في الساعة السابعة. وكان الموظف يشكو من فقدان معطفه وقبعته، ولم يكن قد انتبه بعد لفقدان أحد الركاب.

ثم بدأت واحدة من أمتع الملاحظات. فقد استقل روبرتس والفناء سيارة أجرة بعد سبابة في شوارع باريس، ودخلا غداق ومطاعم من أبوابها ليخرجا من أبواب خلفية أخرى، وفي النهاية تنهدت الفتاة وقالت: أشعر الآن بالثقة من أننا غير مُلاحَظين. لقد تخلصنا منهم.

تناولا طعام الإفطار ثم ركبا سيارة إلى مطار بورجيه، وبعد ثلاث ساعات كانا في مطار كرويدن في لندن (ولم يكن روبرتس قد ركب طائرة من قبل). وفي مطار كرويدن كان بانتظارهما رجل طويل يشبه قليلاً الرجل الذي التقاه روبرتس في جنيف، وقد حيا الرجل الفتاة باحترام خاص، ثم قال: السيارة هنا يا سيدتي.

قالت الفتاة للرجل: "سبراقنا هذا السيد يا بول"، ثم قالت لروبرتس: "أقدم لك الكونت بول سيباني.

كانت السيارة سيارة ليموزين واسعة، وقد سارت بهما زهاء ساعة ثم دخلت حدائق بيت ريفي حتى توقفت أمام منزل ضخم مهيب أشبه بالقصر. وقد أخذ السيد روبرتس إلى غرفة قرشت على شكل مكتب خاص، وهناك قام بتسليم زوج الجوارب الثمين، ثم ترك وحيداً ليريه سرعان ما عاد بعدها الكونت سيباني وقال: سيد روبرتس، لك منا كل شكر وامتنان. لقد أثبت أنك رجل شجاع واسع الحيلة.

ثم مدَّ يده بعلبة موزكشة حمراء وقال: اسمح لي أن أمتحك

وسام سينت ستانيسلاوس من الدرجة العاشرة مع رتبة الشرف.

فتح روبرتس العلبة وكأنه في حلم ونظر إلى الوسام المرصع بالجواهر، وكان الرجل العجوز مستمراً في كلامه: إن الدوقة أولغا تحب أن تشكرك بنفسها قبل أن تغادر.

أخذ إلى غرفة جلوس كبيرة، وهناك رفقت رفيقة مقفلة وهي تبدو شديدة الجمال في ثوبها السابغ، ثم أشارت بيدها إشارة أمره فتركها الرجل الآخر. قالت الدوقة: "إنني مدينة لك بحياتي يا سيد روبرتس". ثم انحنت تجاهه وقالت: أنت رجل شجاع.

كان ما يزال في حلم عندما غاب له أحدهم: "ستأخذك السيارة إلى حيث تريد..." وبعد ساعة من ذلك عادت السيارة إلى الدوقة أولغا، فصعدت إليها هي والرجل ذو اللحية البيضاء، وكان قد نزع لحيته بسبب الحر. وأُنزلت السيارة الدوقة أولغا في بيت في منطقة ستريزام، وحين دخلت الفتاة البيت رفعت امرأة كهلة بصرها عن مائدة الشاي وقالت: أه، عزيزي ماغي؟ ما جد حبّ أخيراً.

في القطار السريع الذي يربط جنيف وباريس كانت هذه الفتاة الدوقة أولغا، وفي مكتب السيد باركر باين كانت مادلين دي سارا، وفي البيت في منطقة ستريزام كانت ماغي سايرز، الابنة الرابعة لعائلة عاملة شريفة.

يا لسقوط العظما!



كان السيد باركر باين يتغدى مع صديقه الذي قال: تهانينا،

لقد حمل صاحبك أمانته وأوصلها دون أي عائق. لا بد أن عضاية  
تورمالي قد جُنْ جنونها وهي تفكر أن مخططات ذلك المدفع قد  
ذهبت إلى عصابة الأمم. هل أخبرت صاحبك بما كان يحصل؟

- لا، فلقد رأيت أن من الأفضل أن... أن أضيف شيئاً قليلاً  
من الإلهاء.

- إنه نكتهم شديد منك.

- لم يكن تكسباً بالضغط. لقد أردت له أن يستمتع؛ تخيلت أنه  
قد يجد مسألة المدفع مملة قليلاً، وأردت له أن يغامر قليلاً.

قال السيد بونينغتون وهو يحدق إلى صاحبه: مملة؟ لقد كان  
من شأن تلك الجماعة أن تقتله بمجرد رؤيته.

- نعم، ولكنني لم أرد له أن يقتل.

- هل تبيع الكثير من المال في عملك يا باركر؟

- أحياناً أخسر المال... إن كانت القضية تستحق ذلك.

\*\*\*

كان ثلاثة رجال يتلاومون في باريس. قال أحدهم: لقد خدّنا  
ذلك الشقي هوبر!

قال الآخر: إن المخططات لم يأخذها أحد من أفراد المكتب،  
ولكنها وصلت يوم الأربعاء. أنا واثق من ذلك؛ ولذلك فإني أقول  
إنك أنت الذي أفسد الأمر.

قال الثالث بتكده: أنا لم أفسده. لم يكن علي متن القطار  
أي إنكليزي باستثناء موظف صغير، وهذا الموظف لم يسمع أبداً  
بالمدفع أو ببيتر فيلد. أنا واثق من ذلك؛ لقد اختبرته، ولم يكن  
بيتر فيلد أو المدفع يعني له شيئاً.

ثم ضحك بعينق وقال: لقد كانت عنده عقدة البلاشفة على  
نحو ما.

\*\*\*

كان السيد روبرتس يجلس أمام الموقد، وعلى ركبته رسالة  
من السيد باركر باين، وكان في الرسالة شيك بخمسين جنيهاً «من  
أناس معينين سرتهم الطريقة التي نُفذت بها المهمة».

وعلى ذراع كرسية كانت الرواية التي يقرأها. فتجها السيد  
روبرتس لا على التحين وقراً: «وتراجعت عند الباب كمخلوقة  
جميلة محاصرة خائفة»... إنه يعرف تماماً ماذا يعني ذلك. ثم قرأ  
جملته أخرى: «تنشق الهواء، فتسلل إلى أنفه أثر خفيف من رائحة  
الكلوروفورم التي تبعث الدوار»... وهذا أيضاً ما يعرف معناه تماماً.

تهدد السيد روبرتس. لم يكن ذلك جليماً؛ فقد حدث كله بالفعل.  
لقد كانت رحلة الذهب مملة تماماً، أما رحلة العودة فقد استمتع بها  
ولكنه كان سعيداً إذ عاد إلى بيته ثانية. شعر - على نحو غامض - بأن  
الحياة لا يمكن أن تعاش بشكل دائم على تلك الوثيرة.

ستعود ماري والأطفال إلى البيت غداً. وابتسم السيد روبرتس  
بفرح حين تخيلها وهي تقول: «لقد قضينا إجازة رائعة، لقد كرهت

التفكير بك وأنت تعيش وحيداً هنا يا عزيزي المسكين.. وميقول  
هو: "لا بأس بذلك يا فتاتي، لقد اضطررتُ للذهاب إلى جنيف لأداء  
عمل للشركة... بعض المفاوضات الحساسة... وانظري ماذا أرسلوا  
لي!" وسوف يريها شيك الجنيهات الخمسين.

ثم فكر بوسام سينت ستانيسلاوس من الدرجة العاشرة مع مرتبة  
الشرف. لقد خباء، ولكن ماذا لو عثرت ماري عليه! سيطلب ذلك  
الكثير من التفسير.. ولكن، ما الذي يهم؟ سيقول لها إنه اشتراه من  
الخارج على سبيل الذكرى.

فتح كتابه ثانية وقرأ بسعادة. لم يعد على وجهه تعبير كآبة...  
فهو أيضاً أصبح من تلك الفئة المعجدة التي تحدث لها الأمور.

\*\*\*

قُدِّمَ اسم السيدة أبنر رايمر إلى السيد باركر باين، وقد عرف الاسم ورفع حاجبيه. ومرعان ما أدخلت زبونتة إلى الغرفة.

كانت السيدة رايمر امرأة طويلة القامة غليظة العظام ذات جسم فظيع، ولم يفلح في إخفاء هذه الحقيقة ثوبها المخملي ولا معطف الفرو الذي ترتديه. كانت سلاميات كفها بارزة، وكان وجهها ضحماً عريضاً شديد السحرة، ولكن شعرها الأسود كان مصففاً حسب الموضة، وفي فمعتها الكثير من ريش النعام.

ألقت بنفسها على كرسي وهي تؤمئ برأسها قائلة: "صباح الخير". كان في صوتها نبرة خشنة، وأضافت تقول: (إن كنتَ بارعاً حقاً في عملك فأخبرني كيف أصرف أموالي!)

ثم السيد باركر: سؤال فريد مبكر. قليلون هم من يعلِّبون مني ذلك في هذه الأيام. إذن فأنت تجددين حقاً صعوبة في ذلك يا سيدة رايمر؟

قالت السيدة بأسلوب فج: نعم. إن لديّ ثلاثة معاصف قراء، والكثير من الملابس الباريسية وغيرها، ولديّ سيارة، وبيت في باروك لين. ولدي يخت، ولكنني لا أحب البحر. ولدي الكثير من لواتك الخدم الذين يعملون لدى الطبقات الراقية، ممن ينظرون إليك



شيراً. وقد سافرت قليلاً ورايت بلداناً عديدة. ولا أجد ما أفعله أو أشتره غير ذلك.

ثم نظرت بأمل إلى السيد باركر باين، فقال: ماذا عن التبرع للمستشفيات؟

- ماذا؟ أتعني أن أوزع مالي؟ كلا، هذا ما لن أفعله؟ دعني أؤكد لك أن هذا المال قد جاء للعمل... وبالعامل الشاق أيضاً. فإن كنت نظن أنني سأعطيه هكذا بكل سهولة فانت مخطئ تماماً. إنني أريد صرفه... صرفه والاستفادة منه بشكل ما. فإذا كانت لديك أية أفكار قيمة في هذا الإطار أمكن لك أن تتوقع أجراً معجزياً.

- إن عرضك يثير اهتمامي. أنت لم تشيرني إلى امتلاكك أي بيت زيني.

- نسيت الإشارة إليه، ولكنني أملك واحداً، وقد تلتني ملائكة.

- ينبغي أن نخبرني بالمزيد عن نفسك؛ فمشكلتك ليست سهلة الحل.

- سأخبرك بكل استعداد؛ فانا لست خجلة من أصلي. لقد عملت في بيت في إحدى المزارع عندما كنت فتاة، وكان عملاً شاقاً أيضاً. ثم بدأت الاهتمام بالبر. وكان عملاً في مطحنة قهوة، وقد بقي يطلب ودي ثمانية أعوام، ثم تزوجنا.

- وهل كنت سعيدة؟

- نعم. فقد كان أثير رجلاً طيباً معي. وقد جاهدنا معاً أشد

الجهاد، إذ فقدنا عمله مرتين، وكان الأطفال يأتون تبعاً. أتعجب أربعة أطفال، ثلاثة صبيان وبنات. ولكن آيا منهم لم يعش ليكثر، وأظن أن الأمر كان سيختلف لو أنهم عاشوا.

رق وجهها وبدأت فجأة أصغر عمراً، ثم أكملت قائلة: كان صدر أثير ضعيفاً، وقد امتنعوا عن أخذه إلى الحرب، ولكنه أبلى بلاء حسناً هنا في الوطن. فقد جعلوه مشرفاً على العمال، وكان رجلاً ذكياً، فابتكر عملية جديدة في الإنتاج، وعلى القول إنهم عاملوه بشكل منصف؛ فقد أعطوه مبلغاً جيداً مقابل ابتكاره. وقد استعمل ذلك المبلغ لتطوير فكرة أخرى من أفكاره، وقد جلب ذلك المال من كل حذب وصوب... وما زال المال يأتي. ولقد كان الأمر في البداية ممعناً جداً. بعد أن امتلكتنا منزلاً وخدمنا خاصين... ولم تعد بالمرء حاجة لإتعايب نفسه بالطبخ والتنظيف والغسيل. كنت أكتفي بالجلوس على وسائد الحرير وأرقع الجوس لطلب الشاي... كما تفعل أية كاثوليكية! كان ذلك ممعناً جداً، وقد تمتعنا به. وبعد ذلك جئنا إلى لندن، ودعيت إلى أفضل الخياطين لتفصيل ملابسي. وذهبت إلى باريس والريفيرا... كانت متعة كبيرة.

- وبعد ذلك؟

- أظن أننا اعتدنا ذلك. فبعد فترة لم يعد الأمر يبدو ممعناً، بل لقد مرت أيام لم تعد نشتهي فيه الطعام بشكل جيد... نحن الذين كان يوسعنا أن نختر ما يحلو لنا من طعام! وبدأت صحة أثير تقلقه فلدعنا للأطباء مبالغ كبيرة، ولكنهم لم يستطيعوا فعل شيء. حاولوا مختلف الطرق والأساليب والأدوية، ولكن دون فائدة. ومات أثير.

توقفت قليلاً وقالت: كان شياً، لا يبدو الثالث والأربعين.

أوما السيد باين برأسه متعاطفاً، وأكملت هي تقول: كان ذلك منذ خمس سنوات. والنال ما يزال يتدفق، ويبدو من المؤسف أن لا يستطيع المرء فعل شيء به. ولكن كما أخبرتك، فإنني لا أستطيع التفكير بشيء لم أحصل عليه أساساً.

أي أن حياتك مملّة، وأنت لا تستعين بها.

قالت السيدة وايمر بنحيم: لقد مشيتها. ليس لدي أصدقاء، ومعارفي الجدد لا يريدون إلا تبرعات. وهم يضحكون مني وراء ظهري. وأصدقائي القدامى لا يريدون أية علاقة معي؛ فهم يخرجون من ظهوري في سيارة فاخرة. هل تستطيع فعل شيء أو اقتراح شيء؟

- ربما كان ذلك ممكناً، سيكون الأمر صعباً، ولكنني أظن أن لدينا فرصة للتناجح. أظن أن من الممكن أن أعيد لك ما فقدته... أي اعثامك بالحياة.

سألت السيدة وايمر باقتضاب: كيف؟

- هذا سري المهني، وأنا لا أكشف ومائتي مُسبقاً: السؤال هو: هل ستقبلين على التجربة؟ إنني لا أضمن النجاح، ولكنني أظن - فعلاً - أن الفرصة لا بأس بها للتناجح. ولكن علي أن أتبع أساليب غير اعتيادية، ولذلك فسيكون الأمر مُكلفاً، وستكون أجوري ألف جنيه تُدفع مقدماً.

قالت السيدة وايمر: بامتحسان: أنت جريء في طلب أجور

عالية، اليس كذلك؟ حسناً، سأجازف بهذا: إنني معفاهة على دفع أعلى الأسعار، إلا أنني عندما أدفع شيئاً لشيء فإنني أحرص كثيراً على نيله.

- ستباليين ما تحين؟ لا تخافي.

نهضت السيدة وايمر قائلة: سأرسل لك الشيك هذا المساء. لا أعرف لماذا عصاي اتى بك... يُقال إن الأحقق وماله سرعان ما يفتقران، وأظنتي حقاً! لا بد أنك تمنع بالشجاعة حتى تُعلن في كل الصحف أن بوسعك إسعاد الناس!

- إن هذه الإعلانات تكلفني مالا، وإن لم أستطع أن أكون عند كلامي فإن ذلك المال سيذهب سُدى. إنني أعرف أسباب النعامة، ونتيجة لذلك فإن لدي فكرة واضحة عن كيفية إحداث القرب المغاير لها.

هزت السيدة وايمر رأسها بارتياح وغادرت، تاركة خلفها سحابة من العطور الثمينة المخلوطة.

دخل كلود لورتل الرسيم إلى المكتب وقال: أهو عمِل يدخل في دائرة اختصاصي؟

هو السيد باين رأسه وقال: ليس الأمر بهذه السهولة. لا، هذه القضية صعبة، وأخشى أن يكون علينا الإقدام على بعض التجاوزات التي ينبغي أن تجرب فيها ما هو غير تقليدي.

- السيدة أوليفر؟

انقسم السيد باين للذكر الزاوية المشهورة عالمياً وقال: السيدة أوليفر أكثر تقليدية منا جميعاً، إنني أفكر بعملية جريئة! وبالمناسبة، بوسعيك أن تتصل لي بالدكتور أنثروباس.

- أنثروباس؟

- نعم. فستكون بنا حاجة لخدماته.



بعد أسبوع من ذلك دخلت السيدة رايمر مكتب السيد باركر باين من جديد، فنهض ترحيباً قائلاً: أؤكد لك أن هذا التأخير كان ضرورياً. فقد تحين ترتيب الكثير من الأمور، واضطرت لتأمين خدمات رجل غير عادي اضطر لقطع نصف أوروبا ليأتي إلى هنا.

تأوهت بارثاب: فقد كانت في ذهنها - بشكل دائم - حقيقة أنها دفعت شيكاً يبالغ ألف جنيه، وأن ذلك الشيك قد ضُرف.

ضبط السيد باركر باين جرساً، فأجابته فتاة سمراء شرقية السميت تريتدي ذي الممرضات. قال لها: أكل شيء جاهز أيتها الممرضة دي سارا؟

- نعم؟ إن الدكتور كونسيتين ينتظر.

سألت السيدة رايمر بشيء من عزم الارتياح: ماذا ستفعل؟

- سأعزفك على شيء من السحر الشرقي يا سيدتي العزيزة.

تبعث السيدة رايمر الممرضة صعوداً إلى الطابق العلوي، حيث تم اصطحابها إلى غرفة لا علاقة لها بباقي غرف البيت، فقد غطت

جدرانها الشطرات الشرقية، وكان فيها عدد من الأرائك والوسائد الناعمة والسجاد الجميل على الأرض. وكان هناك رجل يكتب على مغللة قهوة. اعتدل الرجل عند دخولها، وقالت الممرضة: الدكتور كونسيتين.

كان الدكتور يرتدي ملابس أوروبية، ولكن وجهه كان شديد السمرة، كما كانت عيناه سوداوين غامضتين وفي نظريهما قوة تقادة غريبة.

قال بصوت منخفض مهتز: هذه هي مريضتي إذن؟

قالت السيدة رايمر: أنا لست مريضة.

- جسدك ليس مريضاً، ولكن روحك سئفة. ونحن - في الشرق - نعرف كيف نشفي هذا المرض. اجلسي واشربي قنجاناً من القهوة.

جلست السيدة رايمر وتقبلت قنجاناً صغيراً من القهوة الثقيلة ذات النكهة القوية، وفيما كانت ترتشفه تحدث الدكتور: هنا في الغرب يعالجون التجسد فقط. وهذا خطأ؛ فالجسم لا يعدو أن يكون آلة موسيقية يُعزف عليها لحن. وربما كان ذلك اللحن حزناً سيماً، وربما كان لحناً فرحاً مليئاً بالبهجة. وهذا الأخير هو ما سنعطيك إياه، إن لديك مالا، وسوف تصرفينه وتتمتعين. وسوف تكون الحياة جذابة بالعيش من جديد. إنه أمر سهل... سهل... سهل جداً...

وحف على السيدة رايمر إحساس بالارتخاء، وغداً جسم الطبيب والممرضة غائماً بالنسبة لها. شعرت بسعادة عميقة ونعاس،

ثم غدا جسم الدكتور أكبر. كان العالم كله يغدو أكبر.

كان الدكتور ينظر في عينيها ويقول: نامي، نامي. إن جفنيك ينغلقان... وستنامين حالاً. ستنامين... ستنامين.

أغلقت السيدة رايمر جفنيها وغابت في عالم واسع رائع.



عندما فتحت عينيها بدا لها أن وقتاً طويلاً قد انقضى. تذكرت عدة أشياء على نحو غامض... أحلاماً غريبة، ثم شعوراً باليقظة، ثم مزيداً من الأحلام. تذكرت شيئاً عن سياره والفتاة الجميلة السمره في ثياب المبرحة تنحني فوقها.

وعلى أية حال فقد كانت مستيقظة تماماً الآن، وهي في سريرها الخاص.

ولكن، أكان ذلك سريرها حقاً؟ إنها تحس به مختلفاً... إنه يفتقر إلى النعومة اللينة لسريها الخاص. كان يذكرها - على نحو غامض - بأيام. كادت تنسى. تحركت لأصغر السرير صبراً، لم يكن سرير السيدة رايمر في بارك لين يصغر أبداً.

نظرت حولها، من المؤكد أن هذا ليس بيتها في بارك لين. أكان مستشفى؟ رأت أنه لم يكن مستشفى، كما أنه ليس فندقاً. كانت غرفة خالية من الأثاث. جدرانها ذات لون ليكني باهت، وكانت فيها مقسلة عليها إبريق. كما كان هناك صندوق من خشب الصنوبر ذو أذواج، وصندوق معدني، بالإضافة إلى العديد من الثياب غير

المألوفة معلقة على أوتاد في الجائط، وأخيراً هذا السرير المغطى بلحف كثير الرقع، وكانت هي تمام فيه.

قالت السيدة رايمر: أين أنا؟

فُتح الباب ودخلت امرأة قصيرة سمينة. كانت ذات خدين متوردين وشكل يوحى بالمرح وجب المزاح، وقد رفعت أكمامها وارتدت صدرية الخدم. هضت المرأة: تعال! لقد استيقظت، ادخل يا دكتور.

فتحت السيدة رايمر فمها لتقول عدة أشياء... ولكن تلك الأشياء بقيت دون أن تُقال، ذلك أن الرجل الذي لحق بالمرأة السمينة إلى الغرفة لم يكن يشبه في شيء الدكتور كونسنتين المهيب الأسمر. كان هذا الرجل عجوزاً محدودب الظهر ينظر من خلال نظارات سمكة.

قال وهو يقرب من السرير ويأخذ راسع السيدة رايمر بيده: هذا أفضل، ستكونين الآن أفضل حالاً يا عزيزتي.

سألت السيدة رايمر: ما الذي أصابني؟

- لقد أصابك نوع من السمكة، وقد غيبت عن الوعي يوماً أو يومين. ولكن ليس لديك ما يُقلق.

قالت المرأة السمينة: لقد أفرغتنا يا حنة... وقد كنت تهذين أيضاً، وتقولين أغرب الأمور.

قال الطبيب مؤثباً: نعم، نعم يا سيده غارونر، ولكن ينبغي أن

لا تأثير التمريض، سرعان ما يستوفين وأنت بأفضل صحة يا عزيزتي.

قالت السيدة غاردنر: ولكن، لا تقلقي على العمل يا حنة؛ لقد جاءت السيدة روبرتس لمساعدتي، وقد عملنا كل ما يجب عمله، ابقي فقط في سريرك وتحبني يا عزيزتي.

قالت السيدة رايمر: لماذا تسميني حنة؟

قالت السيدة غاردنر: وقد فوجئت؛ لأنه اسمك!

- كلا، إنه ليس اسمي؛ فاسمي هو إميليا، إميليا رايمر، زوجة أبنير رايمر.

تبادل الطبيب والسيدة غاردنر النظرات، ثم قالت الأخيرة: "حسناً، ولكن تمديدي فقط." وأضاف الطبيب: نعم، نعم، لا تقلقي.

ثم انسحبا فيما تمددت السيدة رايمر وهي حائرة تفكر: لماذا اسمياها حنة، ولماذا تبادلنا نظرة عدم التصديق الغريبة تلك عندما أعطيناها اسمها؟ أين هي وما الذي حدث؟

تسللت من السرير. وقد شعرت بشيء من الضعف في ساقها، ولكنها مشيت ببطء إلى النافذة الصغيرة النافذة عن السطح المشجر المائل، ثم نظرت منها... إلى ساحة مزوقة؛ عادت إلى السير وهي شديدة الحيرة، ما الذي تتعله في بيت تابع لمزرعة لم تره أبداً من قبل؟ عادت السيدة غاردنر فدخلت الغرفة حاملة طابخة من الحساء على صينية.

بدأت السيدة رايمر استئثارها: ما الذي أفعله في هذا البيت؟ من الذي أتى بي إلى هنا؟

- لم يأت بك أحداً يا عزيزتي. إنه بيتك، وقد عشت فيه خلال العنوات الخمس الماضية... دون أن أشك مرة واحدة بأنك تتعرضين لهذه الثوبات.

- عشت هنا! خمس سنوات؟

- نعم. لا أحسبك تقصدين أنك ما زلت لا تذكرين يا حنة؟

- أنا لم أعش هنا أبداً! إنني لم أرك أبداً من قبل.

- أرايت، لقد تعرضت لهذا المرض وتسيبت.

- إنني لم أعش هنا أبداً.

- ولكنك عشت يا عزيزتي.

وفجأة اندفعت السيدة غاردنر إلى صندوق الأدراج وأحضرت للسيدة رايمر صورة باهتة مؤطرة.

كان في الصورة مجموعة من أربعة أشخاص: رجل قوالبية، وامرأة سمينة (هي السيدة غاردنر)، ورجل طويل نحيل ذو ابتسامة خنجرية مريضة، وامرأة في ثوب مشجر وصدريه خدم... وهذه الأخيرة هي نفسها!

خدعت السيدة رايمر إلى الصورة وقد ذهلت. وضعت السيدة غاردنر الشربة بقرنها وغادرت الغرفة بهدوء.

احتست السيدة رايمر الشربة بصورة آلهة، وكانت لقيدة ثقيلة



ساحية. وكان عقلها طوال الوقت في دوامة: من الذي كان مجنوناً؟ السيدة غارودنر أم هي؟ لا بد أن أحدهما مجنون! ولكن كان هناك الطبيب أيضاً.

قالت لنفسها بنيات: أنا إميليا رايمر. أعرف أنني إميليا رايمر ولن يقتعني أحد بغير ذلك.

كانت قد أنهت نساءها وأعادت الطاسة إلى الصبغة. جذبت انتباهها صحيفة مطوية فأخذتها ونظرت إلى تاريخها. ١٩ تشرين الأول (أكتوبر). في أي يوم ذهبت إلى مكتب السيد باركر باين؟ إما يوم الخامس عشر أو السادس عشر. لا بد أنها مريضة - إذن - منذ ثلاثة أيام. قالت بغضب: يا لذلك الطبيب المخادع؟

ومع هذا فقد أحست بقليل من الارتياح. لقد سمعت بحالات نسي الناس فيها هويتهم لسنوات عديدة، وكانت خائفة من أن يكون شيء من هذا القبيل قد حدث لها.

بذات قلب صفحات الصحيفة، وتستعرض أعمدها من دون ميالة فيجذب نظرها - فجأة - قفزة معينة.

تم أمس نقل السيدة أثير رايمر، أوملة أثير رايمر، إلى مصحة خاصة للأمراض العقلية. وكانت قد أصرت خلال اليومين الماضيين على القول إنها ليست نفسها، بل هي خادمة تدعى حنة مورهاوس.

قالت السيدة رايمر: حنة مورهاوس! هذه هي القضية إذن؟ هي أنا وأنا هي، كنوع من الغرينة كما أفنت! حسناً، يومئذ نسوة ذلك

حالات! إن كان ذلك المداين باركر باين يتوي القيام بلعبة ما...

ولكن في هذه اللحظة وقعت عينها على صورة كونستين وهو يتحدث إليها من الصحيفة. وقرأت عنواناً يارزاً هذه المرة:

زعم الدكتور كونستين

في محاضرة وداعية أُلِّيت ليلة أمس عشية مغادرته إلى اليابان، عرض الدكتور كلاود بوس كونستين بعض النظريات المدهشة: فقد صرح أن من الممكن نقل الروح من جسد إلى آخر. وهو يزعم أنه -خلال تجاربه في الشرق- قد نجح في إجراء نقل مزدوج - حيث تم نقل روح الجسد «أ» المتيقن مغتصباً إلى الجسد «ب» ونقل روح الجسد «ب» إلى الجسد «أ». وعندما زال أثر التوهم المغتصب أعلن «أ» أنها «ب»، كما فُتت «ب» أنها «أ». وبغية نجاح التجربة، كان من الضروري العثور على شخصين متشابهين كثيراً من الناحية الجسدية. وكان أحد المظاهر التي لا شك فيها أن وجود شخصين متشابهين تماماً يعني وجود استنساخ بينهما. وقد لوحظ ذلك كثيراً في حالة التوائم، ولكن تبين أن شخصين غربيين بعضهما عن بعض تماماً ولكل منهما منزلة اجتماعية مختلفة يمكن أن يُظهرا نفس الاستنساخ إن كان لديهما تشابه ملحوظ في القسمات والملامح.

رمت السيدة رايمر الصحيفة من يدها وصاحت: يا للوعاء،

يا للوعاء الشقي!

فهت الأمر كله الآن! لقد كانت مؤامرة غريبة للحصول على أموالها. وقد كانت حنة مورهاوس هذه أداة بيد باركر باين... وربما كانت أداة بريئة. لقد قام هو وذلك الدكتور كونستين بتفحيز هذا الفصل العجيب.

ولكنها ستفصحها، وستكشف أمره، وستعدي عليه القانون! ستخير الجميع...

توقفت السيدة رايمر - فجأة - في أوج سخطها حين تذكرت الفقرة الأولى؛ إذ أن حنة مورهاوس لم تكن أداة سهلة القيادة. لقد احتجت وأعلنت هويتها، وما الذي حدث؟ قالت السيدة رايمر: لقد أقيمت السكينة في مصحة للأمراض العقلية.

مرت رعدة في جسمها. مصحة أمراض عقلية. لقد أدخلوك هناك ولن يدعوك تخرجين أبداً، وكلما قلت إنك عاقلة كلما قل تصديقهم لك. هناك أنت وهناك متيقن. كلا، لن تجازف السيدة رايمر بذلك!

لم تفتح الباب ودخلت السيدة غارونر وقالت: آه، لقد تناولت حساءك يا عزيزتي. هذا جيد، ستكونين أحسن حالاً الآن.

- أكنث مريضة إذن؟

- دعيني أتذكر. لقد كان ذلك قبل ثلاثة أيام... يوم الأربعاء. كان ذلك هو الخامس عشر من الشهر. ساءت خالك في نحو الساعة الرابعة.

صاحت السيدة رايمر: "آه!" وكانت ضيحتها مليئة بالمعاني.

ذلك أن تلك الساعة هي نفسها - تقريباً - الساعة التي دخلت فيها على الدكتور كونستين.

قالت السيدة غارونر: لقد تراخيت في كرسيك وقلت "آه"، ثم قلت بصوت خالم: "إنني أقام، إنني أقام..."، ثم نمت بالفعل، فحملتك إلى السرير واستدعينا الطبيب، وبقيت منذ ذلك الحين هنا على هذا الوضع.

جاءت السيدة رايمر قائلة: أحسب أنه ما من طريقة تعرفين من خلالها من أنا... أعني باستثناء وجهي.

- غريب أن تقول ذلك. وهل يوجد أفضل من وجه المرأة وسيلة لمعرفة؟ ومع ذلك فلديك تلك العلامة منذ الولادة إن كان الوجه وحده لا يقنعك.

قالت السيدة رايمر وقد نهلت وجهها: «العلامة؟» (إذ لم تكن في جسمها مثل هذه العلامات).

- بقعة حمراء تحت مرفقك الأيسر تماماً. انظري إليها بنفسك يا عزيزتي.

قالت السيدة رايمر لنفسها: "هذا سيثبت الأمر..." فقد كانت تعرف أنها لا تملك علامة حمراء تحت مرفقها الأيسر. رفعت كم ثوب النوم عن يدها، وكانت العلامة الحمراء هناك!

وانفجرت السيدة رايمر تبكي.

\* \* \*

بعد أربعة أيام نهضت السيدة رايمر من فراشها. كانت قد فكرت  
بعدها خطط للعمل، ورفضتها.

يمكنها أن تري السيدة غاردر المقال الموجود في الصحيفة  
وتشرح لها الأمر. هل سيصدقونها؟ كانت السيدة رايمر وثقة أنهم  
لن يصدقوها.

يمكنها أن تلجأ إلى الشرطة. ولكن هل سيصدقونها؟ ومرة  
أخرى رأيت أنهم لن يصدقوها.

يمكنها أن تذهب إلى مكتب السيد باركر باين. وقد مررتها تلك  
الفكرة بالتأكيد أكثر مساعداها، وذلك لسبب واحد، وهو أنها أرادت  
أن توسع ذلك الشقي سباً وشتماً. ولكن عقبة كبرى منعتها من تنفيذ  
هذه الخطة؛ فهي الآن في كورنول (هذا ما سمعته)، وليس لديها  
من المال ما تذهب به إلى لندن؛ لم يكن وضعها المالي ليتجاوز  
شلتين وأربعة بنسات في محفظة نفود قديمة مهترلة.

وهكذا، وبعد أربعة أيام، اتخذت السيدة رايمر قراراً يتسم  
بالمساورة. فهي ستقبل الأمور كما هي في الوقت الحاضر. حنة  
نورهاوس؟ حسناً، ستكون حنة نورهاوس. ستقبل مؤقتاً هذا الدور،  
ولاحقاً، عندما تدخر ما يكفي من المال، ستذهب إلى لندن لتتحدى  
الشتمات في عقر داره.

وبما أنها قوت ذلك فقد تقبلت دورها بنفسية جيدة تماماً،  
بل حتى بسرور ساخر مزير. كان التاريخ بعيد نفسه في الواقع. لقد  
ذكرتها هذه الأيام بأيام صباها. لكن بدا ذلك بعيداً!

\*\*\*

كان العمل صعباً قليلاً بعد تلك السنوات من العيش الهنيء،  
ولكنها وجدت نفسها تعناد على نظام العمل في المزرعة بعد الأسبوع  
الأول.

كانت السيدة غاردر امرأة لطيفة طيبة المزاج، وكان زوجها  
الضخم قليل الكلام لطيفاً هو الآخر. أما الرجل التحيل الذي كان  
يظهر في الصورة فقد غادر المزرعة وحل محله رجل آخر ضخم  
الجنة مرخ في الخامسة والأربعين من عمره، بطني الكلام والتفكير،  
نرمش عيناه الزرقاوان حياءً.

ومضت الأسابيع. وفي النهاية جاء اليوم الذي توفر فيه لدى  
السيدة رايمر ما يكفيها من أن تدفع ثمن بطاقة السفر إلى لندن. ولكنها  
لم تذهب، فقد أجلت الأمر، ورأت أن لديها ثمنها من الوقت. لم  
تكن تشعر بارتياح في عقلها لمسألة مصحات السجائين. لقد كان ذلك  
الشقي باركر باين ذكياً، فمن شأنه أن يجعل أحد الأطباء يقول إنها  
مجنونة، وهكذا ستدوخ في غياهب المصحة دون أن يعلم بها أحد.  
ثم قالت لنفسها: وفوق ذلك فإن في الأمر بعض التغيير المزعج.

كانت تنهض مبكراً وتعمل عملاً شاقاً. وكان جو ويلش، عامل  
المزرعة الجليل، مريضاً في ذلك الشتاء، فقامت هي والسيدة غاردر  
برعايته. وكان الرجل الضخم مُعتمداً عليهما بشكل يثير الشفقة.

ثم جاء الربيع... وأوان ولادة الحملان، ونمت أزهار برية على  
الأسيجة، وصار الهواء نقياً منعشاً. وكان جو ويلش يساعد حنة في  
عملها، فيما كانت هي تُصلح له ثيابه، وأحياناً كانا يخرجان معاً

للمشي أيام الأحاد. كان جو أرمل ماتت زوجته منذ أربع سنين ، وقد اعترف صراحةً أنه منذ وفاتها قد بدأ يشرب الكحول.

ولكنه لم يعد يذهب كثيراً إلى حانة كراونز هذه الأيام، وقد اشتري لنفسه بعض الملابس الجديدة.

كانت حنة تضحك من جو. كانت تغليظه وتندبر على شكله الآخرق ، ولم يكن هو ينزعج لذلك ، فقد بدا سعيداً بذلك رغم عجله.

وبعد الربيع جاء الصيف... صيف جيد في ذلك العام، وقد عمل الجميع بكل جد. وأخيراً انتهى الحصاد ، واصفرت واحمرت الأوراق على الأغصان.

وفي الثامن من تشرين الأول (أكتوبر) رفعت حنة بصرها عن شجيرة كانت تقطعها فرأت السيد باركر باين يتكئ على السياج.

قالت حنة (التي كانت السيدة رايس): أنت؟ أنت يا...

واستغرق منها تفريع ما في نفسها وقتاً طويلاً، حتى إذا انتهت من قول ما تسر لها كانت أنفاسها قد تقطعت.

يا سيم السيد باركر باين يهدوء وقال: إنني أتفق معك تماماً.

قالت السيدة رايس تكرر نفسها: إنك مخادع كذاب! أنت وكونستيتك وتوئيمك المغنطيسي. وأنتم تودعون تلك الفتاة المسكينة حنة مع... المجانين.

قال السيد باركر باين: كلا، إنك نسيين الحكم علي في هذه

البقعة. إن حنة مورهاوس ليست في مستشفى المجانين... إن حنة مورهاوس لا وجود لها أبداً.

- حقاً؟ وماذا عن صورتها التي رأيتها بأمر عيني؟

- إنها مزيفة، وتدبر ذلك مسألة سهلة جداً.

- وتلك المغالة في الصحيفة عنها؟

- لقد كانت الصحيفة كلها مزيفة بحيث تكون فيها مقالتان

تبدوان طبيعيتين بحيث تُعتقدان... كما حدث بالفعل.

- يا لذلك الدكتور الدجال كونسنتين؟

- هذا اسمٌ مستعار... استعزته لضيق لي يُقنع التمثيل.

هتفت السيدة رايس: ماذا؟ وأحسب أنني ثم أنوم مختطسياً أيضاً؟

- الحقيقة أنك لم تُؤمي، بل شربت في قهوتك مُستحضراً من الأعشاب الهندية المخدرة. وبعد ذلك تم إعطاؤك أدوية أخرى ووجيء بك إلى هنا بالسيارة حيث استعدت وعيك.

- فقد كانت السيدة غاردر شريكة في الأمر منذ البداية إذن؟

أوما السيد باركر باين برأسه موافقاً قالت: وأحسب أنك رُشوتها... أو ملأت رأسها بالأكاذيب!

- السيدة غاردر تلقى بي! فقد أنقذت ابنها، يوماً، من السجن مع الأشغال الشاقة.



كان في طريقة كلامه شيء يجعل السيدة رايمر تمتنع عن متابعة ذلك الموضوع. ولكنها قالت: وماذا عن تلك العلامة على مرفقي؟

اتسم السيد باين وقال: إنها تبتلى شيء، وبعد سنة أشهر ستكون قد اختفت تماماً.

وما معنى كل هذا البهراء؟ تجعل مني أضحوكة، وتحترقني هنا كخادمة... أنا، رغم كل أموالي! ولكن لا أحسب أن بي حاجة للسؤال؛ فلا شك أنك كنت تأخذ من أموالي ما تريد يا صاحبي العزيز... هذا هو معنى الأمر كله.

صحيح أنني أخذت منك عندما كنت تحت تأثير المُخدِّر وكالة، وأنتي خلال... خلال غيابك توليت الإشراف على شؤونك المالية، ولكنني أستطيع أن أؤكد لك - يا سيدتي العزيزة - أن شيئاً من مالك لم يدخل جيبى باستثناء الجنيئات الألف الأصلية. والحقيقة أن وضعك المالي قد تحسّن عالياً بفضل الاستثمارات الحصيفة التي قُمتُ بها.

ثم اتسم لها، فبدأت السيدة رايمر تقول: لماذا إذن...

ولكن السيد باركر باين قاطعها قائلاً: أسألك سؤالاً واحداً يا سيدة رايمر. وأنت امرأة صادقة، وأعرف أنك متعجبة عن سؤالِي بصدق. إنني أسألك إن كنت سعيدة.

- سعيدة؟ هذا سؤال رائع! تنسرق أموال المرأة وتساألها إن كانت سعيدة! تعجبني وفاحشك.

- أنت ما زلت غاضبة، وهو أمر طبيعي تماماً. ولكن دعني

تصرفاتي السيئة أخرج الموضوع للحظة. عندما جئت إلى مكنتي منذ عام كامل كنت امرأة تُعسِّة يا سيدة رايمر. هل لك أن تخبريني الآن إن كنت امرأة تُعسِّة؟ إن كان الأمر كذلك فإنني أعتلو، وأنت حرة في اتخاذ أية إجراءات تحبها ضدي. ووفق ذلك فسوف أعبُد تلك الجنيئات الألف التي دفعتها لي. هيا يا سيدة رايمر... هل أنت امرأة تُعسِّة الآن؟

نظرت السيدة رايمر إليه، ثم خفضت بصرها عندما تكلمت أخيراً: لا، لمستُ تُعسِّة.

وتسللت إلى صحتها نبرة عجب وقالت: لقد غلبتني في هذه النقطة... إنني أعتز. أنا لم أكن سعيدة كما أنا الآن منذ وفاة أبي، إنني... إنني سأزوج رجلاً يعمل هنا. اسمه جو ويلش، وسأعلن خطوبتنا الأحد القادم، أعني أنها كانت ستعلن الأحد القادم.

- ولكن كل شيء قد اختلف الآن بالطبع.

توجه وجه السيدة رايمر وتقدمت خطوة للأمام قائلة: ماذا تعني بكلمة اختلف؟ أظن أنني إن امتلكْتُ كل أموال العالم فإن هذا سيجعلني «ليدي»؟ أنا لا أريد أن أكون ليدي، فهذه الطيقة عاجزة لا تصلح لشيء. جورج مناسب تماماً لي وأنا مناسبة له؛ إننا مثلاًمان معاً وسنكون سعدين. أما بالنسبة لك يا سيد باركر المتطفل - فأرجو أن تتبعد عن الموضوع ولا تتدخل فيما لا يعنيك!

أخرج السيد باركر باين ورقة من جيبه وأعطائها لها قائلاً: الوكالة. هل أمزقها؟ سوف تستعيدن السيطرة على ثروتك الآن.

ارتسم على وجه السيدة رايمر تعبير غريب، ألقت الورقة إليه



وقالت: خذها، لقد قلتُ بحقك كلاماً نائياً... وأنت تستحق بعضه.  
وانك لرجل مأكراً، ولكنني أئث بك رغم ذلك. يكفيني أن أضع  
مبعمته جنبه هنا في المصروف... نشترى بها مزرعة لنا، والباقي...  
فلتأخذ المستشفيات.

- لا أظنك تقصدين تسليم ثروتك كلها للمستشفيات؟

- هذا بالضبط ما أعنيه. إن جو رجل طيب، ولكنه ضعيف،  
وإذا ما أعطيته مالا فإنه سيحطم نفسه. لقد جعلته يترك الشرب،  
والحمد لله أنني أعرف ماذا أريد الآن. لن أسمع للمال بأن يحول  
بيني وبين السعادة.

قال السيد ياركر باين ببطء: أنت امرأة رائعة، فتادراً ما يجد  
المرء امرأة تفعل ما تفعلين.

- هذا يعني أن من التادر وجود امرأة ذات عقل.

قال السيد ياركر وفي صوته نبرة احترام: "إنني أنحني لك  
احتراماً". ثم رفع أذنيه وانحنى بكل جدية، ثم ابتعد.

صاحت السيدة رايمر خلفه: ولكن انتبه إلى أن جو ينبغي أن  
لا يعرف أبداً بالأمر!

ثم وقعت هناك وخلفها تغرب الشمس، وفي يدها شجيرة  
ضخمة خضراء، ورأسها مرفوع إلى الأعلى. وكنتها مشدودان.  
صورة مهيبة لفلاحة توظرها شمس المغيب.

\*\*\*

هل حصلت على كل ما تريد؟

- من هنا يا سيدتي!

تبعث امرأة طويلة ترتدي معطفاً من الفراء حقائقها المنقل على رصيف محطة ليون.

كانت تضع قبعة من نسج اليد وقد أنزلتها لتغطي إحدى عينيها وأذنيها، أما الطرف الآخر من الوجه فكان يُبدي صفحة وجه فاتن وخصلات شعر ذهبي تغطي أذنًا صغيرة. كان شكلها الأميركي النموذجي رائعاً بمجمعه، وقد التفت أكثر من رجل لينظر إليها وهي تعبر المقصورات الأولى من القطار الذي وقف في المحطة يستظر موعد المغادرة. وكانت على جانبي المقصورات لوحات كبيرة مثبتة على محامل وقد كُتبت عليها أسماء المحطات المختلفة للقطار: «باريس-أثينا»، «باريس-بوخاريسست»، «باريس-إسطنبول».

توقف الحتمال فجأة عند آخر لوحة من هذه اللوحات، وفكّ الحبل الذي ربط به الحقائق إلى ظهره لتستقر على الأرض بقوة وقال: ها قد وصلنا يا سيدتي.

كان موظف المقصورة واقفاً عند الدرج الصغير التابع لها. وقد تقدم وهو يقول: «مساء الخير يا سيدتي»، بنأثر ربما كان ناتجاً عن

القيمة الغالية لمعطف القرو. ثاولته المرأة بطاقة من ورق رخيص  
لعربة النوم التي حجزتها فقال: رقم ستة... من هنا.

قفز إلى الفطار برشاقة والمرأة تتبعه، وبها كانت تسرع خلفه  
في الممر كادت تصطدم برجل مربع وهو يخرج من الغرفة المجاورة  
لغرفتها. ولمحت - بسرعة - وجهاً ماثلاً ضخماً ذا عيني طيبين.

قال الموظف وهو يعرض عليها الغرفة: "تفضلي يا سيدي"،  
ثم فتح النافذة وأشار إلى الحتمال الذي أخذ الحجاب ووقعها إلى  
الرؤف، وجلس المرأة.

وضعت بقربها على المقعد حلبة قمرية صغيرة بالإضافة إلى  
حفية يدها. وكانت المقصورة حارة، ولكن لم يخطر لها أن تنزع  
معطفها. حدثت خارج النافذة المفتوحة بعينين شاردتين فيما كان  
الناس يهرعون جيئة وذهاباً على الرصيف. وكان هناك باعة يبيعون  
الصحف والوسائد والشكالات والفواكه والفاكهة المعدنية، وكانوا  
يرفعون بضائعهم أمامها، ولكن عينيها كانتا تنظران شاردتين إلى ما  
وراءهم. ابتعدت محطة ليون عن ناظرها، وكان على وجهها حزن  
وقلق.

- هل يمكن لسيدي أن تعطيني جواز سفرها؟

لم تنطبع في عقلها الكلمات، فكررها الموظف وهو يقف  
في مدخل الغرفة. رفعت إلسي جفريز رأسها جفلة وقالت: عفواً،  
ماذا قلت؟

- جواز سفرك يا سيدي.

فتحت حقيبتها فأخرجت الجواز وأعطته له، فقال: ستكون

الأمر على ما يرام يا سيدي؟ سأتولى كل شيء.

ثم ساد سكوت ذو مغزى، فأخرجت إلسي ورقة نقدية من  
فئة الخمسين فرنكاً وأعطته إياها، فقبلها بأسلوب عملي وسألها  
عن الموعد الذي تريد أن يكون فراشها جاهزاً فيه، وسألها إن كانت  
تريد تناول العشاء أم لا.

وبعد أن حُلَّت هذه المسائل السحب الرجل: وعلى الفور تقريباً  
جاء صاحب المطعم مندفعاً في الممر وهو يقرع جرسه بحماسة  
وينادي: الوجبة الأولى، الوجبة الأولى.

نهضت إلسي فزعت معطف الفراء الثقيل وألقت نظرة عجلية  
على نفسها في المرأة الصغيرة، ثم حملت حقيبتها اليدوية وعليه  
جواهرها وخرجت إلى الممر. ولم تكد تقطع خطوات قليلة حتى  
جاء عامل المطعم مسرعاً من جديد في طريق عودته، وبغية إفساح  
المجال له تراجعت إلسي خطوة إلى الخلف لتصبح عند مدخل  
الغرفة المجاورة لغرفتها، والتي كانت الآن فارغة. وبعد أن مر  
الرجل واستعدت لاستئناف مسيرتها إلى مقصورة الطعام وقع نظرها  
- مصادفة - على البطاقة الملصقة على حفية كانت على المقعد في  
تلك الغرفة.

كانت حفية كبيرة متسخة أصابها شيء من البلى، وعلى تلك  
البطاقة مكتوب «باركرواين، مسافر إلى إسطنبول». أما الحفية نفسها  
فقد كُتِب عليها الحرفان الأولان: «أب ب».

ارتسم على وجه الفتاة تغيير المفاجيء، وترددت لحظة في  
الممر، ثم عادت إلى غرفتها فأخذت نسخة من صحيفة التايمز كانت

فدو وضعتها على المائدة واستعرضت أعمدة الإعلانات على الصفحة الأولى. ولكنها لم تجد ما كانت تبحث عنه، فعدت لتسقى طريقها إلى مقصورة المطعم وقد تجهم وجهها قليلاً.

خصص لها النادل مكاناً على مائدة صغيرة كان يشغل طرفها الآخر شخص واحد... هو الرجل الذي كادت أن تصطدم به في السمر، أي مالك تلك الحقيبة في الواقع.

نظرت إلسي إليه دون أن تظهر ذلك. بدا هادئاً تماماً، وودوداً جداً، كما بدا غامضاً على نحو يستحيل تفسيره، رغم ما يبعثه شكله من طمأنينة مفرحة. تصرف بالطريقة البريطانية المستحقة، ولم يتكلم إلا بعد أن جيء بالفاكهة إلى الطاولة. قال: إنهم يجعلون هذه الأماكن حارة جداً.

قالت إلسي: أعرفه، أتمنى لو كان بالإمكان فتح النافذة.

ابتسم ابتسامة كئيبية وقال: هذا مستحيل؛ فجميع الحضور هنا سيحتاجون على ذلك، باستثنائنا نحن الاثنين.

أجابته بابتسامة منها، وسكت الاثنان.

قُدمت القهوة، ثم أحضرت الفاتورة التي لا يستطيع أحد فك رموزها. وبعد أن كتبت عليها بعض الملاحظات قررت أن تستمع شجاعتهما ويبادر، فتمت قاتلة: اعدوني، ولكي زابت اسمك على حقيبتك... السيد باركر باين. هل أنت... هل أنت؟

ترددت قليلاً فسارع لإثباتها قاتلاً: "أظني كذلك بالفعل". ثم اقتطعت من الإعلان الذي لاحظت إلسي وجوده أكثر من مرة في

صفحة التابيز ويحست عنه دون جدوى قبل قليل، فقال: أعني أنني صاحب: "هل أنت سعيد؟" إذا لم تكن كذلك فاستشر السيد باركر باين. نعم، أنا هو ذلك دون شك.

- فهمت، كم هو غريب!

هز رأسه وقال: "ليس غريباً حقاً. قد يكون غريباً من منظورك أنت، ولكنه ليس كذلك من منظوري أنا". ثم ابتسم مطمئناً وانحنى إلى الأمام قاتلاً بعد أن غادر معظم الحضور المطعم؛ إذن فأنت نعيمة، أليس كذلك؟

بدأت إلسي تقول: "إنني..."، ثم توقفت.

- لو لم تكوني كذلك لما قلت: "كم هو غريب".

سكتت إلسي للحظات، شعرت بهدوء وارتياح غريب. بمجرد وجود السيد باركر باين، ثم اعترفت أخيراً قاتلة: نعم، إنني... نعيمة. أو لنقل إنني قلقة على الأقل.

أوما برأسه متعاطفاً، فيما مضت هي تقول: لقد حدث شيء غريب جداً... ولا أعرفي أبداً كيف أفهمه.

- لماذا لا تخبريني عنه؟

فكرت إلسي بالإعلان. ولطالما كانت قد علقت عليه هي وإدوارد وضحكا. لم تحسب أبداً أنها... ربما كان من الأفضل أن تحجم عن... فإذا كان السيد باركر باين دعياً... ولكنه يبدو لطيفاً!

اتخذت إلسي قرارها؛ ستفعل أي شيء لتخرج هذا القلق من

وأشياء. قالت: سأقول لك. أنا ذاهبة إلى إسطنبول للانضمام إلى زوجي، فهو يقوم بالكثير من الأعمال المتعلقة بالشرق، وقد رأى ضرورة للذهاب هناك هذا العام. وقد سافر قبل أسبوعين على أساس أن يرتب الأوضاع كي أنضم إليه. وقد تأثرت جداً بهذه الفكرة؛ فأننا لم نسافر إلى الخارج أبداً من قبل (ولأن كنا قد قضينا ستة أشهر في إنكلترا).

- هل أنت وزوجك أميركيان كلاهما؟

- نعم.

- وربما لم تتزوجا منذ أمد بعيد، اليس كذلك؟

- تزوجنا منذ ما يقرب من عام ونصف.

- وكان زواجاً سعيداً؟

قالت: "آه، نعم! إدوارد شخص رائع. ربما لم يكن لديه الكثير من الحيوية والحماسة. إنه نوعاً ما... لنقل إنه شديد الاستقامة". ثم أضافت بسرعة: ولكنه رائع.

نظر إليها السيد باركر باين متأملاً للخطبات ثم قال: استعزي.

- يعد سفر إدوارد بأسبوع كنت أكتب رسالة في مكتبه، وقد لاحظت أن ورق الشفاف كله جديد ونظيف باستثناء بضعة أسطر عليه. وكنت قد قرأت "لوي" قصة بوليسية كان أحد مفاتيح اللغز فيها ما هو ظاهر على الورق الشفاف من كتابة. ومن ياب المتعة والفضول فقط أمسكت بورقة الشفاف أمام المرأة لأعكس كتابتها. كان ذلك -حقاً- بدافع المتعة فقط يا سيد باين... أعني أن إدوارد

أشبه بحمل وضيع لا يمكن للمرء أن يحلم أن يرى منه أي شيء من ذلك القبيل.

- نعم، نعم. إنني أفهم تماماً.

- كان من السهل تماماً قراءة ما هو مكتوب. كان هناك أولاً كلمة "زوجة" ثم "قطار سيمبلون السريع"، وتحت ذلك كتب: "قبل البندقية تماماً سيكون أفضل وقت".

ثم توقفت، فقال السيد باين: أمر غريب، غريب تماماً. وكان الخط خطأ زوجك؟

- نعم، ولكنني عصرتُ فكري فلم أستطع أن أتخيل أي طرف يمكن لزوجي أن يكتب فيه رسالة ليس فيها إلا تلك الكلمات.

كرر السيد باين: "قبل البندقية تماماً سيكون أفضل وقت". أمر غريب فعلاً.

كانت السيدة جيفريز قد مالت إلى الأمام وهي تنظر إليه بأمل متلهف وسألت ببساطة: ماذا أفعل؟

قال: "أخشى أن يكون علينا الانتظار حتى الوصول إلى ما قبل البندقية". ثم أخذ ثشرة عن الطاولة وفتحها قائلاً: ها هو ذا جدول مواعيد فطارنا إنه يصل إلى البندقية في الثانية وسبع وعشرين دقيقة من بعد ظهر الغد.

تبدلاً للنظرات، ثم قال السيد باركر: انركي الأمر لي.

\*\*\*



كانت الساعة الثانية وخميس دقائق، وكان قطار سيمبلون السريع قد تأخر إحدى عشرة دقيقة وتمر من ميس تري قبل نحو ربع ساعة من ذلك.

كان السيد باين يجلس مع السيدة جيفريز في غرفتها، وقد مرت الرحلة سعيدة دون أحداث حتى تلك اللحظة. ولكن جاءت الآن اللحظة التي يفترض فيها أن يحدث شيء... إن كان سيحدث شيء. جلس الاثنان متقابلين وقلب السيدة جيفريز يبيض بسرعة، وعيناها متعلقتان به يتوع من البحث المولم عن الطمأنينة.

قال لها: ابقِي هادئة؛ أنت في أمان تام. إنني هنا.

وفجأة انطلقت صرخة في العمر: آه، انظروا... انظروا! النار تشتعل في القطار!

وخلال لحظة كانت إلسي والسيد باين في العمر. كانت امرأة متفحلة ذات سحنة سلافية تشير بإصبع معتر، وخارج نافذة إحدى المقصورات الأمامية كان الدخان يخرج كسحابة كثيفة. ركض السيد باين وإلسي في العمر وانضم إليهما آخرون، وكانت المقصورة المعنية ملبنة بالدخان، فيما تراجع أول الواصلين وهم يسعلون، ظهر مفتش القطار وصاح: المقصورة فارغة؛ لا تخافوا. سيداتي وسادتي... ستم السيطرة على النار.

وانهمرت عشرات الأسئلة والأجوبة، وكان القطار يمر فوق الجسر الذي يربط البندقية بالأراضي المجاورة.

وفجأة التفت السيد باركر باين وشرق طريقه عبر مجموعة الناس

المتجهين خلفه وهرع عبر الممر إلى غرفة إلسي. كانت السيدة ذات الوجه السلافي جالسة فيها وهي تسحب أنفاساً عميقة من النافذة المفتوحة. قال السيد باركر باين: اعتذري يا سيدتي، ولكن هذه ليست غرفتك.

قالت السيدة السلافية: "أعرف، أعرف. اعتذري؛ إنها الصدمة والانفعال... فني". ثم عادت لتجلس على المقعد وتشير إلى النافذة المفتوحة وهي تسحب أنفاسها بشهقات عميقة.

وقف السيد باركر باين في أقباب وقال بنبرة أبوية مطمئنة: ينبغي أن لا تخافي؛ لا أحب أن هذه النار خطيرة.

قالت: "حقاً؟ آه، الحمد لله! أشعر بأني أفضل". ثم هبت بالتهووس قائلة: "أساعد إلى غرفتي"، ولكن كف السيد باركر باين أعادتها بلطف إلى المقعد وهو يقول: ليس الآن؛ سأطلب منك البقاء لحظة يا سيدتي.

- هذا تصرف مهين أيها السيد!

- سيدتي، سوف تيقين.

كان صوته بارداً، وجلست المرأة وهي ما تزال تنظر إليه، فيما انضمت إليهما إلسي قائلة بصوت لاهث: "يبدو أنها قبلة دخانية... مزحة سخيفة من أحدهم. إن موظف القطار غاضب جداً، وهو يطلب من الجميع...". ثم توقفت وهي تحدد إلى المرأة التي طرأت على الغرفة.

قال السيد باركر باين: سيدة جيفريز، ما الذي تحمليه في  
عليك القرمزية الصغيرة؟

- جواهري.

- هل لك أن تطلقني بأن تنظري للتأكد من أن كل شيء في  
مكانه؟

وبمباشرة انطلق سيل من الكلمات من السيدة السلافية التي  
استخدمت الفرنسية لإطلاق العنان لمشاعرها. وفي غضون ذلك  
كانت إلسي قد أخذت علبة جواهرها ثم صاحبت: آه! إنها غير  
مفقولة.

أكملت السيدة السلافية بالفرنسية: وأنا أنهم رفيق غرفتك.

صاحت إلسي: لقد ذهبت الجواهر... كلها العقد الذي  
أعطانيه بوب، وإسورة الألماس، والزمرد، وخواتم العقيق، وبعض  
الديابيس الألماسية الرائجة. الحمد لله أنني كنت أئس اللآلئ. آه  
يا سيد باين، ما الذي ستفعله؟

- ذهبي واستدعي موظف القطار، وسأحرص على أن  
لا تغادر هذه السيدة الغرفة حتى يأتي.

صاحت السيدة بالفرنسية: "وحوش... سفلة"، ثم تابعت كبل  
الشتائم، فيما توقف القطار في البندقية.

ويمكن تلخيص ما حدث في نصف الساعة التي أعقبت ذلك.  
فقد تعامل السيد باركر باين مع عدة مسؤولين، بعدة لغات مختلفة،

ولكنه تعرض لهزيمة، فقد وافقت السيدة المشتبه بها على تفريشها،  
ولكنها خرجت من ذلك بريئة ولم يُعثر معها على الجواهر.

وبين البندقية وتربست جلس السيد باركر باين وإلسي لمناقشة  
القضية.

- متى كانت آخر مرة رأيت فيها الجواهر عملياً؟

- صباح اليوم. نزعْتُ فرطين كنت ألبسهما أمس وأضعتهما  
في العلبة، وأخذت بدلاً منهما فرطين من اللؤلؤ العادي.

- وكانت كل الجواهر وقتها موجودة هناك لم تُمس؟

- أنا لم أستعرض كل الجواهر بالطبع، ولكن بدا أن الأمر  
على ما يرام. ربما كان هناك خاتم مفقود أو شيء صغير مثل ذلك،  
ولكن ليس أكثر من هذا.

أوما السيد باركر باين برأسه وقال: وعندما رقب الموظف  
الغرفة صباح اليوم؟

- كانت العلبة معي... في مقصورة المطعم. إنني أخذتها معي  
دوماً، ولم أتركها أبداً إلا عندما ركضت إلى الخارج قبل قليل.

- إذن فإن تلك المرأة التي ادّعت البراءة والكرامة المجروحة،  
السيدة سويسكا أو كانتا ما كان اسمها، لا بد أن تكون هي اللصّة.  
ولكن ماذا عاها فعلت بالجواهر؟ فهي لم تمسك هنا إلا دقيقة  
ونصف الدقيقة... الوقت الذي لا يكاد يكفي إلا لتشيع العلبة بمفتاح  
مزيّف وإخراج الجواهر... نعم، ولكن ماذا بعد ذلك؟

أينمكن أن تكون أعطتها إلى شخص آخر؟

- صعب جداً. فقد كنت التفت وهرعت عائداً في الممر، ولم أخرج أحد من الغرفة لأرى.

- ربما رمتها لأحد من النافذة.

- فكرة ممتازة، إلا أننا كنا نغير فوق المياه في تلك اللحظة. كنا على الجسر.

- إذن لا بد أنها خبأتها في الغرفة.

- دعينا نبحث عنها.

ويكل طاقة وجوية شرعت إلى في البحث، وشاركها في ذلك السيد باركر باين شيء من الشرود. وعندما لامته على عدم جديته اعتذر قائلاً: إنني أفكر بأن علي أن أرسل برفقة مهمة من تريستا.

قابلت إلى تفسيره ببرود؛ فقد سقط السيد باركر باين من عينها كثيراً.

قال بخشوع: أخشى أن أكون قد أزعجتك يا سيدة جيفريز.

- أنت لم تكن ناجحاً جداً.

- ولكن، يا سيدتي العزيزة، عليك أن تتذكرني أنني لست رجل تحرّ. السرقات والجرائم ليست من اختصاصي أبداً؛ تخصصي هو قلوب البشر.

- حسناً، لقد كنت نعمة قليلاً عندما صعدت إلى هذا القطار،

ولكن ذلك لم يكن شيئاً بالمقارنة مع وضعي الحالي! يوسعي أن أملا الدنيا دموعاً. إسوارني الرائعة... وخاتم الزمرد الذي أعطانيه إدوارد عند خطوبتنا.

- ولكن لا بد أنك مؤمنة ضد السرقة؟

- أحقاً؟ لا أدري. نعم، أحسب أنني مؤمنة. ولكن العبرة في لوحة الأمر يا سيد باين.

خفف القطار من سرعته، وأطلق السيد باركر باين من النافذة وقال: تريستا... ينبغي أن أرسل برفقتي.

\* \* \*

- إدوارد؟

تهلل وجه إلى. إذ رأت زوجها يسرع إلى إقائنها على رصيف محطة إسطنبول. وللحظة ثلاث من عقلها حتى سرقة جواهرها، ونسيت الكلمات الغريبة التي وجدتها على ورقة النشاف... نسيت كل شيء ما عدا مرور أسبوعين على آخر مرة رأت فيها زوجها، وأنه كان شخصاً وسيماً جداً.

كانا على وشك مغادرة المحطة عندما شعرت إلى برت ودود على كتفها والتفت لترى السيد باركر باين، وكان وجهه الهادئ متهالاً بكثير من الطيبة.

- سيدة جيفريز، هل لك أن تأتي لرؤيتي في فندق توكاتيان

خلال نصف ساعة؟ أظن أنني قد أحمل لك بعض الآباء السارة.

نظرت إلي إلى إدوارد بتردد، ثم قامت بتعريف الرجلين  
بعضهما ببعض: هذا هو زوجي... السيد باركر باين.

- أظن أن زوجتك قد أقرت لك بأن جواهرها قد سُرقَت، وقد  
كنت أقوم بما في وسعي لمساعدتها في استعادتها، وأظنتي استطاع  
إبلاغها بأخبار جيدة خلال نصف ساعة.

نظرت إلي بتساؤل إلى إدوارد الذي أجاب بسرعة: من  
الأفضل أن تذهبي يا عزيزتي. هل كنت تشارك لوكاتيان يا سيد باين؟  
حسناً، سوف أحرص على مجيئها إليك.



بعد نصف ساعة بالضبط جاءت إلي إلى غرفة السيد باركر  
باين الذي نهض لتحياتها قائلاً: لقد خاب أمك بي يا سيدة جيفريز،  
لا تحاولي إنكار ذلك. إنني لا أدعي أنني ساحر، ولكنني أقوم بما  
يمكنني القيام به. انني نظرة داخل هذه.

ثم دفع لها - عبر الطاولة - عذبة كرتونية صغيرة. فتحتني إلي  
فوجدت فيها كل شيء... الخواتم والأساور والعقد والديابيس.

هضت: سيد باين، ما أروعك! هذا أمر عجيب جداً!

ابتسم السيد باركر باين بتواضع وقال: أنا متعب إذ لم أخذلك  
يا سيدتي العزيزة.

- آه يا سيد باين، لقد جعلتني أشعر بأنني ثيمة جداً فمذ

غادرتنا تريستا كنتُ فليعة في تعاملتي معك. والآن... هذا الموقف.  
ولكن كيف عثرت عليها؟ متى؟ وأين؟

هز السيد باركر باين رأسه بتأمل وقال: إنها قضية طويلة... يمكن  
أن تسمعها في يوم من الأيام، بل ربما سمعتها قريباً جداً.

- ولماذا لا يمكنكني سماعها الآن؟

- لذلك أسباب.

اضطرت إلي للمغادرة دون أن تُشيع فضولها، وعندما ذهبت  
أخذ السيد باركر باين قبعة وعصاه وخرج إلى شوارع بيرامنتي  
هناك ينتم لنفسه حتى وصل أخيراً إلى مقهى صغير يُطل على القرن  
الذهبي، وكان مهجوراً في تلك اللحظة، وعلى الجانب الآخر كانت  
مساجد إسطنبول تزدهر بمآذنها الرقيقة التي تتصطب نحو السماء. كان  
مشهداً جميلاً جداً، وجلس السيد باركر باين وطلب فنجانين من  
القهوة. جاءت القهوة ثقيلة حلوة المذاق، وما أن ابتدأ يرتشف من  
فنجانه حتى انسَل رجلٌ وجلس على الكرسي المقابل. كان ذلك هو  
إدوارد جيفريز.

قال السيد باركر باين وهو يشير إلى الفنجان الآخر: لقد طلبتُ  
لك قهوة.

دفع إدوارد القهوة جانباً ومال فوق الطاولة وقال: كيف  
عرفت؟

ارتشف السيد باركر باين من قهوته بشكل حالم وقال: لا بد أن

زوجتك قد أخبرتك بما اكتشفته على الورق الشفاف؟ ألم تخبرك؟  
آه، ولكنها متخبرك. لقد فاتها أن تفعل ذلك مؤثراً.

ثم ذكر له ما اكتشفته السي وقال: حسناً، إن هذا يقسم تماماً  
الحادث الغريب الذي حدث قرب البندقيّة. لقد كنت تخطط لسرقة  
جواهر زوجتك لسبب أو لآخر، ولكن ما معنى عبارة: «أقبل البندقيّة  
تماماً سيكون أفضل وقت؟» هذه العبارة تبدو هراء لا معنى له. لماذا  
لم تترك مسألة تحديد المكان والزمان لشريكك... أو عميلك؟ لقد  
فكرت بذلك ملياً، ثم أدركت - فجأة - المغزى من ذلك، فقد سرقت  
جواهر زوجتك قبل أن تغادر أنت لندن ووُضعت، بدلاً منها، نسخ  
زائفة عنها. ولكن ذلك الحل لم يُفكر، فقد كنت رجلاً مستقيماً ذا  
ضمير حي، وقد خشيت أن يتم اتهام خادم ما أو شخص يري...  
ولذلك فإن سرقة فعلية ينبغي أن تحدث... في مكان وبأسلوب لن  
يترك مجالاً للشك بأحد من محارفك أو بساكني منزلك.

وهكذا تم تزويد شريكك بمفتاح مطابق لفتح علبة الجواهر،  
ويقيلة دخانية. وفي اللحظة المناسبة صاحت، ثم اندفعت إلى غرفة  
زوجتك فتفتحت علبة الجواهر وألقت تلك الزائفة إلى الماء. كان  
بالإمكان الشك بها وتفتيشها، ولكن لا يمكن إثبات شيء عليها إذ  
أن الجواهر ليست معها. والأل تصبح أهمية اختيار المكان - حيلة  
واضحة، فلو أن الجواهر أُلقيت - ببساطة - قرب سكة الحديد  
لأمكن العثور عليها، وهنا تكمن أهمية تلك اللحظة بالذات حيث  
كان القطار يعبر فوق الماء. وفي غضون ذلك تقوم أنت بعمل  
تزييناتك لبيع الجواهر هنا؟ فلن يكون عليك إلا بيعها عندما تتأكد  
من أن السرقة قد تمت بالفعل. ولكن بروقتي وصلتك في الوقت

المناسبتين، وقد أطلعت أوامري، وأودعت علبة الجواهر في صندوق  
توكاتيان بانتظار حضوري، وأنت تعرف أنك لو لم تفعل ذلك فإني  
سأنفذ تهديدي وأضع الأمر في يد الشرطة... كما أطلعت أوامري في  
الحضور إلي هنا.

نظر إدوارد جيفريز إلى السيد باركر باين منوئلاً. كان شاباً  
وسمياً طويل القامة أبيض البشرة، ذا ذن مستدير وعينين مستديرتين  
تماماً. قال بشكل يائس: كيف لي أن أجعلك تفهم؟ لا بد أنني أبعد  
لك مجرد لص عادي.

قال السيد باركر باين: أبدأ على العكس، بل أرى أنك شريف  
إلى حد مؤلم. إنني معتاد على تصنيف البشر، وأنت - يا سيدي العزيز -  
تدخل في خانة الضحايا بكل سهولة. والآن، أخبرني بالقصة كلها.

- يسكنني اختصار الأمر كله بكلمة واحدة: الابتزاز.

- وبعد؟

- لقد رأيت زوجتي، وأدركت أية مخلوقة بريئة ضافية هي...  
دون أية معرفة أو فكرة عن الشر.

- نعم، نعم.

- إن لها مثلاً في غاية النقاء والنبيل، ولو أنها اكتشفت شيئاً  
عن... عن أي شيء فعلته لتركنتي.

- أتساءل إن كانت فعلاً ستتركك، ولكن هذه ليست نقطتنا، ما  
الذي فعلته يا صديقي الشاب؟ أقرض أن للأمر علاقة بامرأة ما.



أوما إدوارد جيفريز برأسه موافقاً، فسأله السيد باين: بعد الزواج أو قبله؟

- قبله... أمّا قبله.

- حسناً، حسناً، ما الذي حدث؟

- لا شيء، لا شيء، على الإطلاق، وهذا هو الجانب القاسي في الموضوع. كان ذلك في فندق في جزر الهند الغربية، وكانت هناك امرأة شديدة الجمال تدعى السيدة رومبير تقيم في الفندق. وكان زوجها رجلاً عتيقاً تتباه نوبات غضب جنوني، وقد هذّدها في إحدى الليالي بمسدس، فهربت منه وجاءت إلى غرقتي، وكانت نصف مجنونة من الرعب. وقد طلبت مني أن أسمع لها بالبقاء هناك حتى الصباح. وأنا... ما الذي كان يوسعي فعله غير ذلك؟

حدث السيد باركر باين إلى الشاب وحذق الشاب إليه بشيء من نزاعة الضمير. ثم تنهد السيد باين وقال: وبعبارة أخرى، فإنك قد نجّدت بأسهل ما يكون يا سيد جيفريز.

- لا أدري...

- نعم، نعم، إنها حيلة قديمة جداً... ولكنها غالباً ما تنجح مع الشبان المثاليين. وأحسب أن الحيل قد ضيّق عليك عند إذاعة نيا زواجك القريب، اليس كذلك؟

- بلى؛ تلقّيت رسالة تقول إنني إن لم أرسل مبلغاً من المال فإن كل شيء سيقتال لوالد زوجتي... كيف أغويت تلك السيدة وأبعدتها

عن زوجها، وكيف أن العديدين رأوها تأتي إلى غرقتي، وكيف سيفوم الزوج برفع دعوى للطلاق. لقد جعلوني أبدو وغداً شريراً.

ثم مسح جبينه بشيء من الحرج فقال السيد باركر باين: نعم، نعم، وهكذا فقد دفعت. ومن وقت لآخر كان الحيل يُشدّ من جديد.

- نعم. وكانت تلك القشة الأخيرة التي قصمت ظهر البعير. فقد كان عملنا متأثراً كثيراً بالركود، ولم يكن يوسعي تأمين أموال جاهزة، ولذلك فقد توصلت إلى هذه الخطة.

ثم أخذ فتجان فتهوّه البارد فحدّق به متأملاً، ثم شرّبه وسأله بشكل يثير الشفقة: ماذا أفعل الآن؟ ماذا أفعل يا سيد باين؟

قال السيد باين بحزم: ستمعمل بناء على تعليماتي؛ سأتولى أنا التعامل مع معديك. أما بالنسبة لزوجتك، فسوف تعود لها مباشرة وتخيرها بالحقيقة... أو بجزء منها على الأقل. القطعة الوحيدة التي يمكن أن تبعد فيها عن ذكر الحقيقة الكاملة هي تلك المتعلقة بما حدث في جزر الهند الغربية، ينبغي أن تخفي عنها أنك... أنك قد خدعت كما قلت من قبل.

- ولكن...

- يا عزيزي السيد جيفريز، إنك لا تفهم النساء! المرأة لا تحب الزوج الأغرق الذي يُخدع بمثل هذه السهولة. إن زوجتك فتاة رائعة بريئة ذات قيم عليا يا سيد جيفريز، وهي تحبك بما يكفي لفهم الأمر فهماً جيداً. اذهب لها يا صاحبي، واعترف بكل شيء...

أو بأكثر مما يمكنك من الأشياء. وقل لها إنك قد سرفت حتى لا يصل الأمر إلى مسامعتها، إنها ستغفر لك بكل حماسة.

- ولكن...

- إن أحد المبادئ الجوهرية للحياة الزوجية يقول إن عليك أن تكذب على زوجتك... فهي تحب ذلك! اذهب ونل غفرتها يا بني، وعش سعيداً طوال حياتك. واطن أن زوجتك ستراقبك - مستقبلاً - بحذر كلما ظهرت امرأة جميلة أمامكما، من شأن بعض الرجال أن يتضايقوا من ذلك، ولكنني لا أفنك من هذا النوع.

قال الرجل ببساطة: لا أريد أبداً أن أنظر إلى امرأة غير إليسي.

- رائع يا بني! ولكنني، لو كنت مكانك، لما جعلتها تعرف ذلك. ما من امرأة ترغب في أن تشعر أن مهمتها سهلة جداً!

نهض إدوارد جيتريز وقال: أتظن حقاً...؟

قال السيد باتركر باين بقوة: بل أعرف، معرفة اليقين.



بَوَايَةِ بَغْدَاد

مشى السيد باركر باين في شوارع دمشق، وعندما توقف خارج «فندق الشرف» رأى مركبة ضخمة ذات ست عجلات، أشبه بحافلة صغيرة، كان يُفترض أن تحصله مع أحد عشر شخصاً آخر عبر الصحراء إلى بغداد يوم غد.

وكرر السيد باركر باين مع نفسه أبيات الشاعر فليكر :

أربع بويات ضخمة لمدينة دمشق...

وهذه بوابة الصحراء، وكهف الكوارث، وقلة الخوف،  
بوابة بغداد.

لا تمرري عبري أيتها القافلة، ولا تمرري وأنت تعنين.

أسمعين ذلك الصمت حيث العصافير ميتة،

ومع ذلك يغرد شيء كالعصفور؟

تمرري خارجة أيتها القافلة، قافلة القدر، قافلة الموت!

أصبح ذلك من قبيل الخيال الآن، ففي السابق كانت بوابة

بغداد بوابة الموت فعلاً؟ أربع مئة ميل من الصحاري ينبغي أن تقطعها

القافلة، وأشهر طويلة مملة من السفر. أما الآن فإن تلك الوحوش

التي نتغذى على البشر، والموجودة في كل مكان، تقوم بذلك

الرحلة في غضون ست وثلاثين ساعة.

- ماذا كنت تقول يا سيد باركر باين؟

كان ذلك الصوت المتلهف للأنتة نيتا برايس، الشابة الصغيرة التي كانت ترافقها عمّة شديدة المراس لها جدر طائر على فراخه.

ودد السيد باركر باين عليها أبيات فليكو، فقالت: يا لها من أبيات مثيرة!

كان ثلاثة رجال في زي القوة الجوية يقفون قريباً، وتدخل واحد منهم قاتلاً: ما يزال أمامنا الكثير من الإثارة في هذه الرحلة؛ فحتى في هذه الأيام يقع إطلاق نار على القوافل بين حين وآخر من قبل قطاع الطرق. ثم هناك احتمال ضياعك... فهذا يحدث أحياناً، وعندما يتم إرسالنا للبحث عنك. لقد ضاع رجل لمدة خمسة أيام في الصحراء، ومن حسن حظّه أنه كان يحمل الكثير من الماء معه. ثم هناك مطبات الطريق... وقد قُتل رجل بسببها. أنا أقول الحقيقة! كان نائماً فُصّرَب رأسه بسقف السيارة فمات بسبب الضربة.

سألت الأنتة برايس الكبرى: في عربة من ست عجلات يا سيد أورورك؟

اعترف الشاب قاتلاً: لا؛ ليس في عربة الست عجلات.

صاحت نيتا: ولكن ينبغي أن تقوم بشيء من التجول لرؤية المناظر.

سجبت عمّتها كتاباً للإرشاد السياحي، فالتصحت نيتا متباعدة وقالت: لا أريد رؤية الأسواق.

أجابها أورورك بسرعة: تعالي معي؛ سوف نشمى قليلاً.

وما لبث أن ابتعدا، فالتفت السيد باركر باين إلى رجل خادئ يقف بجانبه اسمه هينسلي، وهو يعمل في دائرة الأشغال العامة في بغداد، وقال بشيء من الاعتذار: إن دمشق سخية قليلاً للأمال عندما يراها المرء لأول مرة؛ فهي متمدنة قليلاً، الترام والمسكن الحديثة والمحلات...

أوما هينسلي برأسه موافقاً، فقد كان قليل الكلام. ولكنه قال بسرعة: لا يحصل المرء على الماضي... عندما يظن أنه حصل عليه.

جاء رجل آخر، شاب يلبس ريشة قديمة من تلك التي كان يلبسها طلبة كلية إيتون. كان ذا وجه ودود وإن كان يخلو قليلاً من التعابير، ولكنه بدا الآن قلقاً. كان هو وهينسلي في نفس الدائرة، وقال له صاحبه: مرحباً يا سيمبست. هل فقدت شيئاً؟

هو الكابتن سيمبست رأسه بالنقي. كان شامياً يبدو عليه شيء من بطة التفكير. وقال بشكل غامض: كنت أتجول فقط.

ثم مضى الصديقان معاً، واشترى السيد باركر باين صحيفة مخبلة باللغة الفرنسية، ولكنه لم يجد لها مشرة للاهتمام. لم تكن الأخبار المحلية تعنيه أبداً، ولم يبدُ أن أشياء مهمة تحدث في أي مكان. ثم وجد بعض الفقرات تحت عنوان: لندن. كانت أولى تلك الفقرات تتحدث عن مسائل مالية، وكانت الثانية تتحدث عن الوجهة المُفترضة للسيد صامويل لونغ، رجل المال الذي هرب من التزاماته



التي تراكمت لتبلغ الآن ثلاثة ملايين جنيه ، ويقول الشائعات إنه قد وصل إلى أميركا الجنوبية.

قال السيد باركر باين كمن يحدث نفسه : ليس ذلك شيئاً بالنسبة لرجل لم يكبد يتجاوز الثلاثين.

- عفوآء ، ماذا قلت ؟

انقضت السيد باركر باين ليواجه ضابطاً إيطالياً كان قد جاء معه على متن السفينة من برينديسي إلى بيروت.

شرح السيد باين ملاحظته فأروماً الضابط الإيطالي برأسه عدة مرات وقال : ذلك الرجل مجرم عظيم ... لقد عاثنا حتى في إيطاليا ؟ فقد كان يحوز ثقة الآخرين بسهولة ، ويقولون إنه كريم السخند.

قال السيد باركر باين بحذر : حسناً ، لقد تلقيت تعليمه في إيتون وأكسفورد.

- انتظن أنه سيقتبض عليه ؟

- هذا يعتمد على ما توقع له من وقت للمهرب ، ربما كان ما يزال في إنكلترا ، بل يمكن أن يكون في ... أي مكان.

قال الضابط : « هنا معنا ؟ » ، ثم ضحك.

بقي السيد باركر باين جدياً وقال : هذا ممكن ، فيما أدراك أيها الضابط ؟ قد أكون أنا هو.

نظر إليه الضابط دهشاً ، ثم عاد ، وجهه الأسمر ليرتخي في ابتسامة فهم وقال : آه ! هذا رائع جداً ، رائع جداً حقاً. ولكنك ...

ثم نزلت عيناه عن وجه السيد باين إلى الأسفل ، وقد قهر السيد باين نظره على نحو صحيح فقال : لا ينبغي أن تحكم حسب المظاهر. إن قدرأ إضافياً من السمعة يمكن ترتيبه بسهولة وله تأثير كبير في إظهار المرء أكبر من عمره.

ثم أضاف بشكل حالم : بالإضافة إلى صبغ الشعر طبعاً ، وتغيير نسخة الوجه ، بل وحتى تغيير الجنسية.

اتسحب الضابط بولي باورتاب ، فلم يعرف أبداً مقدار جدية الإنكليزي.

\*\*\*

سأل السيد باركر باين نفسه في ذلك المساء بأن ذهب إلى السينما وفيما بعد قادتته خطاه إلى « قصر الأفراح الليلي » الذي تبين أنه لم يكن لا قصراً ولا ذا أفراح ، بل كان أقرب إلى حانة مبنقة. وفجأة لمح سميثرس. كان الشاب يجلس وحيداً إلى طاولة وكان وجهه محمراً ، وقدّر السيد باين أنه قد شرب أكثر مما ينبغي ، فذهب وانضم إليه.

قال الكايش سميثرس متجهماً : إنني في وضع صعب ، وعلي أن أوفه عن نفسي. لا أدري ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني. لا أحب أن أخذل صديقاً. أعني أنني ... ومع ذلك ... ماذا يفعل المرء ؟

نفض السيد باركر باين كما لو أنه بركة لأول مرة، ثم سأله بكل جفاء: من أنت؟ وماذا تعمل؟

قال السيد باركر باين بلطف: أنا أعمل في دخائل النابن.

حدق سيشريت إليه باهتمام شديد وقال: ماذا... أنت أيضاً؟

أخرج السيد باين من محفظته قصاصة صحيفة وأعطاها للكاشين عبر الطاولة. كانت القصاصة تقول: «هل أنت نيس؟ إن كنت كذلك فاستشر السيد باركر باين».

حدق سيشريت إلى الورقة بشيء من الصعوبة ثم قال بسرعة: عجباً... أعني... أن الناس يأتون إليك ليخبروك بالأشياء؟

- إنهم يسيرون لي بأمورهم... نعم.

- أحبهم من النساء الغيات.

اعترف السيد باركر باين قائلاً: يأتيني عدد كبير من النساء بالفعل، ولكن يأتي رجال أيضاً. ماذا عنك أنت يا صديقي الشاب؟ لقد أردت مشورة قبل قليل، أليس كذلك؟

- هذا ليس من شأن أي إنسان... باستثنائي أنا.

هز السيد باركر باين رأسه بخوف، ثم تخلى عن الكاشين سيشريت باعتباره مهمة صعبة.



انطلقت القافلة إلى بغداد في الساعة السابعة صباحاً. كانت المجموعة تتألف من اثني عشر شخصاً: السيد باركر باين، والجنرال يولي، والآسة برايس وعمتها، وثلاثة من ضباط سلاح الجو، وسيشريت، وهينسلي. بالإضافة إلى سيدة أرمنية مع ابن لها.

بدأت الرحلة دون أحداث تذكر، وسرعان ما تجاوزت القافلة أشجار الفاكهة التي تحيط بدمشق. كانت السماء مليدة بالغيوم، وقد نظر إليها السائق الشاب بارتياح مرة أو مرتين، ثم تبادل مع هينسلي بعض ملاحظات قاتلة. لقد كانت تعطر كثيراً عند الجانب الآخر من الرطبة، أمل أن لا تعلق السيارة بالطين.

توقفت السيارة عند منتصف النهار حيث تم توزيع وجبة غداء في علب كرتونية مكعبة، وقام السائقان بغلي الشاي الذي وُزع أيضاً بكؤوس من الكرتون، ثم واصلت السيارة طريقها عبر البادية السهلية التي لا تنتهي.

فكر السيد باركر باين بالتوافل البطيئة وأسابع السفر الطويلة، وعند الغروب تماماً وصلوا إلى قلعة الرطبة الصحراوية، حيث فتحت بواباتها الضخمة ودخلت السيارة منها إلى باحة القلعة الداخلية.

قالت نيتا: يبدو هذا مثيراً.

وبعد أن غسلوا وجوههم وأيديهم تحمست نيتا للخروج في جولة قصيرة. وقد عرض عليها كل من البلازم المقاتل أورورك والسيد باركر باين أن يرافقاه، وعند انطلاقهم جاء إليهم المدير

ورجائهم أن لا يتعدوا، إذ ربما أصبح من الصعب عليهم تحديد طريق العودة بعد حلول الظلام.

وعده أورورك قائلاً: "لن نبعد كثيراً"، ولم يكن المشي مشيراً نظراً لتشابه المناظر كلها. وقد انتهى السيد باركر باين مرة والتقط شيئاً عن الأرض. فسألت نيتا بفضول: ما هذا؟

مد يده بما التقطه وقال: أداة من حجر الصوان تعود إلى ما قبل التاريخ... حفارة.

- هل كانوا... أكان بعضهم يقتل بعضاً بهذه؟

- لا. إنها لها استخدامات أكثر سلمية، ولكن أظن أنه كان بمقدورهم أن يقتلوا بها لو أرادوا ذلك. إن العبرة في الرغبة بالقتل، أما الأداة فلا تهم؛ إذ يمكن دوماً العثور على شيء ما.

كانت العمة قد بدأت تخيم قعادوا أدراجهم إلى القلعة، وبعد تناول عشاء من عدة أصناف من المخلبات جلس الجميع للاستراحة، وكان مقرراً أن تواصل السيارة رحلتها في الساعة الثانية عشرة.

يذا السابق قلقاً وقال: توجد بعض المخلبات السيئة قريباً من هنا، ويمكن أن تغزو السيارة في الوحل.

صعد الجميع إلى العربة المضخمة واستقروا في أماكنهم، وقد كانت العمة يرايس متزعجة إذ لم يتبع لها أن تفتح إحدى حقائبها. قالت: أريد إخراج نعلني المتزلي الخفيف.

قال سميثست: الأرجح أن تحتاجي أقل ما لديك من أحذية.

ولئن لم تخفي خبرتي فإن السيارة ستغرق في بحر من الطين.

قالت نيتا: إنني لا أملك حتى جوارب احتياطية.

- لا بأس بذلك؛ فستقن في السيارة، إن أقوى ستة أشخاص هم وحدهم الذين يخرجون لدفع السيارة.

قال السيد هينسلي وهو يرت على جيب معطفه: أنا احتفظ بجوارب احتياطية دائماً، فالمرء لا يعرف ما يستجد له.

أصاءت المركبة مصاييحها وانطلقت في عتمة الليل، ولم تكن المسيرة مريحة، صحيح أن المركبة لم تضطرب بهم كما لو كان سيحدث في سيارة صغيرة، ولكنهم تعرضوا - مع ذلك - لمعطبات مئنة بين حين وآخر.

كان السيد باركر باين يجلس في المقعد الأول في المقدمة، وإلى يساره - عبر الممر - كانت تجلس السيدة الأرمية وقد دثرت نفسها بالكثير من الأغذية والأوشحة، وكان ابنها خلفها. أما خلف السيد باين فكانت الآتسة يرايس وعمتها، وفي المقاعد الخلفية جلس الجنرال وسميترست وهينسلي وغبياط القوة الجوية.

مضت المركبة تشق الليل، ووجد السيد باين صعوبة في النوم؛ فقد كان محشوراً في مكانه، إذ بقيت قدم السيدة الأرمية ممتدة إلى الممر لتعتمد على تحفظه فيما كانت هي مرتاحة تماماً.

بدا أن الجميع نائمون، وشعر السيد باركر باين بالنعاس بغزو غفبه، إلا أن مطيأ مفاجئاً قذف به باتجاه سقف السيارة، وسمع احتجاجات ناعسة من مؤخرة السيارة: انتبه! أتريد دق أعضائنا؟

ثم عاد النعاس، وبعد عدة دقائق مالت رقبته إلى الأمام بشكل غير مريح ونام... ولكن حدث ما أيقظه فجأة؛ فقد توقفت السيارة، وكان بعض الرجال يخرجون، وقال مينسلي باقتضاب لقد غررنا.

ولحرصه على رؤية كل ما يمكن أن يرى، نزل السيد باركر باين إلى الطين يحدرك. لم تكن السماء تمطر الآن، بل كان القمر بازغاً بحيث أمكن - تحت ضوءه - رؤية السائقين وهما يعملان بشكل محموم ويستخدمان الحجارة والرافعات بنية رفع العجلات، وكان معظم الرجال يساعدون في ذلك، ومن ثوافذ السيارة كانت النساء الثلاث ينظرن إلى المشهد. كانت الأستان برايس تنظرون باهتمام، فيما نظرت السيدة الأرمية بالشمزاز لم تنتج في إختافه.

وبناء على أوامر السائق قام الرجال من المسافرين برفع السيارة طائعين. وسأل أورورك: أين ذلك الشاب الأرمي؟ هل بقي قدمه دافنتين ذرتا حبتين كقطعة؟ دعونا نخرجه أيضاً.

قال الجنرال بولي: والكابتن سيترست أيضاً؛ إنه ليس معنا.

- ما زال الثنيم قائماً... انظروا إليه.

وبالفعل كان سيترست ما يزال جالساً في كرسيه، وقد مال رأسه للأمام وارتخى جسده كله.

قال أورورك: "سأوقفه"، ثم ففز فدخل السيارة، وبعد دقيقة عاد للظهور وقد تغير صوته وقال: اسمعوا! أظنه مريضاً... أو به شيء. أين الطبيب؟

ومن بين المجموعة التي كانت مكتبة على العجلة خرج قائد

السرب لوفتاس، الطبيب في القوة الجوية، وهو ذو مظهر هادئ وشعر بدأ الشيب يتزود؛ ثم سأل: ما أمرة؟

- إني... لا أعرف.

دخل الطبيب السيارة، وتبعه أورورك وباركر باين. انحنى فوق الجسد المرتخي، وكانت تكفي نظرة ولحظة واحدة؛ إذ قال بهدوء: إنه ميت.

وانتهزت الأسئلة: "ميت؟"..."ولكن كيف؟".... فيما قالت ليتا: أه! ياله من أمر فطحا!

استدار لوفتاس بأسلوب مترع وقال: لا بد أن رأسه قد ارتطم بالسقف؛ فلقد تعرضنا لمطط شديد.

- ولكن من المؤكد أن ذلك ما كان ليقته. ألا يوجد شيء آخر؟

قال الطبيب: "لا أستطيع القول لما لم أخضه بشكل مناسب". ثم نظر حوله يضيئ بالغ. كانت النساء متلاصقات وبدأ الرجال في الخارج بالتجمع عند مدخل السيارة.

تكلم السيد باركر باين مع سائق السيارة، وكان شاباً رياضي الجسم قوياً، فقام بحمل النساء واحدة بعد أخرى غير الطين إلى بقعة جافة من الأرض. وقد تمكن من حمل السيدة بيتيميان ونيتا بسهولة، أما العمة برايس الثقيلة فقد تروح تحت ثقلها.

وهكذا فقد تم إفراغ داخل السيارة لكي يقوم الطبيب بإجراء فحصه.

عاد الرجال لمطابقة جهودهم لرفع السيارة؛ وسرعان ما برزت الشمس في الأفق، وبدأ النهار بهيأة. أخذ الطين يجف بسرعة، ولكن السيارة بقيت منغرزة في الطين، وقد انكسرت ثلاث زوائد حديدية ولم تُفلح أية جهود في تحريك السيارة حتى تلك اللحظة. وبدأ السائق بإعداد الإفطار ففتح بعض العلويات وزاح بعلي الشاي.

وعلى بُعد قليل من ذلك كان قائد السرب لوفتاس يُطلق حكمه: ليس في جسده أية علامة أو جرح. وكما قلت، لا يد أن رأسه قد ارتطم بسقف السيارة.

سأل السيد باركر باين: أنت مقتنع أنه مات بشكل طبيعي؟ كان في صوته شيء جعل الطبيب يلتفت إليه بسرعة ويقول: يوجد احتمال واحد آخر.

- وما هو؟

- أن يكون أحداً قد ضربه على مؤخرة رأسه بشيء يشبه كيس زمل.

بدأ وكأن في نبرة صوته شيئاً من الاعتذار، فقال ويليامسن ضابط الطيران الآخر، وكان شاباً ظاهر البراعة: ليس هذا محتملاً. أعني أنه ليس بمقدور أحد أن يفعل ذلك دون أن تراه.

قال الطبيب: وإذا كنا نألمين؟

أشار صاحبه قائلاً: لا يمكن للمرء أن يكون واثقاً من نوم الجميع؛ فالوقوف وغير ذلك كان من شأنه أن يوقف هذا الراكب أو

ذاك.

قال الجنرال بولي: الطريقة الوحيدة هي أن يكون الشخص جالساً خلفه، إذ يمكنه أن يختار اللحظة المناسبة دون أن يضطر حتى للوقوف.

سأل الطبيب: من كان يجلس خلف الكابتن سميثست؟

أجاب أورورك على الفور: هينسلي يا سيدي... ولذلك فلا قيمة لهذا الدليل؛ فهينسلي كان أعز أصدقاء سميثست.

ساد شيء من الصمت. ثم قال السيد باركر باين شيء من اليقين الهادئ: أحسب أن لدى الملازم ويليامسن ما يخبرنا به.

- أنا يا سيدي؟ (إنني... حسناً.

قال أورورك: هيا، قلها يا ويليامسن.

- لا يوجد شيء حقاً... لا شيء أبداً.

- هيا قلها.

- إنه مجرد مقطع من حديث سمعته بالمصادفة... في الرطبة في راحة القلعة. كنت قد عدت إلى المركبة فيما كان اثنان يتكلمان خارجها تماماً، وكان أحدهما سميثست. كان يقول...

ثم سكنت، فتعالت الأصوات: هيا يا رجل، قلها.

- كان يقول شيئاً عن عدم رغبته بخذلان صديق. وقد بدا أنه خزين جداً، ثم قال: سوف أسكك لساني حتى نصل إلى بغداد... ولكنني



لأن أسكت لحظة واحدة بعد ذلك. سيتعين عليك أن تخرج بسرعة.

- والرجل الآخر؟

- لا أدري. أقسم أنني لا أدري. لقد كان ذلك ليلاً ولم يقل  
إلا كلمة أو اثنتين لم أسمعهما.

- من منكم يعرف سميرست جيداً؟

قال أورورك ببطء: لا أظن أن كلمة صديق يمكن أن تشير  
لأحد غير هينسلي. لقد عرفته، ولكن معرفة بسيطة جداً. وويليامسن  
جديد هنا... وهكذا قائد السرب لوفتاس. ولا أظن أن أيًا منهما قد  
قابله من قبل أبداً.

واقفه كلا الرجلين فسأل السيد باين: وأنت أيها الجنرال؟

- أنا لم أر الشاب إلا منذ أن جئنا بالسيارة معاً من بيروت.

- وذلك الأرمني؟

قال أورورك بإصرار: لا يمكن أن يوصف بكلمة صديق...  
وليس الأرمني من الجرة ما يجعله يقتل أحداً.

قال السيد باركر باين: "ربما كان عندي دليل إضافي صغير".  
ثم كرر عليهم حديثه مع سميرست في المقهى في دمشق.

قال أورورك متأملاً: لقد استخدم عبارة "لا أحب أن أخذل  
صديقاً"، كما كان قلقاً أيضاً.

سأل السيد باركر باين: اليس لدى أحد منكم ما يمكن أن  
يضيفه؟

تنحى الطبيب وقال: ربما لا يكون لهذا أية علاقة بالأمر...

ولما توقفت تم تشجيعه على المضي فقال: ليس الأمر بأكثر من  
أنني سمعت سميرست يقول لهينسلي: لا يمكنك أن تنكر أنه يوجد  
في قسمك اختلاسات.

- متى كان ذلك؟

- قبل قليل من انطلاقنا من دمشق صباح أمس. ظننت أنهما  
يتحدثان في شؤون عملهما فقط، ولم أتخيل...

ثم توقف، فقال الجنرال: هذا مثير يا أصدقائي؛ إنكم تجمعون  
الدليل قطعة قطعة.

قال السيد باركر باين: لقد أشرت إلى كيس رملي أيها الطبيب.  
هل يمكن للمرء تصنيع هذا السلاح؟

قال الطبيب ببرود وهو يأخذ بعض الرمل بيده: يوجد الكثير  
من الرمل هنا.

بدأ أورورك يقول: "إذا ما أخذت قليلاً من الرمل ووضعت في  
جورب..."، ثم تردد. وذكر الجميع الجملتين القصيرتين اللتين  
قالهما هينسلي الليلة الماضية: "لنني أحمل دوماً جورب احتياطية،  
لا أعرف المرء ماذا يستجد.

ساد شيء من الصمت، ثم قال السيد باركر باين بهدوء: أيها القائد لوفتاس، أظن أن جوارب السيد هينسلي الاحتياطية موجودة في جيب معطفه الموجود الآن في السيارة.

انجبت أنظارهم - للخطوات - إلى حيث كان هينسلي يمشي بعصبية جثة وذهاباً في الأفق البعيد. وكان هينسلي قد انعزل منذ اكتشاف جثة الرجل، وقد تم احترام رغبته في العزلة إذ أن الجميع كانوا يعلمون أنه كان صديقاً للقتيل.

قال السيد باركر باين للطبيب: هل لك أن تُحضِرَ الجوربين إلى هنا؟

تردد الطبيب، ثم قال: "لا أحب أن..."، ثم نظر - ثانية - إلى هينسلي البعيد وهو يغدو ويروح وقال: يبدو ذلك تصرفاً مشيئاً بعض الشيء...

قال السيد باين: ينبغي أن تُحضِرَهما، رجاء؛ فالظروف غير طبيعية. إننا منقطعون هنا، ويجب أن تحرق الحقيقة. وإن أحضرت الجوربين فلربما تقدمنا خطوة إلى الأمام.

استدار لوفتاس وذهب طائعاً، وسحب السيد باركر باين الجنرال بولي جانباً وقال له: أظن أنك كنت تجلس مقابل الكابتن سميثوست غير النمر.

- صحيح.

- هل نهض أحد ومشى في النمر؟

- الآلة الإنكليزية فقط، العدة برايس. ذهبت إلى المغسلة في آخر السيارة.

- هل تمثرت أو كتبت بأي شكل؟

- لقد تمايلت فقط مع حركة السيارة، بشكل طبيعي.

- أكانت هي الشخص الوحيد الذي رأيت يمشي في النمر؟

- نعم.

نظر الجنرال إليه بغضول وقال: إنني أسأل من أنت؟ إنك تتولى المسؤولية، ومع ذلك فأنت لست عسكرياً.

- لقد رأيت الكثير في هذه الحياة.

- لقد سافرت كثيراً، أليس كذلك؟

- لم أسافر أبداً، بل جلست في مكثي.

عاد لوفتاس حاملاً الجوربين فأخذهما السيد باين وتفحصهما، وفي داخل أحدهما كان بعض الرمل الرطب ما يزال عالقاً.

سحب السيد باركر باين نفساً عميقاً وقال: الآن أصبحت أعرف.

تحولت كل الأعين إلى الجسد الذي يغدو ويروح في الأفق، وقال السيد باركر باين: أوعب في إلقاء نظرة على الجثة إن أمكن.

ثم ذهب مع الطبيب إلى حيث كانت جثة سميثوست ممددة وقد غُطيت بغطاء ثقيل أزاحه الطبيب وقال: لا يوجد ما يُرى.

ولكن عيني السيد باركر باين كانتا مركبتين على ربطة عتق  
القتيل، ثم قال: لقد كان القتل أحد طلبة كلية إيتون قديماً إذن؟  
بدا لوفتاس مذهشاً، ثم أدهشه السيد باركر باين أكثر إذ سأله:  
ماذا تعرف عن الشاب ريليامسن؟

- لا أعرف شيئاً أبداً، فلم أقبله إلا في بيوت جين جنث من  
مصر، ولكن لماذا؟ من المؤكد أن...

قال السيد باركر باين بفرح: لأننا سنشتري رجلاً بناء على شهادته  
هوء أليس كذلك؟ لا بد أن يكون المرء خدواً.

بدا أنه ما يزال مهتماً بربطة القتل وواقته، فكّ الأزواد وأزاح  
الباقة، ثم أطلق صيحة وقال: أنزى هذا؟

على مؤخرة الباقة كانت بقعة دم دائرية صغيرة، وانحنى لينظر  
عن كعب إلى الرقبة المكشوفة، ثم قال بسرعة: هذا الرجل لم يقتل  
بضربة على رأسه أيها الطبيب، بل طعن... عند قاعدة جمجمته.  
يمكنك أن ترى تماماً الرخوة الصغيرة هنا.

- وأنا الذي لم أرها!

- لقد كانت لديك فكرة مسبقة تصورت من خلالها أنه تلقى  
ضربة على رأسه. من السهل تماماً أن لا يلاحظ المرء هذه الرخوة؛  
فهو لا يكاد يرى الجرح. إنها طعنة سريعة بأداة صغيرة حادة،  
ومن شأن الزخفة أن نحدث مباشرة، ولن ينسى للمضحية حتى أن  
يصرخ.

- أعني أنها من تلك الشدى الإيطالية الصغيرة؟ هل تقصد أن  
الجرح...؟

قال السيد باركر باين: إن المخيلة الشعبية تربط -دوماً- بين  
الشدى الصغيرة والإيطاليين، ها قد أنت سيارة!

بدت في الأخرى سيارة صغيرة قادمة: فقال أوزورك بعد أن جاء  
وانضم إليهما: هذا جيد. يمكن للسيدات أن يواصلن السفر بهذه  
السيارة.

سأل السيد باركر باين: وماذا عن قائنا؟

- أعني هينسلي...؟

- لا، لا أعني هينسلي؛ فقد صدف أن عرفت أن هينسلي

بري.

- أنت... ولكن ماذا؟

- بسبب وجود رمل في جواربه.

حدق أوزورك إليه، فقال بلفظ: أعرف -يا بني- أن ما أقوله  
لا يبدو معقولاً، ولكنه الحقيقة؛ إذ أن سميثريست لم يُضرب على  
رأسه، بل طُعن.

سكنت لحظة ثم تابع بقول: عد بذنك فقط إلى المخادعة  
التي رويتها لكم... تلك التي تبادلناها أنا وسميثرست في الدقي،  
لقد انقبت أنت ما بدا لك أنه الجملة المهمة، ولكن ما أثار انتباهي

أنا عبارة أخرى. فعندما قلت له إنني أفعل في مجال دخائل الناس قال لي: "ماذا، أنت أيضاً؟". ألا ترى في هذه العبارة شيئاً غريباً؟ لا أحسب أنك يمكن أن تصنف سلسلة اختلاسات من دائرة معينة تحت بند «دخائل الناس»؛ فهذه العبارة يمكن أن تصف، بشكل أكثر دقة، سراً يتعلق بهروب السيد صامويل لونغ مثلاً.

جفل الطبيب وقال أورورك: نعم، ربما...

- لقد قلتَ مازحاً إن السيد لونغ الهارب من ديونه ربما كان واحداً من مجرمي عتاة، فماذا لو كانت هذه هي الحقيقة؟

- ماذا... ولكن هذا مستحيل!

- أبداً. ماذا تعرف عن الناس غير ما تقوله جوازات سفرهم وغير ما يقولونه هم عن أنفسهم؟ هل أنا حقاً السيد باركر باين؟ وهل الجنرال بولي حقاً ضابط إيطالي؟ وماذا عن الأنسة برايس الكبرى المسترجلة التي تكاد تحتاج إلى حلاقة ذقنها؟

- ولكن سميرست لم يكن يعرف لونغ.

- إن سميرست كان طالباً قديماً في كلية إيتون، وكان لونغ أيضاً في تلك الكلية، وربما كان سميرست قد عرفه دون أن يقول لكم ذلك. ربما كان قد ميزه بينا، وإن كان الأمر كذلك، فماذا كان سيفعل؟ إنه ذو تفكير بسيط، وقد ألقاه الأمر، وقد قرر أخيراً أن لا يقول شيئاً قبل الوصول إلى بغداد؛ ولكنه سيتحدث بعد ذلك.

قال أورورك والدهشة ما تزال تحيره: أتعتقد أن أحدنا هو لونغ؟

ثم سحب نفساً عميقاً وقال: لا بد أنه الرجل الإيطالي... لا شك. أو ما رأيك بالأرمني؟

- إن التكر على شكل أجنبي والحصول على جواز سفر أجنبي سيكون أصعب من البقاء إنكليزياً.

قال أورورك غير مصدق: أتعتني الأنسة برايس؟

قال السيد باركر باين: كلا، هذا هو صاحبنا!

ثم وضع على كتف الرجل الواقف قربة بدأ كادت تبدو ودودة، ولكن لم يكن في صوته ما يوحي بالود، وكانت أصابعه تنسك بالرجل كالكماشة. ثم مضى قائلاً: قائد السرب لوفتاس أو السيد صامويل لونغ، لا فرق كيف تسميه!

صاح أورورك: ولكن ذلك مستحيل... مستحيل. لقد كان لوفتاس في الخدمة منذ سنوات.

- ولكنك لم تلتقي به من قبل، اليس كذلك؟ لقد كان غريباً بالنسبة لكم جميعاً. إنه ليس لوفتاس الحقيقي بالطبع.

وجد الرجل الهادئ صوته أخيراً وقال: ذكاء منك أن تخمن ذلك. كيف عرفت بالمناسبة؟

- من قولك السخيف الساذج إن سميرست قد قُتل نتيجة ارتطام رأسه. لقد وضع أورورك تلك الفكرة في رأسك عندما كنا

واقفين نلتكلم في دمشق بالألمس، وفكرت قائلاً لنفسك: ما أبسط ذلك! فقد كنت الطبيب الوحيد بيننا... وكل ما نقوله سيُقبل. كنت قد حصلت على عدة لوفتاس الطبية وحصلت على أدوائه، وكان من السهل أن تختار أداة حادة صغيرة تلائم غرضك. وقد انحنيت فوقه لتتحدث معه، وبينما كنت تتحدث أدخلت تلك الأداة في أسفل عنقه، وريقيت نلتكلم للدفيفة أو اثنتين بعد ذلك. والجو معتم داخل المركبة، فتمثداً يشك في شيء؟ ثم جاء اكتشاف الحقنة، وأطلقت حكمك. ولكن الأمر لم يمر بالسهولة التي تصورتها؛ فقد دارت بعض الشكوك، ولذلك لجأت إلى خط دفاعك الثاني. فقد كرر ويليامسن المحادثة التي سمعها تجري بين سميرت وبينك، وقد فهم منها أنها تشير إلى هينسلي، وأضفت أنت ذلك الجزء الصغير المدغم الذي لفتته حول وجود اختلاسات في دائرة هينسلي. بعد ذلك قمتُ باختيار صغير؛ إذ أشرتُ إلى الرمل والجوارب، وكنتُ تمسك ببعض الرمل في يدك. وأرسلتُك لشخص الجوارب كي يتاح لنا أن نعرف الحقيقة. ولكنني بهذه العبارة لم أقصد ما تخيلتُ أنت أنني أقصده؛ إذ كنتُ قد لحصتُ أصلاً جوربي هينسلي، ولم يكن في أيٍّ منهما رمل... أنت الذي وضعت الرمل هناك!

أشعل السيد صامويل لونغ لثافة وقال: إنني أستسلم؛ لقد انقلب حظي! لقد كانوا يلاحقوني بشكل محزون عندما وصلت إلى مصر، والتفتت بلوفتاس. كان في طريقه للانضمام إلى الوحدات العاملة في بغداد ولم يكن يعرف أحداً منهم هناك، وكانت فرصة أروع من أن يفوتها المرء. وهكذا فقد رشوته، وقد كلفني ذلك عشرين ألف جنيه. ولكن ما أهمية هذا المبلغ بالنسبة لي؟ وبعد ذلك

جعلني سوء ظالمي ألقي بسيرت... ذلك الخمار الذي لم أر حمراً مثله! لقد كان طالبا تحت عهدي في كلية إيتون باعتباري أعلى منه مرتبة، وكان ينظر إليّ في تلك الأيام بشيء مما يسمونه عبادة الأبطال، ولم تعجبه فكرة إنشاء أمرٍ. وقد حاولت معه جهدي، وفي النهاية وعد أن لا يقول شيئاً حتى تصل إلى بغداد. فما هي الفرصة التي ستكون أمامي عندها؟ لن تكون هناك أية فرصة. ولم يكن لي سوى خيار واحد... وهو تصفيته. ولكنني أؤكد لك أنني لست قائلاً بطبعي؛ إن مواهي تكمن في مجال مختلف تماماً.

تغير وجهه، وتقلص. ثم ترنخ وسقط إلى الأمام.

اتحنى أورورك لوقه، وقال السيد باركر باين: ربما كان هذا نتيجة خامض البروسيك... في اللقافة. لقد خسر المقامر لعبته الأخيرة.

ثم نظر حوله إلى الصحراء القبيحة، وكانت الشمس تفسره. إنهم لم يغادروا دمشق إلا بالألمس... من بوابة بغداد.

لا تمرري عبري أيها الغافلة، ولا تمرري وأنت تغنين.  
أستعين ذلك العصمت حيث العسافير مينة،  
ومع ذلك يغرد شيء كالعصفور؟  
اعبري خارجة أيها الغافلة، نافلة القذرة، غافلة التوت!





بيت في شيراز

كانت الساعة السادسة صباحاً عندما غادر السيد باركر باين باتجاه إيران بعد توقف له في بغداد. وكانت المساحة المخصصة للركاب في الطائرة الصغيرة محدودة، كما كان الاتساع المحدود للكراسي نفسها لا يسمح لجسم السيد باركر باين الضخم بأي ارتياح، وكان معه رفيقا سفر، الأول رجل ضخم متورد الوجه رأى السيد باين أنه من النوع الثرثار، وامرأة تحبلة مزمومة الشفتين يوحى سميتها بالتصميم.

وفكر السيد باين مع نفسه قائلاً: إنهما لا يدوان ممن يمكن أن يلجأ إلى استشارتي في مجال مهنتي على أية حال.

وقد كانا كذلك بالفعل، وكانا قد أعطيا زميلهما في الرحلة نبذة عن حياتهما قبل أن تنطلق الطائرة. وكان السيد باركر باين قد قال بشيء من عدم الاستحسان: أما أنا فمجرد سائح؛ سأذهب إلى طهران وأصفهان وشيراز.

وقد سحرتة موسيقى هذه الأسماء بحيث أعاد ترديدها ثانية: طهران... أصفهان... شيراز.

نظر السيد باين من النافذة إلى البلد تحت. كانت صحراء ثامة، وأحس بغموض هذه المناطق الشاسعة غير المأهولة. وفي كرمشاه

سحلت الطائرة لتفحص جوازات السفر والجمارك، وقد فتحت حقيبة من حقائب السيد باركر باين وتم تفحص علبة صغيرة من الورق النيقوي بشيء من الحساسية والانفعال، وطُرحَت الأسئلة، ولكن بما أن السيد باين لم يكن يتحدث الفارسية أو يفهمها فقد كان الأمر صعباً. جاء الطيار مسرعاً، وكان شاباً ألمانياً أشقر وسيم الطلعة ذا عينيْن عميقتي الزوقة ووجه سفعته الأنواء الجبوية. سأَل بأسلوب مرح: ما الأمر؟

التفت إليه السيد باركر باين بارتياح بعد أن كان منزعجاً في عرض إيماني رافع لم يجد فيلاً. قال للطيار: إنه مسحوق للبعوض. هل تظن أن بوسعك أن تشرح لهم الأمر؟

بدا الطيار مذهوشاً وقال: ماذا؟

شرح له السيد باين الجملة بالألمانية فترجمها الطيار للفارسية؛ ففرح الموظفون المتجهمون الحزائي، وارتخت وجوههم الكئيبة، وانسموا. بل لقد بلغ الأمر بأحدهم أن ضحك؛ فقد وجدوا الفكرة مضحكة.

عاد المسافرين لاحتلال مقاعدهم في الطائرة واستوتقت الرحلة. وقد هبجت الطائرة في همدان لرمي البريد دون أن تتوقف طويلاً، ونظر السيد باركر باين من النافذة محاولاً أن يرى إن كان بإمكانه تمييز صحرة بيهستون، تلك البقعة الرومانسية التي وصف فيها داريوس اتساع اميراطوريته وفتحاته بثلاث لغات مختلفة هي البابلية والميدية والفارسية.

كانت الساعة قد بلغت الواحدة عندما وصلوا إلى طهران، وكانت هناك إجراءات رسمية أكثر من قبل الشرطة. وكان الطيار الألماني قد جاء ووقف مبسماً بجانب السيد باين فيما أكمل الأخير الإجابة على تحقيق مطول لم يفهم منه شيئاً. وبعد ذلك توجه بالسؤال إلى الطيار الألماني قائلاً: ما الذي كنت أقوله؟

- لقد كنت تقول إن اسم أليك سائح، وإن مهنتك تشارلز، وإن اسم والدتك قبل الزواج بغداد، وإنيك مولود في الطائرة؟

- وهل يهم ذلك؟

- لا يهم أبداً؛ فقط أجيهم بشيء، فهذا كل ما يريدونه.

خاب أمل السيد باركر باين بطهران؛ فقد وجدها حديثة إلى حدٍ يثير الأسى. وقد قال ذلك مساء اليوم التالي للسيد شلاغال؛ الطيار الألماني، عندما صادفه وهو يقيم بدخول فندقه. وبوحي اللحظة قام بدعوة الطيار إلى العشاء، فقبل الرجل الدعوة.

حام التبادل الجورجي حولهما، ثم أصدر أوامره فما لبث الطعام أن جاء. وبعد قليل قال الألماني: إذن فستذهب إلى شيراز؟

- نعم؛ سوف أذهب إلى هناك بالطائرة، ثم سأعود من شيراز إلى أصفهان وطهران عن طريق البر. أنت الذي ستطير بي غداً إلى شيراز؟

- لا، سأعود إلى بغداد.

- هل تعمل هنا منذ فترة طويلة؟

منذ ثلاث سنين ؛ فهذه الرحلة لم يندأ تقديمها إلا قبل ثلاث سنين ، وحتى الآن لم تنعزض لأي حادث... من حسن الطالع !

وبعد أن جيء إليهما بفتحائين من القهوة الحلوة قال الألماني متذكراً : كان أول ركابهم سيدتين إنكليزيتين .

- نعم ؟

- كانت إحداهما شابة من أصل عريق جداً ، ابنة واحد من وزراءكم ، واسمها الليدي إيستر كار . وكانت جميلة ، بل جميلة جداً ، ولكنها مجنونة .

- مجنونة ؟

- مجنونة تماماً ، وهي تعيش هناك في شيراز في بيت محلي ضخم ، وترتدي ثياباً شرقية ، وترفض رؤية أي أوروبيين . أهذه حياة تعيشها سيدة عريقة النسب ؟

قال السيد باركر باين : لقد فعل آخرون ذلك .

- ولكن هذه مجنونة ، يمكنك أن ترى ذلك في عينيها . كنت قد رأيت مثل ذلك في عيني قاندي في الغواصة أثناء الحرب ، وهو الآن في مصحة عقلية .

راح السيد باركر باين يتأمل . كان يذكر اللورد مايكلديفر جيداً ، والد الليدي إيستر كار ؛ فقد عمل إمرته عندما كان اللورد وزيراً للدخلية . كان رجلاً ضخماً أشقر ذا عيين زرقاوين ضاحكتين ، وقد رأى الليدي مايكلديفر مرة ، وكانت ذات جمال أيرلندي ملحوظ

بشعرها الأسود وعينيها الزرقاوين الغامقتين . كانا كلاهما شخصين وسعيين عاديين ، ولكن بالرغم من ذلك فقد كان في عائلة كار عرق جنون بالفعل ، وكان هذا العرق يظهر بين آوثة وأخرى ، لا يتجوز منه جيل حتى يظهر في الجيل التالي . ورأى أن من العريب أن يركز الطائر الألماني على هذه النقطة .

سأنا متكاسلاً : والمرأة الأخرى ؟

- المرأة الأخرى... مينة .

كان في صوته شيء جعل السيد باركر باين يوقع نظره بحدة .

قال السيد شلاغال : إن لي قلباً مرهقاً ، وقد كانت تلك الفتاة بالنسبة لي جميلة جداً . أنت تعلم كيف تجري الأمور ؛ فهذه المشاعر تتباعد فجأة . لقد كانت زهرة... زهرة .

تهبت ثم قال : ذهبت لرؤيتهما مرة... في بيتهما في شيراز والليدي إيستر هي التي دعيتي للحضور . ولكنني وجدت الصغيرة ، زهرتي ، خائفة من شيء ما . كان يوسعي أن أرى ذلك بوضوح . وعندما عدت مرة أخرى من بغداد سمعت أنها ماتت . ماتت !

توقف قليلاً ثم قال يتأمل : ربما كانت المرأة الأخرى قد قتلتها ؛ فقد كانت مجنونة كما قلت لك .

\*\*\*

بعد ظهر اليوم التالي تماماً شاهد السيد باركر باين منظر شيراز لأول مرة . كانت الطائرة قد طارت فوق سلاسل جبلية بينها وديان

ضيقة معزولة ومجاهل فاحشة جافة، وفجأة ظهرت شيراز... جوهرة من الزمرد الأخضر في قلب تلك المجاهل.

أعجب السيد باركر باين بشيراز أكثر مما أعجب بطهران، ولم تصدمه الطبيعة البدائية للفندق ولا الطبيعة البدائية للشوارع. وقد وجد نفسه وسط عطلة فارسية؛ إذ كان عيد النوروز قد بدأ مساء اليوم السابق لوصوله، وهو فترة تمتد أسبوعين يحتفل فيها الفرس بيده عامهم. وقد تجول في الأسواق الفارغة، ثم خرج إلى الأراضي الواسعة في الجانب الشمالي من المدينة. كانت كل شيراز تحتفل.

وفي أحد الأيام خرج يمشي خارج البلدة، ولدى عودته سحرة أحد البيوت. كان بيتا يغطيه الأجر الأزرق والوردي والأصفر ويقع وسط حديقة خضراء تنساب فيها الحياة وتزينها الورود وأشجار البرتقال. وشعر أن هذا البيت هو بيت الأحلام.

في تلك الليلة كان يتناول العشاء مع القنصل البريطاني، وسأله عن ذلك البيت فقال القنصل: إنه بيت ساحر، اليس كذلك؟ لقد بناء أحد الحكام السابقين الأغنياء لمنطقة لورستان، وهو لامرأة إنكليزية الآن. لا بد أنك سمعت بها؟ الليدي إيسر كار، إنها مجتونة جنوناً مُطبقة... أصبحت من أهل المنطقة تماماً ولا تريد أي علاقة بأي شيء أو إنسان بريطاني.

- أهى صغيرة؟

- أصغر من أن تمثل دور المغفلة بهذه الطريقة. إنها في نحو الثلاثين.

- لقد كانت معها امرأة إنكليزية أخرى، اليس كذلك؟ امرأة ماتت؟

- نعم. كان ذلك منذ نحو ثلاث سنين، وقد حدث ذلك في اليوم الذي تلا احتلاي لمنضي هنا في الواقع.

سأل السيد باركر باين بجرأة: كيف ماتت؟

- وقعت من تلك الشرفة في الطابق الأول. كانت خادمة لليدي إيسر أو مرافقة لها، لا أذكر. على كل، كانت تحمل صينية الإفطار وتراجعت خطوة عند الحافة. أمر محزن جداً، ولم يمكن فعل شيء. فقد تهشمت جميعتها على الحجر في الأسفل.

- ماذا كان اسمها؟

- أظن أن اسمها كان كينغ، وكانت فتاة جميلة.

- هل حزنت الليدي إيسر عليها؟

- نعم... لا. لا أدري! كانت غريبة الأطوار تماماً ولم أستطع فهمها. إنها مخلوقة... امرأة مهيبة. يمكنك أن ترى أنها ذات شأن، إن كنت تفهم ما أعنيه. لقد أفزعني شخصيتها الأسرة ويعينها السوداوين اللامعتين.

ثم ضحك بشيء من الاعتذار ونظر إلى صاحبه بقول. ولكن بدا وكأن السيد باركر باين يجذب إلى الفراغ، وكان عود الثقب الذي أشعله ليشعل لنافته يحترق في يده، حتى إذا وصلت النار إلى أصابعه قذف العود بحفلة متألدة. ثم رأى تعابير الدهشة على وجه القنصل فابتسم وقال: أزوجو أن تعذرني.



- لقد كنت في عالم آخر، أليس كذلك؟

قال السيد باركر باين بعموض: وراء تخوم بعيدة.

\*\*\*

في تلك الليلة كتب السيد باركر باين رسالة على ضوء الصباح الزهني الصغير، وقد تردد كثيراً في صياغتها، ومع ذلك كانت في النهاية بسيطة جداً.

يقدم السيد باركر باين تحياته إلى الليدي إيستر كار ويود أن يوضح أنه يقيم في فندق فارس للأيام الثلاثة القادمة إذا ما رغب الليدي في استشارته.

ثم أرفق مع الرسالة قصاصة ورق... وهي إعلان الشهر: «هل أنت سعيد؟ إن لم تكن سعيداً فاستشر السيد باركر باين، ١٧ شارع ريتشموند».

قال السيد باركر باين لنفسه وهو يأوي بحذر إلى فراشه غير المريح: يجب أن تنجح هذه الطريقة. لنقل إنها ثلاث سنوات تقريباً، نعم... يجب أن تنجح هذه الطريقة.

\*\*\*

في نحو الساعة الرابعة من مساء اليوم التالي جاء الجواب، وقد أتى به خادِم فارسي لا يعرف الإنكليزية: ستكون الليدي إيستر مسرورة إذا ما زارها السيد باركر باين في التاسعة من هذه الليلة، وابتسم السيد باركر باين.

كان نفس الخادِم هو الذي استقبله في ذلك المساء، وتم اصطحابه خلال الحديقة المظلمة، ثم صعوداً على درج خارجي يدور حتى يقضي إلى مؤخرة البيت. وهناك فُتح باب ومعه السيد باركر باين إلى باحة مركزية كانت مكشوفة تطلُّها السماء، وكانت هناك أريكة كبيرة وضعت عند الجدار وعليها تجلس متكة مخلوقة تتبر الإعجاب.

ارتدت الليدي إيستر أبواباً شرفية واسعة، وكان بالإمكان الشك بأن أحد أسباب تفضيلها لذلك يكمن في حقيقة أن تلك الأبواب ثلاث طراز جمالها الشرقي الغني. لقد وصفها القنصل بأنها ذات شخصية أسرة، وقد بدت كذلك بالفعل. كان ذهنها يرفع إلى الأعلى وحاجبها يوحيان بالسلط. قالت: أنت السيد باركر باين؟ اجلس هنا.

أشارت يدها إلى كومة من الوسائد، وفي إصبعها الثالث التمتعت زمردة كبيرة حُفر عليها شعار أسرته. وفكر السيد باين بأن تلك القطعة كانت متوارثة في العائلة، ولا بد أنها تساري ثروة.

اتحتج طائفاً ليجلس، ولكن بشيء من الصعوبة؛ فليس سهلاً على رجل يمثل جسمه أن يجلس على الأرض بشكل مؤثر جليل. ثم ظهر خادِم يحمل القهوة فأخذ السيد باركر باين فتجانه وارتشف منه باستحسان.

كانت مضيقته قد اكتسبت العادة الشرقية في أخذ ما تشاء من وقت. لم تدفع للحديث، بل ارتشفت هي الأخرى قهوتها بعينين نصف مغمضتين. ثم تكلمت أخيراً: إذن فأنت تساعد الناس التعاء. هذا ما يزعمه (إعلانك على الأقل).

- نعم.

- لماذا أرسلته إلي؟ أمي طريقتك هي... في العمل أثناء أسفارك؟

كانت في صوتها لهجة هجومية لا تخفى، ولكن السيد باركر يابن تجاهل ذلك واكتفى بالرد ببساطة: لا؛ إن فكرتي فيما يخص السفر هي التمتع بعطلة كاملة دون عمل.

- لماذا أرسلته إلي إذن؟

- لأن عندي من الأسباب ما يجعلني أظن أنك... ثبته.

ساد الصمت لحظة، وكان هو في غاية القبول. كيف ستلقى هذه الإجابة؟ أعطت نفسها دقيقة لتقرر ذلك، ثم ضحكت وقالت: أحسبك ترى أن كل من يترك العالم ويعيش كما أعيش، معزولاً عن أبناء جنسه وعن بنده، لا يد أنه يفعل ذلك لأنه تمس! أتظن أن الحزن أو خيبة الأمل... أو شيئاً من هذا القبيل هو الذي دفعني إلى المتنفي؟ آه، كيف لك أن تفهم؟ هناك، في إنكلترا، كنتُ مثل سبكة خارج الماء، أما هنا فأنا أشعر بأنني أحقق نفسي. إنني شريفة في أعمالي، إنني أحب هذه العزلة، وأظن أنك لا تستطيع فهم ذلك؛ فبالنسبة لك لا يد أنني أبدو...

ترددت قليلاً ثم قالت: مجنونة.

قال السيد باركر يابن: أنت لست مجنونة.

كان في صوته قدر كبير من التأكيد الهادئ، فنظرت إليه

باستغراب وقالت: ولكن أحسب أنهم كانوا يقولون إنني مجنونة. يا لهم من حقى! لا يمكن أن يبقى العالم دون نوع يسمح بوجود كل الأذواق. إنني سعيدة جداً.

- ومع ذلك فقد طلبت مني القدوم إلى هنا.

ترددت وقالت: سأعترف إنني كنت فضولية جداً لرؤيتك. وفوق ذلك فإني لم أرد أبداً العودة إلى هناك، إلى إنكلترا، ولكنني - مع ذلك - أحب أحياناً أن أسمع ما يجري في...

- في العالم الذي تركته؟

وافلتت على العبارة بإيماءة من رأسها. وبدأ السيد باركر يابن يتحدث، وبدأ صوته الهادئ المطمئن يتكلم بهدوء يداية، ثم يعلو قليلاً ليتركز على نقطة هنا أو موضوع هناك.

تحدثت عن لندن، وعن المجتمع الراقى، وعن مشاهير الرجال والنساء، وعن المطاعم والنادي الجديدة، وعن عناقات الخيول، وتحدثت عن الدلائس والأزياء القادمة من باريس، وعن محلات صغيرة في شوارع قديمة حيث يمكن إبرام صفقات عجيبة. ووصف لها المسارح ودور السينما وأخبار آخر الأفلام، وحديثها عن التوسع الجديد في بناء الضواحي، ثم تحدثت عن الورود والبستنة، وأخيراً أتت إلى وصف حميم لمدينة لندن عند المساء، بتراميتها وحافلاتها، وحشودها المتسارعة من الناس العائدين إلى بيوتهم بعد يوم العمل والبيوت الصغيرة التي تنتظر تلك الحشود، وكل النشاط الحميم الغريب للحياة العائلية الإنكليزية.

كانت ذلك عرضاً واعاً من طرفه، عرضاً أظهر معرفة واسعة غير عادية وتربياً ذكياً للحقائق. وكان رأس الليدي إيسثر قد انحنى وتخلت عن سمت العجرفة، ولبعض الوقت كانت دموعها قد انهمرت بصمت. والآن، وقد أنهى كلامه، تخلت عن كل المظاهر وبكت صراحة.

لم يقل السيد باركر باين شيئاً، بل جلس هناك يراقبها وعلى وجهه تعبير هادئ راضٍ كمن قام بتجربة وحصل على النتيجة المطلوبة منها.

وأخيراً رفعت رأسها وقالت بمرارة: حسناً، هل وضيت؟

- أظن ذلك... الآن.

- كيف سأتحمل ذلك؟ كيف سأتحمل ذلك؟ أن لا أقادر هذا المكان أبداً وأن لا أرى... أحداً بعد الآن؟

خرجت منها الصرخة وكأنها غصرت منها عصراً، ثم أحست بنفسها فاحضة وجهها وسألت بحدة: حسناً؟ ألن تسألني ذلك السؤال الواضح؟ ألن تقول: إن كنت تريدني العودة إلى الوطن بهذا القدر فلماذا لا تعودين؟

هز السيد باركر باين رأسه بالإنفي وقال: لن أفعل؟ فالأمر ليس بمثل هذه المبهمة بالنسبة لك.

ولأول مرة بدت لمحة بسيطة من الخوف في عينيها وقالت: أتعرف لماذا لا أستطيع الذهاب؟

- أظن ذلك.

هزت رأسها وقالت: خطأ. إن سبب عدم قدرتي على الذهاب سبب لا يمكن لك أبداً أن تحزروه.

- أنا لا أحزرك. إنني ألاحظ... وأصنف.

هزت رأسها مرة أخرى وقالت: أنت لا تعرف شيئاً أبداً.

قال السيد باركر باين بمرح: أرى أنني مضطر لإقناعك. عندما جئت إلى هنا - يا ليدي إيسثر - أظن أنك جئت جواً في رحلة جديدة بدأ الطيران الألماني بتنظيمها من بغداد، أليس كذلك؟

- بلى.

- وقد قادكم طيار ألماني، السيد فبلاغال، الذي جاء إلى هنا فيما بعد لمؤامرتك.

- نعم.

قيلت تلك الكلمة بنبرة مختلفة قليلاً بشكل يصعب تفسيره... كان فيها الكثير من الرقة!

- وكانت لديك حذيفة أو مرافقة... وماتت.

كان صوته الآن كالفلوذا... بارداً، هجومياً.

- كانت مرافقتي.

- وكان اسمها...؟

- موديل كينج.

- هل كنت تحبها؟

- ماذا تعني بأنني أحبها؟

سكنت قليلاً لتسيطر على نفسها، ثم قالت: كانت مفيدة لي.

قالت ذلك بعجرفة، وتذكر السيد باركر باين قول القنصل عنها  
إن بوسع المرء أن يرى أنها ذات شأن.

- هل خزنت عندما ماتت؟

- إنني... طبعاً! ما هذا يا سيد باين؟ أمن الضروري العودة

إلى هذا الموضوع؟

كانت نتحدث بغضب، ثم أكملت دون أن تنتظر منه جواباً:  
كان من لطيفك أن تأتي، ولكنني متعبة قليلاً. لو قلت لي كم يجب  
أن أدفع لك...؟

ولكن السيد باركر باين لم يتحرك ولم يُظهر أية إشارة على  
شعوره بالإهانة، ومضى في أسئلته بهدوء: وعند أن ماتت لم يأتِ  
السيد شلاغال لرؤيتك، ماذا لو جاء، هل تستقبلينه؟

- كلا بالتأكيد.

- أترفضين ذلك تماماً؟

- تماماً! لن يُسمح للسيد شلاغال بالزيارة.

قال السيد باركر باين متأملاً: نعم. لا يمكنك قول أي شيء

آخر.

اتكسر قليلاً درع عجرفة الدفاعي وقالت بشيء من التردد:  
إنني... إنني لا أعرف ما الذي تعنيه.

- هل عرفت - يا ليدي إيسر - أن السيد شلاغال قد وقع في حب  
موريل كينغ؟ إنه شاب عاطفي، وهو ما يزال يحترم ذكرها كثيراً.  
- أحقاً؟

- كان صورتها أشبه بالهمس، ومضى بالسؤال: كيف كانت؟

- ماذا تعني بكيف كانت؟ كيف لي أن أعرف؟

قال السيد باين بهدوء: لا بد أنك كنت تنظرين إليها أحياناً.

- آه، تعني شكلها؟ كانت شابة جميلة تماماً.

- في مثل عمرك تقريباً؟

- تقريباً.

ساد شيء من الصمت، ثم قالت: لماذا تظن أن... أن شلاغال  
قد أحبها؟

- لأنه هو الذي أخبرني بذلك، نعم، أخبرني بكل وضوح.  
وكما قلت؛ فهو شاب عاطفي، كان سعيداً بالروح لي، وقد أزعجته  
جداً وفاتها بالشكل الذي وقعت به.

قفزت الليدي إيسر واقفة وحاسحت: أنظن أنني قتلتها؟

ولكن السيد باركر باين لم يقفز واقفاً؛ فهو لم يكن من النوع  
الذي يقفز واقفاً. قال: لا يا طفتني العزيزة، أنا لا أظن أنك قتلتها.

ولأن الأمر كذلك، فإني أرى أنك كلما عجلت بالكف عن هذا التمثيل والعودة إلى وطنك كلما كان ذلك أفضل.

- ماذا تعني بالتمثيل؟

- الحقيقة أنك فقدت شجاعتك. نعم، فقدت شجاعتك تماماً! فقد ظننت أنك مستهمين بقتل سيدتك.

صدمت عن الفئاة حركة مفاجئة فيما استمر السيد يازكر يابن قائلاً: أنت لست اليلدي إيسر كار. لقد عرفت ذلك قبل أن آتي إلى هنا. ولكنني أخبرتك لكي أتأكد.

ثم اتسعت ابتسامته، هادئة لطيفة، وأكمل قائلاً: عندما أقيمت محاضرتي الصغيرة قبل قليل كنت أراقبك، وفي كل مرة كان رد فعلك هو رد فعل موريل كينغ، وليس إيسر كار. لقد انفعلت لذكر المحلات الرخيصة، والسينما، والقضاي الجديدة، والعودة إلى البيت بالحافلة أو الترام. أما أخبار النوادي الجديدة وأحداث المناطق الراقية وسباقات الخيل... لهذه كلها لم تكن لك شيئاً.

غدا صوته أكثر إقناعاً وأبوية من ذي قبل، وقال: اجلسي وأخبريني عن ذلك الأمر. أنت لم تقتلي اليلدي إيسر، ولكنك ظننت أنك قد تهمين بقتلها. أخبريني فقط كيف حدث الأمر كله.

سحبت نفساً عميقاً، ثم عادت فألقت بنفسها على الأريكة وبدأت تتكلم. وقد جاءت كلماتها عجلى، على شكل دفعات سريعة: ينبغي أن أبدأ منذ البداية. لقد... لقد كنت خائفة منها! فقد كانت مجنونة. لم تكن مجنونة تماماً... قليلاً فقط. أحضرتني معها

إلى هنا، وقد كنت متجدة بذلك، أنا المغفلة! ظننت أن المسألة رومانسية جداً. كنت مغفلة، مغفلة بالفعل. ثم بدأت تصبح غريبة الأطوار أكثر فأكثر. ثم جاءت قصة ذلك الطيار، فقد أعجبت به، وقد جاء هنا لزوجتي، وظننت... آه، أنت تعلم كيف تتطور هذه الأمور. ولكن لا بد أنه أوضح لها موقفه تماماً، وبعدها انقلب علي فجأة. كانت فظيعة ومخيفة! قالت إنني لن أعود إلى الوطن أبداً، وقالت إنني تحت سلطتها تماماً وإنها تملك حياتي وموتي.

أوما السيد يازكر يابن برأسه متفهماً، فقد رأى الوضع يتكشف أمامه: اليلدي إيسر تنحدر ببطء إلى حافة الجنون، كما انحدر قبلها بعض أفراد أسرتها، والفئاة الخائفة الغرة التي لم يسبق لها السفر، وهي تصدق كل ما يقال لها.

أكملت الفئاة: ولكن في أحد الأيام بدا وكأن شيئاً في نفسي قد انفجر، قصدت لها وأخبرتها أن الأمور إذا وصلت إلى ذلك الحد فإنني أقوى منها، وقلت لها إن من شائي أن أرميها من الشرفة. وقد خافت، خالفت بالفعل. وأحسب أنها كانت قد اعتبرني - حتى تلك اللحظة - مجرد حشرة. تقدمت منها خطوة، ولا أدري ما الذي تخيلت أنني سأفعله، فقد ترجعت إلى الخلف، وخطت... وخطت على حافة الشرفة فسقطت!

قال موريل كينغ ذلك ثم دفعت وجهها يديها، فقال السيد يازكر يابن بملفوف: وبعد ذلك؟

- فقدت عقلي. ظننت أنهم سيؤتون إنني دفعتها. ظننت أن أحداً لن يُصغي إلي وأنني سأرمى في سجن رهيب هنا.



ارتعدت شفتاهما، وأدرك السيد باركر باين -بوضوح- حقيقة الخوف الذي سيطر عليها والذي يُفقد المرء قدرته على الحكم.

- ثم خطر الأمر لي... لو كنت أنا! كنتُ أعرف أن اتصالاً جديداً سيأتي لم يسبق له أن رأى أيًا منا، ورأيت أن بوسعي تدبّر أمر الخدم، فبالنسبة لهم كنا كلانا امرأتين إنكليزيتين مجنونتين، وعندما نموت واحدة تستمر الأخرى. أعطيتهم هدايا ثمينة وأموالاً، وقلتُ لهم أن يرسلوا في طلب القنصل. وعندما جاء استقبلت باعتباري اللبدي إيسر، وكنتُ قد وضعتُ خاتمتها في إصبعي. وقد كان القنصل في غاية اللطف وقام بترتيب كل شيء، ولم يبدُ أن أحداً قد شك بأي شيء.

أوما السيد باركر باين برأسه متأملاً، ومضت موريل قائلة: وبعد ذلك تمنيت لو أنني لم أتمصص شخصيتها. أدركتُ أنني كنتُ مجنونة تماماً أنا الأخرى؛ فقد حكم علي بالبقاء هنا لتمشيل الدور، ولم أستطع رؤية طريقة يمكن من خلالها الخروج من هنا أبداً. فإذا اعترفتُ بالحقيقة الآن سيبدو الأمر، أكثر من أي وقت مضى، وكأنني أنا التي قُتلتها. آه يا سيد باين! ماذا عساي أفعل؟ ماذا أفعل؟

- تضملين؟

نهض السيد باركر باين على قدميه بأسرع ما يستطع به جسمه وقال: يا طفلي العزيزة! ستأتين معي الآن إلى القنصل البريطاني، وهو رجل ودود ولطيف جداً. توجد بعض الإجراءات الرسمية الكريهة التي ينبغي أن تمرر بها، وأنا لا أدعك بأن الأمر سيكون

نزهة لطيفة، ولكنك لن تُشغلي بتهمة القتل. وبالمنااسبة، لماذا تم العثور على صينية الإقطار مع الجثة؟

- أنا رمتها فوقها. لقد... لقد رأيت أن وجود الصينية هناك سيجعل الأمر يبدو أكثر إقناعاً بأن القتيلة هي أنا. أكان ذلك سخافة مني؟

- بل كانت لمسة ذكية، والحقيقة أنها كانت النقطة الوحيدة التي جعلتني أتساءل إن كنت قد قصتُ حقاً بقتل اللبدي إيسر... إلى أن رأيتك. فعندما رأيتك عرفتُ أنك، مهما عملت في حياتك، فإنك لا يمكن أن تقتلي إنساناً أبداً.

- أتعني لأنني لا أملك الشجاعة؟

قال السيد باركر باين مبتسماً: إن ردود أفعالك لا تجعلك يتلك الطريقة. الآن، هل نذهب؟ أمامنا مهمة كريمة يجب مواجهتها، ولكنني سأساعدك على اجتيازها، وبعدها العودة إلى سترينام. هل أنت من سترينام هل، اليس كذلك؟ نعم، لقد خففتُ هذا؛ فلقد رأيت وجهك يتقلص عندما ذكرت رقم حافلة محددة. هل ستأتين يا عزيزتي؟

تلكأت موريل كينغ وقالت ياريتباك: إنهم لن يصدقوني... لن يصدقوا أنها تصرفت بالشكل الذي تصرفت به.

- اتركي ذلك لي؛ فأنا أعرف بعض الأشياء عن تاريخ العائلة. هيا يا طفلي، لا تسمر في لعب دور الجيانية. تذكرني أن هناك

شاباً يحترق قلبه عليك. من الأفضل أن يرتب بحيث تكون طائرته هي التي تقلك إلى بغداد.

استسعت الفتاة واحمر وجهها وقالت ببساطة: أنا جاهزة.

وقبلاً هي تتحرك باتجاه الباب التفتت فجأة وقالت: لقد قلت  
إنك كنت تعرف أنني لست الليدي (يسر كاز من قبل أن تراني،  
فكيف تسنى لك أن تعرف ذلك؟

قال السيد ياركر باين: الإحصاء.

- الإحصاء؟!

- نعم. فقد كان لكل من اللورد والليدي مابكلديفر عينان  
زرقاوان، وعندما ذكر لي الفضل أن ابنتهما ذات عينين سوداوين  
لامعتين عرفت أن في الأمر شيئاً غير طبيعي. إن ذوي العيون البنية  
يمكن أن يتجنبوا أطفالاً زرق العيون، ولكن العكس غير ممكن،  
وأؤكد لك أن هذه حقيقة علمية.

- أحسب أنك إنسان واثق!

\*\*\*

ثمن اللؤلؤة

كان أفراد المجموعة قد قضوا يوماً طويلاً منعياً؛ فقد انطلقوا من عمّان في الصباح الباكر بدرجة حرارة تبلغ ستاً وثلاثين درجة في الظل، ووصلوا أخيراً عندما بدأ يحل الظلام إلى المعسكر الذي أقیم في قلب تلك المدينة ذات الصخور الوردية الخيالية الغربية، وهي البتراء.

كانوا سبعة: السيد كاليب بلانديل، الثري الأميركي السمين، وسكرتيرة جيم هيرست الأسمر الوسيم رغم قلة كلامه، والسير دونالد مارفيل عضو البرلمان، وهو سياسي بريطاني ظاهر السام، والدكتور كارفر عالم الآثار الكهل المشهور عالمياً، والكولونيل دوير الفرنسي الشهير القادم من سوريا في إجازة، والسيد باركر باين الذي لا يمكن تصنيف مهنته بكل ذلك الوضوح، وأخيراً الأنسة كارول بلانديل، الجميلة المدللة والوافقة بشدة من نفسها باعتبارها المرأة الوحيدة بين نصف دويّنة من الرجال.

ناولوا عشاءهم في الخيمة الكبيرة بعد أن اختاروا خيامهم أو كهوفهم التي سينامون فيها، وتحدثوا في السياسة في الشرق الأدنى. تحدث الإنكليزي بحذر، والفرنسي يتكتم، والأميركي يشكل فارغ إلى حد ما، ولم يتحدث عالم الآثار ولا السيد باركر باين على

الإطلاق، وبدا أن كلا منهما قد فضل دور المستمع، وهو ما ينطبق أيضاً على جيم هيرمت.

ثم تحدثوا عن المدينة التي جاؤوا لزيارتها.

قالت كارول: إنها أكثر رومانسية من أن تصفها الكلمات، أن يفكر المرأة بأولئك... ماذا أسميتوهم؟ الأباط... وبأنهم عاشوا هنا في ذلك الزمن السحيق، قبل أن يبدأ الزمن تقريباً!

قال السيد باركر باين بلطف: ليس إلى هذا الحد، ما رأيك يا دكتور كارفر؟

- آه، لم يكن ذلك إلا منذ نحو ألفي سنة، وقد واجهت المدينة الكثير من اللصوص.

سألت كارول: أظن أنه كان يوجد سارقون؟

- كلمة السارق ليست رومانسية يا آنسة بلانديبل، فهي توحى بسرقات بسيطة ناهية، أما اللصوصية فتوحى بما هو أكبر وأعظم.

قال السيد باركر باين مُعزّضاً وهو يرمش بعينه: أشبه برجل مال معاصرا

صاحت كارول: هذه واحدة عليك يا أبي!

قال السيد بلانديبل بشيء من الوعظ: إن الرجل الذي يربح المال إنما يفقد البشرية.

تشم السيد باركر باين؛ ولكن البشرية جاحدة جداً هذا الفضل.

سأل الفرنسي: ما هي النزاعة؟ إنها لون يتغير، تقليد يختلف معناه باختلاف البلدان وباختلاف تعليم المرء.

دخل السير دونالد في الحديث دون كثير اهتمام: إن التعليم لا يعدو أن يكون مفسدة! يعلم المرء الكثير من الأمور التي لا فائدة منها... أعني أنه لا يغير طبيعة المرء.

- وماذا تعني بذلك؟

- ما أعنيه أنك -مثلاً- إن كنت لهما مرة فستبقى كذلك.

ساد صمت ثقيل للحظات، ثم بدأت كارول تتكلم بشكل مجحوم عن البعوض، وقد ساندتها والدها.

تشم السير دونالد مع جواره السيد باين وقد تحير قليلاً: يبدو وكأنني فُجِرت فنبلة، ما الأمر؟

أجابه السيد باركر باين: أمر غريب.

وكانت ما كان الحرج الذي ساد مؤقتاً فإن شخصاً واحداً قد فشل تماماً في الانتباه إليه؛ فقد كان عالم الآثار قد جلس صامتاً وعيناه جالبتان شاردتان، وعندما ساد شيء من الصمت تحدث فجأة وبسرعة: أنعمون؟ إنني أتفق مع هذا الرأي... من وجهة النظر المقابلة على الأقل! فالمرء إما أن يكون نزيهاً في جوهره أو لا يكون... لا نستطيع إنكار ذلك.

سأله السيد باركر باين: ألا تظن أن إغراء مفاجئاً، مثلاً، يمكن أن يبذل رجلاً نزيهاً إلى مجرم؟

قال كارول: مستحيل!

هو السيد باركر باين رأسه بلطف وقال: ما كنتُ لأقول إن هذا مستحيل، فالكثير من العوامل يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار. نقطة الانهيار مثلاً.

قال الشاب هيرست متخذاً لأول مرة: ما الذي تسميه نقطة الانهيار؟

كان ذا صوت عميق لا يخلو من عذوبة. وقال السيد باين: إن الدماغ مهياً لحمل وزن معين، وقد يكون الشيء الذي يجعل في وقوع الأزمة والذي يقلب رجلاً تزيهاً إلى رجل مجرم مجرد شيء تافه بسيط، ولذلك فإن معظم الجرائم سخيقة، والسبب فيها -في أغلب الحالات- هو ذلك الشيء التافه البسيط من الحمولة الزائدة. أي القشة التي تقصم ظهر البعير.

قال الفرنسي: أنت تتكلم في علم النفس هنا يا صديقي.

قال السيد باركر باين: "إن كان المجرم عالم نفس فأي نوع من المجرمين سيكون؟". بدا أنه يفكر في هذه الفكرة باستمتاع، ثم قال: عندما تفكر أن من بين كل عشرة أشخاص تقابلهم تسعة على الأقل تستطيع إغراءهم بالتصرف بأية طريقة تزيد عن طريق استعمال الحافز المناسب.

صاحت كارول: آه، اشرح ذلك!

- مثلاً الرجل الذي يستجيب للترهيب، لا يحتاج المرء إلا

للصياح به بصوت عالٍ حتى يطع. أما الرجل المعاند فما على المرء إلا أن يدفعه في الاتجاه المعاكس لما يريد منه. ثم هناك الشخص القابل للتأثر بالإيحاء، وهو أكثر الأنواع شيوعاً، وهؤلاء الناس هم الذين يرون سيارة لمجرد أنهم سمعوا بوق سيارة، ويرون سكيناً في الجرح لأنهم سمعوا من قال لهم إن الرجل قد طعن، أو الذين يسمعون صوت المدس لأن فلاناً قال لهم إن النار قد أطلقت على شخص ما.

قالت كارول بشيء من عدم التصديق: لا أظن أن أحداً يستطيع أن يمارس معي مثل هذا الإيحاء.

قال لها أيتها: أنت أذكى بكثير من أن تعرضي لذلك يا حبيبتي.

قال الفرنسي متأملاً: إن ما تقوله صحيح تماماً؛ إن الفكرة المسبقة تخدع الحواس.

ثمابت كارول وقالت: أنا ذاعية إلى كهنفي، أكاد أهلك تعباً. وقد قال عباس أفندي إن علينا أن نطلق ميكرب صباح غد، حيث سيأخذنا إلى مكان التضحية... كأننا ما كان ذلك يعني.

قال السير دونالد: إنه المكان الذي كانوا يضخون بالقنباث الصغيرة الجسيمات فيه.

- يا إلهي، يا له من أمر فظيع! حسناً، طاب مسلوكم جميعاً، آه، لقد أسقطت قرطي.

التقله لها الكولونيل دوبو من حيث تدرج عبر الطاولة وأعادها إليها.



سأل السير دونالد فجأة: هل قرطاك حقيقتان؟

وكان يحدق، وقد اتبنته الوقاحة للحظات، إلى اللؤلؤتين في أذنيه. فقالت: إنهما طبيعيتان دون شك.

قال أبوما مبتذلاً: لقد كلفاني ثمانين ألف دولار، وهي لا تحسن ثمنيهما بحيث يقعان ويتدحرجان عبر الطاولة. أتريدن تدميري يا بنت؟

قالت كارول بحب: لا أظن أن هذا يدمرك حتى لو اضطررت لشراء زوج جديد لي.

واقفها والدما قائلاً: أظنك محقة في هذا. يمكنكني أن أشري لك ثلاثة أزواج من الأقراط من دون أن لاحظ ذلك في حسابي المصرفي.

ثم نظر حوله بفخر، فقال السير دونالد: كم هذا رائع بالنسبة لك!

قال بلاتذيل: حسناً، أظنني سأوي إلى فراشي الآن. طابت ليكنكم.

وخرج الشاب هيرست معه فيما إنهم الأربعة الباقون بعضهم لبعض، وكأنهم متعاطفون لفكرة معينة.

قال السير دونالد: 'من اللطيف أن يعرف أنه لن يفقد أمواله'، ثم أضاف بمحقة: تخيير فخور بماله!

قال دوبر: إن لدى هؤلاء الأميركين كثيراً من المال.

قال السيد باركر باين بلطف: من الصعب أن يجد الغني استحساناً من الفقير.

ضحك دوبر وقال: الجسد والبضينة؟ أنت محق يا سيدي! إننا جميعاً - نتمنى أن نصبح أغنياء. وأن نشترى أقراط اللؤلؤ عدة مرات، ولكن ربما باستثناء السيد هنا.

ثم اتحنى للدكتور كاوفر الذي كان قد شرد ثانية فيما يبدو أنها عادة لديه. كان يعيث بشيء صغير في يده، ثم قال وقد اتبنته: ماذا؟ كلا، علي الاعتراف بأنني لا أرغب كثيراً باللؤلؤ الضخم، أما المال فهو مفيد دائماً بالطبع.

كانت تيرته تضع المال حيث ينبغي أن يوضع، وأضاف قائلاً: ولكن انظروا إلى هذه، إنها شيء مثير أكثر بنسة مرة من أية لآلئ.

- ما هذا؟

- إنه ختم أسطواني من حجر الهيماتيت الأسود، وقد حُقر عليه مشهد... أحد الآلهة يقدم شخصاً يحمل عريضة إلى إله آخر أعلى شأناً، وصاحب العريضة يحمل طفلاً على منبيل القربان، وخادم يقوم بكشف الأبواب عن الإله البهيب على العرش بواسطة مكشة ذباب من أغصان النخيل. وهذا نقش الدقيق هنا يذكر الرجل على أنه خادم لحمواري، ولذلك فلا بد أن هذا الختم قد صنع قبل نحو أربعة آلاف عام.

أخذ قطعة من المعجون من جيبه ووضع بعضها على المائدة، ثم مسحها بقليل من الفازلين وضغط الختم عليها وهو يديره، ثم

قالت كارول: نعم، ولكن عن ماذا يبحث؟ ما هي الأشياء التي نلتقطها يا دكتور كارفر؟

وباستضافة خفيفة المد الدكتور: يده وفيها شطيتان موحلتان من الفخار، فصاحت كارول بازدياد: هذه القذارة!

قال الدكتور كارفر: إن الفخار أكثر إثارة من الذهب.

ولكن كارول بدت غير مصدقة، ثم وصلوا إلى منعطف حاد، وعبروا بضعة قبور قُدَّت من الصخر. كان الموتى حاداً متعباً بعض الشيء، وكان الحراس من البدو يتقدمونهم صاعدين المنحدرات الشديدة الخطيرة من دون اهتمام، ومن دون النظر إلى الأسفل حيث الهوة الساحقة تحتهم.

بدت كارول شاحبة قليلاً، وانحنى أحد الحراس من الأعلى ومد يده، فقفز هيرست أمامها ومد عصاه لتصبح مُنكاً لها على الجانب المنحدر. شكرته بنظرة منها، وبعد لحظة كانت تقف بأمان على منبر عريض من الصخر، وتبعها الآخرون ببطء.

كانت الشمس قد ارتفعت الآن وزادت الحرارة، وفي النهاية وصلوا إلى أرض مستوية عريضة في القمة تقريباً، وكان قليل من السلق كافياً للوصول إلى ذروة قطعة مربعة ضخمة من الصخر. أشار بلانديل إلى الدليل بأن أفراد المجموعة سيصعدون بمفردهم، فالتقى البدو بأنفسهم مرتاحين على الصخور ويدووا يدخون. وما هي إلا بضع دقائق قليلة حتى وصل الآخرون الذروة.

كان المكان مكشوفاً غامضاً، وكان المنتظر أمامهم دائماً يُظهر

استخدم سكيناً ليقطع أطراف قطعة المعجون بحيث أصبحت على شكل مربع، ورفعها يهدوء عن الطاولة وقال: أترون؟

كان الشاهد الذي وصفه قد استوى أمامهم في المعجون واضحاً دقيق التفاصيل. وللحظات هبنت عليهم روح الماضي. ثم جاء من الخارج منوت السيد بلانديل عالياً نثراً: أنت أيها العامل! تعال وخذ أمتعتي من هذا الكهف التمس إلى خيمة من الخيم؛ إن تلك البهائم تفرص بقوة وشبهة ولا تستطيع إغماض جفني أبداً.

سأل السير دونالد: البهائم؟

- ربما قصد ذباب الرمل.

قال السيد بازكر باين: أحب اسم البهائم؛ إنه معبر أكثر من غيره.



انطلقت المجموعة في وقت مبكر من صباح اليوم التالي شاققة طريقها بعد العديد من عبارات التعجب من لون الصخور وأشكالها. وقد كانت المدينة الرومية حقاً عجيبة من عجائب الطبيعة.

تقدمت المجموعة ببطء؛ إذ أن الدكتور كارفر كان يمشي وعيناه في الأرض ويحني بين وقت وآخر ليلتقط أشياء صغيرة.

قال الكولونيل دويو وهو يمشي: بوسع المرء -دوماً- أن يميز عالم الآثار عن غيره... بهذا الشكل، فهو لا ينظر إلى السماء أبداً، ولا إلى الهضاب وجمال الطبيعة، بل يمشي مُطأطئ الرأس يبحث.

الوادي من جميع جوانبه، وقد وقفوا على أرض مستطيلة مستوية ذات  
أحواض صخرية قُذت على الجانب ومكان أشبه بمذبح القربان.

قالت كارول بحماسة: إنه مكان رائع لتقديم الأضحيات. ولكن  
لا بد أن أنفاسهم كانت تنقطع إذ يحملون أضحياتهم إلى هنا

أوضح الدكتور كارفر: لقد كان يوجد في الأصل طريق صخري  
متعرج، وسوف نرى آثاره ونحن نازلون من الجانب الآخر.

راحوا يعلقون ويشحدون لبعض الوقت، ثم سمع صوت رنة  
ضعيفة، وقال الدكتور كارفر: أظنك قد أسقطت قرطك ثانية يا آنسة  
بلانديل.

مدت كارول يدها إلى أذنها وقالت: آه، لقد أسقطته بالفعل.

بدأ دوبر وهيرست يبحثان في الأرض، وقال الفرنسي: ينبغي  
أن يكون هنا؛ لا يمكن أن يكون نلدرج بعيداً، فلا يوجد مكان  
ينذهب إليه... المكان أشبه بصندوق مربع.

سألت كارول: أيمكن أن يكون قد تدرج إلى شيء ما؟

قال السيد باركر باين: لا توجد أية شقوق هنا... يمكنك أن  
تري ذلك بنفسك؛ فالمكان مستوي تماماً. آه، هل وجدت شيئاً أيها  
الكولونيل؟

قال الفرنسي مبسماً: "مجرد حفصة صغيرة"، ثم رماها  
بعيداً.

وتدريجياً خيمت روح مختلفة على عملية البحث... روح من

التوتر. ولم تكن أية كلمات قد قيلت، ولكن عبارة «ثمانين ألف  
دولار» كانت حاضرة في عقول الجميع.

صاح والدها: أأنت واثقة أنك كنت تلبسين يا كارول؟ أعني  
أنتك ربما أسقطته على الطريق وتحن صاعدون.

- لقد كنتُ اليه عندما صعدنا إلى تلك الصخرة العريضة  
هنا؛ أعرف ذلك لأن الدكتور كارفر أشار إليّ قائلاً إنه مرتفع وقام  
بشده لي.

وافقها الدكتور كارفر. ولكن السير دونالد هو الذي غير عينا  
يجول في رؤوس الجميع من أفكار إذ قال: إن هذا الموقف كرهه فعلاً  
يا سيد بلانديل. لقد كنتُ تخبرنا مساء أمس عن قيمة هذا القرط،  
فإن لم يتم العثور عليه (وهو ما يبدو أنه سيحدث) فإن كل واحد منا  
سيكون عرضة للشكوك.

قال الكولونيل دوبر فجأة: وإني، بدءاً من نفسي، أطالب بأن  
يتم تفتيشي. وأنا لا أطلب هذا فقط، بل أطلب به تحقق لي!

قال هيرست وقد بدا صوته أجش: فتشوني أنا أيضاً.

سأل السير دونالد وهو ينظر حوله: ما رأي الآخرين جميعاً؟

قال السيد باركر باين: بالتأكيد.

وأضاف الدكتور كارفر: فكرة ممتازة.

قال السيد بلانديل: وسوف أفتش أنا أيضاً أيها السادة، إن لدي  
أسباباً لذلك، رغم أنني لا أزيد ذكرها.

قال السيد دونالد بلهافة: كما ترغب بالطبع يا سيد بلانديل.

- عزيزتي كارول، هل لك أن تنزلي وتنتظري مع أدلانا؟

غادرتهم الفتاة دون أن تيسر بكلمة، وكان وجهها برماً متجهماً عليه نظرة يأس لفقت انتباه واحد من أفراد المجموعة على الأقل. وقد تساءل عن معنى تلك النظرة.

ثم المضى في التفتيش، وكان قاسياً تفصيلياً... وغير مُجد على الإطلاق، ولكن شيئاً واحداً أصبح أكيداً، وهو أن القوط لم يكن لدى أي فرد من أفراد المجموعة، وتزلت المجموعة منخفضة السحوبات تعالج المنحدر وتصفى من دون حماسة لوصف الدليل ومعلوماته.

كان السيد باركر باين قد أنهى لثوهِ ارتداء ملابسه استعداداً لتناول الغداء عندما ظهرت كارول على باب خيمته ومألت: هل لي أن ادخل يا سيد باين؟

- بالتأكيد يا فتاتي العزيزة، بالتأكيد.

دخلت كارول وجلست على طرف السير. كانت على وجهها نفس النظرة المتجهمة التي لاحظها عليه في وقت سابق من ذلك النهار.

سألت: أنت تزعم أنك تحل الأمور للناس عندما يكونون تعساء، أليس كذلك؟

- أيا في (إجازة يا آتسة بلانديل؟، إنني لا أتولى أية قضايا).

قالت الفتاة بهدوء: حسناً، ولكنك ستؤلى هذه القضية. اسمعني يا سيد باين، إنني تعبسة بقدر تعاسة أي امرئ في هذه الدنيا.

- ما الذي يضايقك؟ أهي قضية القوط؟

- إنها هي بالضبط. لقد قلتم ما فيه الكفاية. إن جيم هيرست لم يأخذ ذلك القوط يا سيد باين... إنني أعرف أنه لم يأخذه.

- أنا لا أفهمك تماماً يا آتسة. ولماذا يفترض أحد أنه أخذه؟

- بسبب سوابقه. لقد كان جيم هيرست نصاً ذات يوم يا سيد باين، وقد قبض عليه في بيتنا. وقد شعرت بالأسف عليه؛ فقد بدا شاباً صغيراً يائساً...

فكر السيد باركر باين قائلاً لنفسه: "وسيماً أيضاً". ومضت الفتاة قائلة: وقد أقنعت والذي بأن يعطيه فرصة ليتحسن. والذي مستعد لعمل أي شيء من أجلي؛ ولذلك فقد أعطى جيم فرصة. وقد تحسن جيم بالفعل، ثم أصبح والذي يعتمد عليه ويثق به ويأتمنه على كل أسراره. وكان والذي سبغير في النهاية موقفه تماماً، أو كان من شأنه أن يغيره لو لم تقع هذه الحادثة.

- ماذا تعين بتغيير موقفه؟

- أعني أنني أريد الزواج بتجيم وهو يريد الزواج بي.

- وماذا عن السيد دونالد؟

- السيد دونالد هو العريس الذي بريده والدي، وليس خياراً.  
أنا. أتفقتي أرغب بالزواج برجل مغرور كالسيد دونالد؟

سألها السيد باركر باين: وماذا عن السيد دونالد نفسه؟

قالت كارول بازدرام: أظنه يرى أنني سأكون مفيدة له فقط.

فكر السيد باركر باين بالوضع ثم قال: أود أن أسألك عن أمرين؛ ففي الليلة الماضية قلت جملة مفادها أن المرأة إذا كان لصاً مرة فإنه سيكون لصاً دوماً.

أومأت كارول برأسها موافقة، فقال السيد باين: يمكنك الآن أن أفهم الحرج الذي سببه تلك الجملة.

نعم، فقد كان موقفاً شديد الحرج بالنسبة لـجيم، وبالنسبة لي ولاي أيضاً. لقد خشيت كثيراً أن يظهر وجه جيم شتاً، ولذا فقد نظقت بأول ملاحظة وردت على ذهني.

أوما السيد باركر باين برأسه متأملاً ثم قال: لماذا أصرت والدك على أن يكون من بين من يتم تفتيشهم اليوم؟

- ألم تفهم سبب ذلك؟ لقد فهمته أنا. فالوالدي رأى أنني قد أظن أن أمر القرب كله قد يكون مؤامرة وُضعت ضد جيم، وهو يريدني بكل إلحاح أن أتزوج ذلك الإنكليزي، ولذلك فقد أود أن يريني أنه لم يخطط لمؤامرة ضد جيم.

- يا إلهي! هذا يوضح الكثير من الأمور بالمعنى العام. أعني أنه لا يفيدنا بشيء في مسماعنا الخاص هذا.

- لا أتذكر سوف نتسلم؟

- كلا، كلا.

سكت لحظة ثم قال: ما الذي تريدن أني أفعله يا أخته كارول؟

- أن تثبت أن من أخذ تلك اللؤلؤة لم يكن جيم.

- أرجو أن تعذريني، ولكن ماذا لو كان قد أخذها؟

- إن كنت تظن ذلك فأنت مخطئ... مخطئ تماماً.

- نعم، ولكن تو فكرت في القضية بإيمان، ألا تظنين أن اللؤلؤة ربما سُكِّلت إغراء مفاجئاً للسيد هيرست؟ إن يعيها سيؤمن مبلغاً ضخماً... ولشغل إن هذا المبلغ قد يكون أساساً لاستثمار ما، الأمر الذي سيوفر له الاستقلالية، بحيث يستطيع الزواج بك سواء وافق والدك أم لم يوافق.

قالت كارول ببساطة: إن جيم لم يفعلها.

قبل السيد باركر باين هذه المرة قولها وقال: حسناً، سأبذل ما في وسعي.

أومأت برأسها بسرعة وغادرت الخيمة، وجلس السيد باركر باين -بدؤده- على السرير وراح يفكر. وفجأة ضحك وقال لنفسه بصوت عالٍ: إنني أعدو بطيء التفكير! وعند الغداء كان مرحاً جداً.



مرث فترة العصر يهودي، وتام معظم أفراد المجموعة. وعندما دخل السيد باركر باين إلى الخيمة الكبيرة في الساعة الرابعة والرابع لم يكن فيها إلا الدكتور كارفر، وكان يتفحص بعض شظايا الفخار.

قال السيد باركر باين وهو يحز كرسياً: آه أنت تماماً الرجل الذي أردت رؤيته. هل يمكنك أن تعطيني قطعة المعجون تلك التي تحملها معك؟

لمس الدكتور جييه وأخرج إصبعاً من المعجون أعطاه للسيد باركر باين، ولكن السيد باركر باين أعاده وقال: لا، ليس هذا هو ما أريده، أريد تلك الكرة من المعجون التي كانت لديك الليلة الماضية. وحتى أكون صريحاً فإن المعجون ليس هو ما أريده، بل ما يحتويه المعجون.

ساد شيء من الصمت ثم قال الدكتور كارفر يهدوء: لا أضطني ألهيك تماماً.

- بل أظن أنك تفهمني. أريد قرط الأنسة بلاتديل.

ساد صمت ثقيل للحظات، ثم مد الدكتور كارفر يده إلى جييه وأخرج كرة معجون وقال ووجهه لا يُظهر أي تعبير: هذا ذكاء منك.

قال السيد باركر باين ويدها متشغلتان بكرة المعجون: "أعني أن تخبرني بالأمر". ثم أخرج قرط اللؤلؤ وأضاف بلهجة اعتذار: أعرف أن ذلك فضول متي، ولكنني أحب سماع الموضوع.

- سأعبرك إن أنت أخبرتني كيف استطعت أن تعرف بأمرى بالضبط. لا أظنك رأيت شيئاً، اليس كذلك؟

هو السيد باركر باين رأسه وقال: أنا لم أر شيئاً أبداً، ولكنني فكرت بالأمر فقط.

- لقد كان الأمر -بذاتة- مجرد مصادفة. كنت أنا وزمركم جميعاً هذا الصباح، ووجدت القرط أمامي. لا بد أنه سقط من أذن الفتاة قبل لحظة من ذلك ولم تلحظه. بل لم يلحظه أحد. فأخذته ووضعته في جيبتي بقصد أن أعطيها إياه عندما أتلق بها في الأعلى. ولكنني نسيت. وبعد ذلك، ونحن في وسط ذلك المرفق بدأت أفكر، فهذا القرط لا يعني شيئاً لتلك الفتاة السخيفة... بل من شأن والدها أن يشتري لها غيره دون أن يؤثر عليه ذلك شيء، ولكنه سمعني الكثير بالنسبة لي، فإن ثمن هذا القرط من شأنه أن يجهز بعثة آثار.

تلوى فجأة وجهه الخالي من التعابير وذبت فيه الحياة، وأكمل قائلاً: هل تعرف مقدار الصعوبة هذه الأيام في جمع تبرعات لأعمال التنقيب؟ لا، لا تعرف. إن ثمن تلك اللؤلؤة من شأنه أن يجعل كل ذلك سهلاً جداً. يوجد موقع أريد التنقيب فيه في بلوشستان، حيث فصل كامل من الماضي كامن ينتظر من يكشفه. وقد خطر في ذهني ما قلته أنت في الليلة الماضية... حول الشاهد الذي يتأثر بالإحياء، وقد رأيت أن الفتاة من هذا النوع. وعندما وصلنا إلى القصة قلت للفتاة إن قرطها مرنج وتظاهرت بأنني أتيت لها، ولكن ما فعلته -في الحقيقة- هو أنني شططت رأس قلم رصاص صغير في شحمة أذنها. وبعد بضع دقائق رميت خصوة صغيرة، وكانت مستعدة تماماً لأن

نفسم - وقتها - بأن القوط كان في أذنها وأنه قد سقط لثوه... وفي غضون ذلك ضغطت القوط داخل المعجون في جيبي. هذه هي قصتي، ليس فيها ما يفتخر به، والآن جاء دورك.

- ليس لدي الكثير مما يمكن أن أقوله؛ فقد كنت الشخص الوحيد الذي يلمط الأشياء عن الأرض، وهذا ما جعلني أفكر فيك. كما أن العنور على تلك الحصة الصغيرة كان ذا مغزى، فقد أوحى بالحيلة التي اتبعتها. بالإضافة إلى...

- استمر.

- حسناً، لقد تكلمت عن التزامة بشكل متحمس بعض الشيء في الليلة الماضية. إنك تعرف ما يقوله شيكسبير... لقد بدأ الأمر - على نحو ما - وكأنك تحاول إقناع نفسك، كما تعاملت مع المال بشيء من الازدراء المبالغ فيه.

بدأ وجه الرجل أمامه متفضلاً شيئاً وقال: لقد انتهى أمري الآن. أحسب أنك ستعيد الفتاة تحفتها، أليس كذلك؟ غريبة هي تلك الغريزة البدائية للتبرج والتزين! إنها تعود إلى العصور الحجرية الأولى، وهي واحدة من أولى غرائز الجنس الأنثوي.

- أظن أنك تسيء الحكم على الأنسة كارول. إن لها عقلاً واجهاً... والأهم من ذلك أن لها قلباً. وأظن أنها ستبقي هذا الأمر سراً.

- ولكن والدما لن يبقيه.

- أظنه سيبقيه سراً هو أيضاً؛ إذ إن له أسبائلاً خاصة به تدفعه لذلك. يا صاحبي، ليس في هذا القوط ما يساوي أربعين ألف دولار. مجرد خمس دولارات تكفي لشراؤه!

- ماذا تعني؟

- نعم، والفتاة لا تعلم بذلك. بل تظن أنهما قرطان حقيقيان تماماً. لقد راودتني الشكوك ليلة أمس؛ فقد تحدث السيد بلانديل بشيء من الإقراط عن الأموال التي يملكها. وعندما تسوء الأحوال وتصاب تجارتك بركود وخسائر فإن أفضل ما تفعله هو أن تتظاهر بعدم التأثر وتخادع، وقد كان السيد بلانديل يخادع.

فجأة اتسم الدكتور كارفر، وكانت ابتسامته ابتسامة طفل يُستغرب أن تُرى على رجل كهل مثله. قال: إذن فنحن جميعاً في الهواء سواء!

- بالضبط يا صديقي.

\* \* \*

موت على النيل

كانت الليدي غريل عصبية، وعند أن وطئت قدمها أرض السفينة المسماة «الفيوم» كانت تشكي من كل شيء، فهي لم تحب غرفتها لأنها تستطيع تحمل شمس الصباح ولكنها لا تتحمل شمس الظهيرة، وقد قامت ابنة أخ زوجها، يامبلا، بالتخلي لها عن غرفتها في الجانب الآخر راضية. وقد قبلتها الليدي غريل بنذمر.

صاحت بمرضتها، الأنسة ماكتاوترن، لأنها أخطأت في الرشاح الذي أحضرته لها، ولأنها وضعت الوسادة الصغيرة في الحقيبة بدل أن تتركها قيد الاستعمال. وصاحت بزوجها، السير جورج، لمجرد أنه أخطأ في نوع السباحات التي اشتراها لها؛ فقد أرادت سباحات اللازورد لا من العثيق الأحمر، ولذلك اتهمت زوجها بالمغفل!

قال السير جورج بلهفة: آسف يا عزيزتي، آسف! سأعود وأبدلها، فلدينا متسع من الوقت.

ولكنها لم تصبح في وجه بيسل وست، سكرتير زوجها، لأن أحداً لم يصبح بيسل وست أبداً؛ فاهتمامه تهذتك حتى قبل أن تبدأ.

أما أسوأ العواقب فقد نزلت على رأس الدليل السياحي...

وهو شخص مهيب ذو ثياب زاهية لا يمكن أن يعكز صوته شيء.  
فعدنا لمحت الليدي غريل غريباً يجلس على كرسي من القماش  
وأدركت أنه رفيق سفر صبت جام غضبها كالحمم؛ لقد قالوا لي في  
المكتب بوضوح إننا المسافرون الوحيدون، وإن الموسم في نهايته  
ولا يوجد مسافر غيرنا.

قال محمد يهود: لا بأس يا سيدتي، أنت فقط والمجموعة  
ورجل واحد فقط، هذا كل ما في الأمر.

- ولكنكم قالوا لي إننا سيكون بمفردنا.

- لا بأس يا سيدتي.

- بل يوجد كل البأس! لقد كانت كذبة، ما الذي يفعله ذلك  
الرجل هنا؟

- لقد جاء لاحقاً يا سيدتي، يعد أن قطعتم نذاكركم، لم يقرر  
المجيء إلا هذا الصباح.

- هذا اجتيال بحت!

- لا بأس يا سيدتي؛ فهو رجل هادئ، لطيف جداً وهادئ  
جداً.

- أنت مغفل ولا تعرف عن الأمر شيئاً. أنسة ماكناوتن، أين  
أنت؟ أه، ها أنت ذي. لقد فطنت ملك مراراً أن نفيي بقربي، فربما  
أحبست بالإغواء. مساعدني في الذهاب إلى غرقني وأعطيني حبة

أسبرين ولا تدعي محمداً يشرب مني؛ فهو لا يتفك يقول "لا بأس  
يا سيدتي" حتى أشعر برغبة في الصراخ.

مدت لها الأنسة ماكناوتن يدها دون أن تيسر بكلمة.

كانت امرأة طويلة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها،  
وسيمة على نحو هادئ غامض. وقد وضعت الليدي غريل في  
غرفتها وأسندتها بالوسائد، وقدمت لها الأسبرين وأصغت لسيلى  
شكاواها.

كانت الليدي غريل في الثامنة والأربعين من عمرها، وقد  
عانت منذ أن كانت في سن السادسة عشرة من علة امتلاك الكثير  
من المال، ثم تزوجت ذلك البارون المفقتر، السير جورج غريل،  
قبل عشر سنوات.

كانت امرأة ضخمة الجسم ليست بالقبيحة فيما يخص قسَمات  
وجهها، ولكن وجهها كان بادي القبط حاد الخطوط، ولم تقع  
المساحيق الكثيرة التي تضعها عليه إلا في إبراز العيوب التي تركها  
الزمن والمواج السيء. وكانت تبلغ في ارتداء الكثير من الملابس  
والجواهر.

وفيما كانت الأنسة ماكناوتن الساكنة تنتظر بوجه خالٍ من  
التعابير، أنهت الليدي غريل حديثها قائلة: أبلغني السير جورج بأن  
عليه أن يُنزل ذلك الرجل عن السفينة؛ يجب أن أمتنع بقدر من  
الخصوصية بعد كل ما عانيت مؤخرًا.



ثم أغضت عينيها، فقالت الأتيسة ماکناوتن: "نعم يا ليدي غريل"، ثم غادرت العرفة.

كان المسافر المتطفل الذي جاء في آخر لحظة ما يزال جالساً على الكرسي على سطح السفينة. كان يعطي ظهره للأقصر ويحدق بعيداً عبر أثيل إلى الهضاب البعيدة التي بدت ذهية فوق خط من الخضرة الداكنة.

نظرت إليه الأتيسة ماکناوتن نظرة تقويم سريعة وهي تمر قريباً. وقد وجدت السير جورج في البهو، وكان يمسك بسبحة في يده وينظر إليها باوتياب. قال: أخبريني يا آتيسة ماکناوتن، هل تظنين أن هذه السبحة ستكون مقبولة؟

ألقت الأتيسة ماکناوتن نظرة سريعة على اللازورد وقالت: إنها رائعة جداً بالفعل.

- أنظنين أن الليدي غريل مسرّ بها؟

- آه، لا، ما كنت لأقول ذلك يا سير جورج؛ فما من شيء يسرها... هذه هي الحقيقة. وبالمناوبة، فقد أرسلتني برسالة إليك. إنها تزيد منك التخلص من هذا الراكب الإضافي.

فغر السير جورج فمه وقال: وكيف لي أن أتخلص منه؟ ماذا أقول للرجل؟

قالت إلسي ماکناوتن بصوت سريع ولطيف: "لا يمكنك ذلك

بالطبع. قل فقط- إنه لم يكن بالإمكان فعل شيء". ثم أضافت بشيء من التشجيع: سيكون الأمر على ما يرام.

قال ووجهه يشر الشفقة: أنظنين أنه سيكون على ما يرام؟

قالت إلسي ماکناوتن بصوت أكثر لطفاً: لا ينبغي لك أن تتأثر كثيراً بهذه الأمور يا سير جورج، إنها بنسب صحتها فقط. لا تأخذ الأمر على محمل الجد.

- أنظنين أن صحتها سيئة حقاً؟

عبر خيال وجه الممرضة، وكان في صوتها شيء غريب عندما أجابته: "نعم، إلسي... لا يعجبني وضعها تماماً، ولكن أرجوك أن لا تقلقي يا سير جورج... يجب أن لا تطلق حقناً. ثم ابتسمت له ابتسامة ردّ وذهبت.

دخلت بامبلا بكثير من التكاسل والبرود يملأها البيضاء وقالت: مرحباً يا عماء.

- مرحباً يا عزيزتي بامبلا.

- ما هذا الذي معك؟ آه، إنها رائعة.

- يسعدني أن يكون هذا رأيك، أنظنين أن عنك سترها كذلك أيضاً؟

- إنها لا تستطيع حب أي شيء. لا أنهم لماذا تزوجت هذه المرأة يا عم.

سكت السير جورج، ونهضت أمام مخيلته بانوراما كاملة من  
الصور المضطربة لسباقات خيل قاشلة... ودائنين يضغطون... وامرأة  
وسيمة رغم تسفلها.

قالت بامبلا: يا لعني المسكين! أحسب أنك اضطربت إلى  
ذلك. ولكنها تضطهدنا كلنا، اليس كذلك؟

بدأ السير جورج يقول: منذ أن مرضت...

ولكن بامبلا قاطعته قائلة: ليست مريضة، ليست مريضة أبداً!  
إنها تستطيع القيام بأي شيء تريده، وعندما كنت في أسوان كانت في  
غابة الانشراح. أراهنك على أن الآنسة ماكناتون تعلم أنها محتالة.

قال السير جورج مبتهذاً: لا أعرف ماذا كنا سنفعل دون الآنسة  
ماكناتون؟

- إنها غفلة. ولما جحة في عنبلها... مع أنني لا أحيا تماماً كما  
تحبها أنت يا عم. آه أنت نحيها، لا تناقض نفسك! إنك ترى  
أنها رائعة، وهي كذلك بالفعل بطريقة ما، ولكنها لا يُسر غورها.  
إنني لا أعرف أبداً ما الذي تفكر به، ومع ذلك فهي تنذير أمر القطة  
العجوة بشكل رائع.

- اسمعي يا بامبلا، لا ينبغي لك أن تتكلمي عن عنكب بهذا  
الشكل، فهي طيبة جداً معك.

- نعم، إنها تدفع كل قواطيننا، اليس كذلك؟ ومع ذلك فإنها  
حياة أئيب بالجميع!

انتقل السير جورج إلى موضوع أقل إيلاماً: ماذا سنفعل بهذا  
الرجل الذي التحق بالرحلة؟ عنكب تريد السفينة لها وحدها.

قالت بامبلا بيروود: لا يمكن لها ذلك. إن الرجل مهذب جداً،  
واسمه باركر باين. أظنه كان موظفاً في دائرة التسجيل... إن كان لمثل  
هذه الدائرة وجود، الغرب هو أنني أحس بأنني سمعت بهذا الاسم  
في مكان ما. يسسل!

كان السكرتير قد دخل لتوه فقالت له: أين يمكن أن أكون قد  
رأيت اسم باركر باين؟

أجاب الشاب بسرعة: في الصفحة الأولى من صحيفة التايمز،  
عمود «مشكلات القراءة». هل أنت سعيد؟ إن لم تكن كذلك فاستشر  
السيد باركر باين.

- يا الهي! هذا مُثل جداً. دعونا نتحدث عن كل مشكلاتنا  
طوال الطريق إلى القاهرة.

قال يسسل ببساطة: ليست لدي أية مشكلات. (إننا سنبحر فوق  
البحر الذهبي ونرى المعابد...

ثم نظر بسرعة إلى السير جورج الذي كان قد أخذ صحيفة  
وقال هامساً: ... معاً.

سمعت بامبلا الكلمة الأخيرة، والتفت عيناها بعينيها فقالت  
من دون اهتمام: أنت على حق يا يسسل! من الرائع أن يكون المرء  
حيّاً.

نهض السيد جوزج وخرج، وتجههم وجه يامبلا، فقال بيسل:  
ما الأمر يا غالييني؟

- زوجة عمي الكريهة..

قال بيسل بسرعة: 'لا تقلقي، ما أهمية ما يدخل عقلها؟'  
لا تعارضيها. ثم ضحك وقال: ألا ترين؟ إنها تمويه جيد.

ظهر جسد السيد ياركر باين وهو يدخل البهو. وخلفه دخل  
محمد وهو مستعد للإلقاء مفلطحة: سيداتي وسادتي، سنطلق الآن،  
وخلال يضع دقائق سنمير معبد الكرنك على الجهة اليمنى...

\* \* \*

مسح السيد ياركر باين جبينه. كان قد عاد لثوه من زيارة لمعبد  
دندبرا. وقد شعر بأن ركوب الحمار كان ممارسة لا تلائم جسمه.  
وقد كان في طريقه لتغيير قميصه عندما تفتت انتباهه رسالة أَسَدَت  
على طاولة زيته، فتجها وقرأ:

سدي العزيز،

ساكون مبتهة إن أنت لم تزور معبد أيدوس ونبيت في  
السفينة؛ إذ أنني أرغب بامتشارتك.

المخلصة: إيربادين غريل

تجدد وجه السيد ياركر باين الهادي بإيسامة، وأخذ ورقة  
وأخذ قلمه وكتب:

الليدي العزيزة غريل،

إنني أسف إذ أعيب أملك، فأنا في إجازة في الوقت  
الحاضر ولا أقوم بأي عمل.

ثم وقع الرسالة باسمه وأرسلها مع أحد المضيفين. وما أن أنهى  
تغيير ملابسه حتى جاءته رسالة أخرى:

عزيزي السيد ياركر باين،

إنني أقدّر حقيرة أنك في إجازة، وكنتي مستعدة لدفع  
مئة جنيه لجرأ للاستشارة.

المخلصة: إيربادين غريل

ارتفع حاجبا السيد ياركر باين ونقر على أسنانه بقلمه. وهو  
يتأمل. لقد كان يريد رؤية معبد أيدوس، ولكن مئة جنيه تبقى مئة  
جنيه. وقد ظهر له أن مصر كانت ذات غلاء فاحش لم يكن يصوره!  
وهكذا أخذ قلمه وكتب من جديد:

عزيزتي الليدي غريل،

أنا لن أزور معبد أيدوس.

المخلص: ياركر باين

كان رفض السيد ياركر باين مغادرة السفينة مصدر ألم كبير  
لمحمد الذي اندفع يقول: إنه معبد رائع جداً... كل السادة يحبون  
رؤية ذلك المعبد، سأتي لك بمربة... سأحضر لك كرسياً يحملك  
عليه البحارة.



- نعم، ولكنك لم تجزييني بالكتب؟

الثقت عيونهما، وكانت عيناهما هما اللتان انخفضتا أولاً. قالت:  
أظن أن السب واضح تماماً.

- لا، لأنني متأكد حول نقطة واحدة.

- وما هي؟

- هل تريد أن تثبت صحة شكوكك أم تخطوها؟

- يا لهذا السؤال يا سيد باين!

نهضت على قدميها وهي ترتجف من الخوف، وأومأ السيد  
باركر باين برأسه بلطف وقال: نعم، نعم، ولكن هذا لا يجيب عن  
سؤالي.

- آه!

بدأن الكلمات قد خاتمتها، وخرجت من الغرفة بسرعة.

وما أن بقي السيد باركر باين وحيداً حتى أخذ يتأمل بتركيز.  
وقد كان غارقاً في أفكاره إلى الحد الذي جعله يجفل عندما جاء  
من يجلس على الجانب الآخر من طاولته. وكانت تلك هي الآنسة  
ماكتاوتن.

- لا شك أنكم عدتم سريعاً.

- لم يعد الآخرون. لقد قلت إن لديّ صداً وعدت  
بمفردي.

ترددت قليلاً وقالت: أين الليدي غريل؟

- يحيل إلي أنها متددة في غرفتها.

- آه، هذا حسن. لا أريدها أن تعرف أنني عدت.

- ألم تأتي من أجلها إذن؟

هزت الآنسة ماكتاوتن رأسها وقالت: بل عدت لرؤيتك أنت.

دعش السيد باركر باين. كان من شأنه أن يقول -بداهة- إن  
الآنسة ماكتاوتن قادرة تماماً على معالجة متاعبها بنفسها من دون  
الحاجة إلى نصيحة خارجية، ولكن بدا أنه مخطئ في ذلك.

- لقد راقبتك منذ أن صعدنا ظهر السفينة، وأحسب أنك ذو  
خبرة واسعة وحكم صائب، وأنا بحاجة ماسة إلى النصيحة.

- ومع ذلك (وأرجو أن تعذريني يا آنسة ماكتاوتن) فأنت لست  
من النوع الذي يطلب النصائح عادة. أحسب أنك امرأة راضية تماماً  
بالاعتماد على أحكامها الخاصة.

- في الأحوال الطبيعية، نعم، ولكنني لم وضع غريب جداً.

ترددت لحظة ثم قالت: أنا لا أتحدث عن مرضاي في العادة،  
ولكنني أحسب أن ذلك ضروري في هذه الحالة. سيد باين، عندما  
غادرت إنكلترا مع الليدي غريل كانت حالتها واضحة، وبصراحة  
لم يكن بها شيء. ربما لا يكون هذا صحيحاً تماماً، ولكن الكثير من  
الفراغ والكثير من المال يؤيدان قديلاً إلى حالة مرضية معينة... ولو



كان لدى الليدي غريل بضعة طوابق ينبغي مسحها وتظيفها وخمسة أطفال أو ستة تعني بهم لوجدها في أحسن صحة وأتم سعادة.

أوما السيد باركر باين برأسه، فيما مضت الممرضة تقول: إن ممرضة مستشفى مثلي ترى الكثير من هذه الحالات العصبية. لقد كانت الليدي غريل تستمتع بصحتها السيئة، وكان دوري أن أخفف من معاناتها وأن أكون لبقاً ما وسعني... وأن أستمتع شخصياً بالرحلة قدر الإمكان.

- فكرة عاقلة جداً.

- ولكن الأمور لم تعد كما كانت يا سيد باين؛ فالمعاناة التي تشكو الليدي غريل منها الآن حقيقية وليست مُتَخَيَّلَة.

- ماذا تعنين؟

- لقد بدأت أشك بأن الليدي غريل تتعرض للتسميم.

- منذ متى شككت بذلك؟

- خلال الأسابيع الثلاثة الماضية.

- وهل تشكين... بأي شخص مجدداً؟

أسبلت عينيها، ولأول مرة أفقد صورتها الصديق. قالت: لا.

- أعتقد - جازماً - يا آنسة ماكانوتن بأنك تشكين شخص

محدد، وبأن ذلك الشخص هو السير جورج غريل.

- آه، لا، لا، لا أستطيع تصديق ذلك! إنه مستكين جداً، أشبه بطفل، لا يمكن أن يكون قاتلاً متحجر القلب.

كان في صورتها نبرة ألم، ورث السيد باركر باين: ومع ذلك فقد لاحظت أن السير جورج كلما غاب تحسنت حالة زوجته وأن لترات مرضها تتزامن مع عودته.

لم تجبه.

- ما السم الذي تشكين فيه؟ الزرنيخ؟

- شيء من هذا القبيل، الزرنيخ أو الأنتيمون.

- وما هي الخطوات التي اتخذتها؟

- لقد فعلت كل ما أستطيع للإشراف على ما تأكله الليدي غريل أو تشربه.

أوما السيد باركر باين برأسه، وقال بشكل عرضي: أنتظنين أن لدى الليدي غريل نفسها أية شكوك؟

- آه، لا، أنا واثقة من أنها لا تشك بشيء.

- في هذا أنت مخطئة؛ فالليدي غريل تشك بالفعل.

أبدت الآنسة ماكانوتن دهشتها. وقال السيد باين: إن الليدي غريل أكثر قدرة على حفظ السر مما تتصورين... إنها امرأة تعرفنا تمام المعرفة كيف تتكتم على أسرارها.

قالت الآنسة ماكانوتن ببطء: هذا يدعيني كثيراً.

- أود أن أسألك سؤالاً آخر يا أخته مآكتاوتي. هل تعلمين أن الليدي غريل تحبك؟

- لم أفكر في هذا الأمر أبداً.

ولكن محمداً فاطمهما، إذ جاء منهمل الوجه ووزر كسات ثيابه تطاير خلفه وقال: لقد سمعت الليدي أنك عذبة، وهي تسأل عنك ونسأل لماذا لم تذهبي إليها؟

نهضت إلسي مآكتاوتن بسرعة، ونهضت السيد باركر باين أيضاً قائلاً: هل يناسبك أن تتحاور غداً في الصباح الباكر؟

- نعم، سيكون ذلك أفضل وقت؛ فالليدي غريل تنام حتى ساعة متأخرة، وفي غضون ذلك سأكون حريصة جداً.

- أظن أن الليدي غريل ستكون حريصة أيضاً

\*\*\*

لم ير السيد باركر باين الليدي غريل حتى ما قبل العشاء بقليل. كانت جالسة تدخن لحافاً وتحرق ما يدا أنه رسالة، ولم تلتفت لوجوده أبداً، الأمر الذي فهم منه أنها ما تزال تشعر بالإهانة.

وبعد العشاء لعب اليريدج مع السير جورج وباميليا وبيسل. وبدأ الجميع شاردين بعض الشيء، وانقضت لعبة اليريدج في وقت مبكر.

بعد وضع ساعات تم إيقاظ السيد باركر باين. كان محمد هو

الذي أناه قائلاً: إنها الليدي... إنها مريضة جداً، والممرضة خائفة جداً، وقد حاولت الاتصال بطبيب.

سارع السيد باركر باين بازتداء بعض الملابس، ووصل إلى مدخل غرفة الليدي غريل في نفس الوقت الذي وصل فيه بيسل وست. كان السير جورج وباميليا في الداخل، وكانت إلسي مآكتاوتن تعمل بياس على مريضتها. وعند وصول السيد باركر باين أصاب جسد المرأة المسكينة تشنج أخير؛ تولى جسدها المتقوس وتصلب، ثم سقطت إلى الخلف على وسائد.

سحب السيد باركر باين باميليا بلطف إلى الخارج، وكانت الفتاة تشنج قتيلاً وتقول: ما أنفعل هذا! ما أنفعله! هل... هل...؟ - تقصدين مانت؟ نعم أخشى أن كل شيء قد انتهى.

تركها في عهدة بيسل، وخرج السير جورج من الغرفة مشدوهاً وهو يتمتم: لم أحسب أبداً أنها مريضة حقاً... لم أظن ذلك أبداً.

تجاوزوه السيد باركر باين ودخل إلى الغرفة، وكان وجه الممرضة مآكتاوتن شاحباً متجهماً، وسألت: هل أرسلوا في طلب طبيب؟

- نعم. أهو الستريكتاين؟

قالت: نعم؛ لهذه التشنجات لا شك في سببها، آه، لا يعني تصديق ذلك!، ثم ألفت بقسها على كرسي وهي تبكي، وربت السيد باين على كتفها.

ثم بدا أن فكرة قد خطرت له، فغادر الغرفة مسرعاً وذهب إلى

البهو، كانت قطعة صغيرة من الورق قد بقيت غير منحترقة في منفضة  
التبغ وكان بالإمكان تمييز بضغ كلمات فيها: ...سولة الأحلام...  
أحرقني هذه...

قال السيد باركر باين لنفسه: هذا مثير تماماً.

\*\*\*

جلس السيد باركر باين في غرفة مسؤول بارز في القاهرة وقال  
بتأمل: هذا هو الدليل إذن؟

- نعم، وهو دليل كامل تماماً. لا بد أن الرجل كان مغفلاً  
تماماً.

- ما كنت لأصف السير جورج بأنه رجل راجح العقل.

قال الرجل الآخر ملخصاً القضية: ولكن مع ذلك! لقد أودت  
الليدي غريل فتجناً من الشاي. وقد أعدته الممرضة لها، ثم طلبت  
وضع بعض الحليب فيه، فأتى السير جورج بالحليب. وبعد ساعتين  
ماتت الليدي غريل بعلامات لا تُحصى على التسمم بالستريكتين.  
وقد وجدت علبه من هذا السم في غرفة السير جورج وعلبة أخرى  
في جيب الشرة التي تناول العشاء وهو يلبسها.

- أمر متكامل تماماً. من أين أتى الستريكتين بالمقاسية؟

- في هذا الأمر بعض الشكوك! فلدى الممرضة شيء منه  
(تحتسباً لمتاعب قد يتعرض لها قلب الليدي غريل)، ولكنها ناقضت

نفسها مرة أو مرتين. قالت في البداية إن مخزونها من تلك العبادة  
سليم لم يسه أجد، والأنا تقول إنه ليس كذلك.

علق السيد باركر باين قائلاً: ليس من طبيعتها أبداً أن لا تكون  
وافقة من مثل هذه الأمور.

- إنها مشتركان في الأمر معاً برأيي. السير جورج متورط في  
المسألة وليست له أية فرصة أبداً.

قال السيد باركر باين: حسناً، حسناً. يجب أن أرى ما الذي  
استطيع فعله. ثم خرج يبحث عن ابنة الأخ الجنيلة.

كانت بامبلا شاحبة ساخطة وقالت: عني ثم يفعل مثل هذا  
الأمر... أبداً... أبداً... أبداً!

قال السيد باركر باين يهدو: من الذي فعله إذن؟

تقدمت منه بامبلا وقالت: أعلم ما الذي أراده؟ أرى أنها هي  
التي فعلت ذلك بنفسها. لقد كانت غريبة الأطوار بشكل لا يُصدق  
مؤخراً، وكانت تتخيل أموراً.

- أية أمور؟

- أموراً غريبة. يبسل مثلاً... كانت تُلحح إلى أنه يحبه، مع  
أنني أنا وببسل... أعني...

قال السيد باركر باين مبتسماً: (إنني أدرك ذلك).

- كل ذلك الحديث عن ببسل كان محض خيال، أظن أنها

كانت لا تطلق عني المسكين، وأحسب أنها لففت تلك القصة وأخبرتك بها ثم وضعت الستريكتاين في غرفته وفي جيبه وسمنت نفسها. لقد فعل الناس أموراً كهذه، اليس كذلك؟

اعترف السيد باركر باين قائلاً: لقد فعلوا... ولكنني لا أظن أن اللبدي غريب لعلت ذلك، فهي لم تكن من هذا النوع، إذا سمحت لي يقول ذلك.

- ولكن ماذا عن مزاعمها؟

- نعم، إنني أود سؤال السيد وست عن ذلك.

وجد الشاب في غرفته، وقد أجاب بيسل عن أسئلته بكل جاهزية: لا أريد أن أبدو مسخفاً، ولكنها أعجبت بي، ولذلك لم أجزؤ على إطلاعها على أمري مع مابل. فقد كانت ستجعل السير جورج يطردني.

- أنظرن أن نظرية الأنسة غريب محتملة؟

- أحسب أنها ممكنة.

بدأ الشاب بتشككاً، فقال السيد باركر باين يهدوء: ولكنها ليست جيدة بما فيه الكفاية، لا، ينبغي أن نعتبر على شيء أفضل.

ثم في تأملاته للحقائق ثم قال بسرعة: سيكون الاعتراف أفضل شيء.

ثم فتح قلعه وأخرج ورقة وقال للشباب: هل لك أن تكتبه؟

حدق بيسل وست إليه مذهوشاً وقال: أنا؟ ما الذي تعنيه باش عليك؟

قال السيد باين يلهجة كادت تكون أبوية: يا عزيزي الشاب، إنني أعرف كل شيء عن الأمر... كيف كنت تغازل السيدة الطيبة، وكيف كان وازع الخير لديها يورفها، وكيف وقعت في حب ابنه الأخ الجنيلة المفلسة، وكيف ربيت خطتك: التسميم البطني. يمكن أن يمر مرور الكرام باعتباره موتاً طبيعياً بسبب أمراض معوية... وإن لم يعتبر كذلك فسوف يُعزى الأمر إلى السير جورج طالما أنك حرصت على جعل المرض يشتد أثناء وجوده، ثم اكتشفت أن اللبدي قد بدأت تشك وتخلشت معي في الموضوع، فساوغت إلى التصرف السريع! أخذت شيئاً من الستريكتاين من مخزون الأنسة ماكتاوتن فوضعت بعضه في غرفة السير جورج وبعضه الآخر في جيبه، ووضعت كتيبة كافية منه في كيسولة وضعتها داخل رسالة صغيرة إلى اللبدي، تخبرها فيها بأنها «كيسولة الأحلام». فكرة رومانسية! إذ أنها ستناولها بمجرد خروج الممرضة، ولن يعرف أحد شيئاً عن الموضوع. ولكنك ارتكبت خطأ واحداً يا فتاي العزيز! فلا فائدة من أن تطلب من سيادة أن تحرق رسائلها. إنهم لا يفعلون ذلك أبداً! لقد حصلت على كل المراسلات الرائعة، بما فيها الرسالة الخاصة بالكيسولة.

استحال وجه بيسل وست أصفر شاحباً، واختفت كل وسامته وبدأ كالجرذ المحاصر. صاح قائلاً: تبا لك! فانت تعرف كل شيء إذن... أيها المتطفل الخبيث.

وقد نجا السيد باركر باين من العنف الجسدي بظهور الشهود

الذين رتب - يذكاء - وجودهم خارج الباب الذي بقي مفتوحاً قليلاً بحيث سمعوا اعتراضات الرجل.



كان السيد باركر باين يناقش القضية ثانية مع المسؤول البارز ويقول: ولم يكن لدي أي دليل باستثناء قصاصة صغيرة عليها نصف عبارة يصعب فهمها، مع عبارة «أخرفي هذه». وقد استنتجت القضية كلها وحاولت أن أجريها عليه، وقد نجحت... وفكرة الرسائل هي التي أنجحتني. ومع أن الليدي غريل قد أحرقت كل قصاصة كتبها لها، فإنه لم يكن يعرف ذلك. لقد كانت امرأة غير عادية بالفعل، وقد ذهبت وتجبرت عندما جاءت إلي، وكان ما أرادته - حقاً - هو أن أخبرها بأن زوجها يسميها، ففي تلك الحالة كانت ستجيب مع انشغال وست. لقد أرادت أن تنصرف بشكل متصرف... شخصية غريبة.

قال صاحبه: متعاني تلك الفتاة البسكية.

قال السيد باركر باين ببرود: ستغلب على الأمر فهي ما تزال شابة. إنني حزين على أن ينال السير جوج بعض السعادة قبل أن يفتقر الوقت. لقد كان يُعامل وكأنه حشرة طوال عشر سنوات، ولكن إنني ما كنت أؤمن ستكون لطيفة جداً معه الآن.

ثم تهلل وجهه وتهجد وقال: إنني أفكر بالذهاب إلى اليونان مخفياً شخصيتي؛ إذ ينبغي - حقاً - أن أتمتع بإجازة!



## قضية ديلفي



لم تكن السيدة بيترز تهتم باليونان أبداً، ولم يكن لها - في  
دخيلة قلبها - أي اهتمام بدلفي على الإطلاق.

كان قلب السيدة بيترز في باريس ولندن والريفراء، وكانت امرأة  
تستمتع بحياة القنادق، ولكن فكرتها عن غرف القنادق كانت تشمل  
وجود السجاد الثمين، والسرير الفخم، والإضاءة الكهربائية (بما في  
ذلك المصباح المُنْظِّل قرب السرير)، والماء الحار والبارد، وهاتف  
قرب السرير تستطيع بواسطته أن تطلب الشاي والمياه المعدنية  
والوجبات وتحدث به مع صديقاتها.

ولكن أياً من هذه الأشياء لم يكن موجوداً في هذا الفندق في  
دلفي. كان المنظر من النافذة رائعاً، وكان السرير نظيفاً، وكذلك  
هذه الغرفة البيضاء التي كان فيها كرسي ومغسلة وخزانة أدراج. أما  
الاستحمام فيتم بترتيب مُسبق، وكان - عامة - مُخيباً للآمال فيما  
يخص الماء الحار.

رأت أنه سيكون من العجيب أن يقول المرء إنه كان في دلفي،  
وقد حاولت - جاهدة - أن تهتم باليونان القديمة ولكنها وجدت ذلك  
صعباً؛ فقد بدت تماثيلهم غير مكتملة أبداً، تنقصها الرؤوس والأذرع  
والسيقان، وكانت تفضل - سرّاً - التمثال الرخامي الصغير الذي نصب  
فوق قبر زوجها الراحل ويلارد بيترز. ولكنها حرصت على إخفاء

كل هذه الآراء السرية خشية أن يزدريها ابنها ويلارد. وهي لم تأت إلى هذا المكان إلا كرهماً لويلارد، لتقيم في هذا الفندق البارد غير المريح مع خادمة تكدة وسائق متقدم.

ذلك أن ويلارد (المسمى -حتى عهد قريب- ويلارد الأصغر، وهو اسم كان يكرمه) كان ابن السيدة ويلارد البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً، وهي تحبه حباً لا يمكن أن يوصف. وكان ويلارد التحيل الشاحب المكتئب ذو النظارات هو الذي تعلق كل هذا التعلق بالفرن القديم. وهو الذي إبتلى أمه المحبة بهذه الرحلة عبر اليونان.

كانوا قد زاروا أولمبيا (التي اعتبرتها السيدة بيترز فوضى محزنة)، وأثينا التي اعتبرتها مدينة نيسة، وقد كانت زيارة كورنث وميسينا عذاباً لها وللسائق. وفكرت السيدة بيترز، يحزن، بأن ديلفي جاءت لتزيد من معاناتها؛ فليس فيها ما يمكن أن يفعله المرء -أيداً- باستثناء المشي في الشارع والنظر إلى الآثار... وقد قضى ويلارد ساعات طويلاً على ركبته بفك رموز النقوش الإغريقية قاتلاً، 'ماما' اسمعي ما يقول هذا الفثن. أليس هذا رائعاً؟'... ثم يقرأ عليها شيئاً تجده في غاية الثقافة.

وكان ويلارد قد انطلق مبكراً في ذلك الصباح لزوية بعض الفسيفساء البيزنطية. أما السيدة بيترز فقد اعتذرت عن الذهاب، وقد تهدت الآن واستعدت للتهوض لتناول إفطارها.

نزلت إلى غرفة الطعام لتجدها فارغة إلا من أربعة أشخاص؛ أم وابنتها ترتديان ما بدا للسيدة بيترز أنه طراز غريب جداً، وذلك الرجل البدين المتوسط العمر الذي ساعدها باستلام حقيبتها عندما

نزلت من القطار، واسمه تومبس، وقادم جديد أصلع الرأس وصل في الليلة الماضية.

وكان هذا الشخص هو آخر الباقيين في غرفة الإفطار، وسرعان ما انخرطت السيدة بيترز في حديث معه. فقد كانت امرأة ودودة تحب أن تجد من تتكلم معه، وقد كان أسلوب تومبس مُحبطاً جداً لها (وقد عزت ذلك إلى ما تسميه بالتحفظ الإنكليزي)، وكانت المرأة وابنتها متعجرتين كثيراً وعاليتي الثقافة.

وجدت السيدة بيترز في القادم الجديد شخصاً لطيفاً جداً. فقد كان كثير المعلومات دون أن يتعامل بتعالي المتففين، وقد أخبرها بالكثير من التفاصيل الصغيرة المثيرة عن الإغريق، مما جعلها تشعر أكثر بأنهم كانوا أناساً حقيقيين وليس مجرد تاريخ ممل ضمن الكتب. كما أخبرت السيدة بيترز صديقها الجديد كل شيء عن ويلارد ومدى ذكائه وكيف أن الثقافة أصبحت طبعاً له وشرايه. لقد كان في هذا الشخص الهادئ اللطيف شيء يجعل من السهل على المرء أن يتحدث معه.

أما ما هو عمله وما هو اسمه فهذا ما لم تعرفه السيدة بيترز؛ إذ لم يكن متفتحاً في حديثه عن نفسه، باستثناء أنه كان في سفر وأنه يتمتع براحة كاملة من العمل (ولكن أي عمل؟).

وقد مرّ اليوم بأسرع مما كان متوقعاً، وبقيت المرأة وابنتها على نفس سلوكهما غير الاجتماعي، وقد قابلا السيد تومبس وهو يخرج من المتحف فسارع إلى تغيير اتجاهه فوراً.

نظر صديق السيدة بيرتز الجديد خلفت الرجل متجهماً وقال:  
إنني أتساءل من هو هذا الرجل!

أعطته السيدة بيرتز اسم الرجل، ولكنها لم تستطع إعطاء شيئاً  
فوق ذلك.

- توميسن... توميسن؟! لا أظن أنني قابلته من قبل، ومع ذلك  
يبدو لي وجهه مألوفاً بشكل أو بآخر، وإن كنت لا أستطيع تحديده  
تماماً.

وبعد الظهور تمتعت السيدة بيرتز بقيلولة هادئة في بقعة مظلمة.  
لم يكن الكتاب الذي أخذته معها لتقرأه ذلك الكتاب الممتاز الذي  
أوصاها ابنها بقراءته عن الفن الإغريقي، بل كان قصة بعنوان «لغز  
غداً على النهر»، وفيها أربع جرائم قتل، وثلاث حوادث اختطاف،  
وعصاية ضخمة متوعة من عتاة المجرمين، وقد وجدت السيدة بيرتز  
أن قراءة هذه القصة قد شغلتها وهذاها في الوقت ذاته.

كانت الساعة قد بلغت الرابعة عندما عادت إلى الفندق، وقد  
أحسبت بالثقة بأن ويلارد سيكون قد عاد إلى الفندق في مثل هذا  
الثقت. وقد كانت بعيدة جداً عن أي توقع للشر بحيث أنها كانت  
أن تنسى فتح رسالة فال مالك الفندق إن رجلاً غريباً قد تركها لها  
بعد الظهور.

كانت الظرف متسخاً جداً، وفتحته بتكاسل، وبعد أن قرأت  
الأسطر القليلة الأولى شحب وجهها ومدت يداً لتسند نفسها.

كان الخط أجنياً، ولكن اللغة المستخدمة كانت الإنكليزية. قالت  
الرسالة:

أيها المبدى،

لقد سلمنا هذه الرسالة لتبلغك بأن ابنك قد أخذ زعيمة  
من قتلنا في مكان آمن جداً. لن يحدث أذى للشباب  
المحترم إن أنت أعطيت الأوامر. إننا نطلب مقابلة غدية  
قدها عشرة آلاف جنيه (سترليني)، وإذا ما تحدثت بهذا  
لبالك الفندق أو الشرطة أو أي شخص آخر فسيفقد  
ابنك. وقد أعطيناك هذه الرسالة لتفكرني، وسوف  
نعطيك - غداً - تعليمات حول طريقة دفع المبلغ، فإن  
لم تطيعها فسوف يتم قلع أذني ابنك الشاب المحترم  
وإرسالها إليك، وإذا لم تطيعها في اليوم التالي فسوف  
يقتل. ونكرر ثانية بأن هذا ليس تهديداً فارغاً. تلتفكري  
ملياً، ولكن الأهم أن تبقى ساكنة.

ديستريوس ذو الحجاب الأسود

لم يكن ثمة داع لوصف حالة المرأة المسكينة؛ فرغم الصياغة  
الوقحة الطفولية لذلك الطلب إلا أنه أشعرها بجور رهيب من الخطر.  
ويلارد، ابنها المذلل، حبسها الرقيق الجاد.

ستذهب فوراً إلى الشرطة، وسوف تثير المنطقة كلها. ولكن  
إن هي فعلت ذلك قريباً... ارتفعت. ثم نهضت وخرجت من غرفتها  
بحثاً عن صاحب الفندق... الشخص الوحيد في الفندق الذي يستطيع  
تكلم الإنكليزية.

قالت له: إن الوقت يتأخره. واني لم يعد بعد.

ابسم لها الرجل الضئيل المرح وقال: صحيح. لقد صرف السيد البغال وقال إنه يرغب بالعودة ماشياً. كان ينبغي أن يكون هنا في هذا الوقت. ولكن لا شك أنه تلكأ قليلاً في الطريق.

ثم ابسم لها بعادة فقالت: قل لي، هل لديكم أي أشخاص سيئين في المنطقة؟

ثم تكن عبارة «أشخاص سيئين» داخلة في قاموس إنكليزية الرجل الضئيل، وقد شرحت له السيدة ببرز بشكل أوضح، فتلقت إجابة أكد فيها أن كل من هم في ديلفي أناس طيبون جداً ومهذبون جداً... ويحترمون الأجانب أيما احترام.

أوتعدت الكلمات على شفيتها، ولكنها أجبرتها على التراجع. لقد ربط ذلك التهديد الخبيث لسانها. قد يكون هذا كله مجرد خداع، ولكن ماذا لو لم يكن كذلك؟ لقد حُطفت طفل قصادقة لها في أميركا. وعندما أبلغت الشرطة قاموا بقتل الصبي، إن مثل هذه الأمور تحدث.

وكاد يجن جنونها. ماذا تفعل؟ عشرة آلاف جنيه... كم كان ذلك؟ ما بين أربعين وخمسين ألف دولار! وماذا كان هذا يعني بالنسبة لها مقارنة بسلامة وبلاد؟ ولكن كيف تحصل على مثل هذا المبلغ؟ لقد كانت أمامها صعوبات لا نهاية لها الآن في مسألة المال والسحب النقدي، وكان كل ما تحمله معها لا يعدو رسالة اعتماد يوضع مئات من الجنيهات.

هل سيقيم قطع الطريق ذلك؟ هل سيكونون عقلانيين؟ هل سينظرون؟

وعندما جاءت خادمتها خادمتها صرقتها بشدة. ثم قرع جرس العشاء، وقد نزلت المسكينة إلى غرفة الطعام حيث أكلت بشكل ألي. ولم تَر أحدًا، ولعل الغرفة كانت فارغة تماماً بالنسبة لها.

ومع وصول الفاكهة وُضعت أمامها رسالة. وقد تقبضت لرؤيتها، ولكن الخط كان مختلفاً تماماً عن ذلك الخط الذي عيّنت رؤيته... فقد كان خطأً أيضاً كخط الموظفين الإنكليز. لمحتها دون اهتمام كبير، ولكنها وجدت محتوياتها آسرة للاهتمام:

في ديلفي لم يعد بإمكانك استشارة إلهة الإغريق، ولكن بإمكانك استشارة السيد باركر باين.

وتحت ذلك كانت قصاصة لإعلان أوفقت مع الورقة بدبوس، وفي أسفل الورقة أُلصقت صورة، وكانت صورة صديقها الأصالح الذي قضت معه فترة الصباح.

قراءت السيدة يترز قصاصة الضحيفة مرتين: «هل أنت سعيد؟ (إن لم تكن كذلك فامتشو السيد باركر باين».

سعيد؟ سعيد؟ هل صبي لأمري أن كان يمثل هذه الضحيفة؟ كانت تلك كنعمة هبطت عليها من السماء.

وبسرعة كتبت على ورقة صدف أن كانت في حقيقة يدعها:

أرجوك أن تساعدني، هل لك أن تقابلني خارج الفندق  
بعد عشر دقائق؟

وضعت الورقة في مغلف وطلبت من النادل أن يأخذها إلى  
السيد الجالس على الطاولة قرب النافذة، وبعد عشر دقائق خرجت  
السيدة بيترز من الفندق متباعدة بمعطف فرو بسبب برودة الليل، ثم  
مشت ببطء في الطريق نحو الأتار، وكان السيد باركر يابن ينتظرها.  
قالت بالأنفاس متقطعة: إنه لمن رحمة الله أنك موجود هنا. ولكن كيف  
خسنت المشكلة الفظيعة التي وقعت فيها؟ هذا ما أريد معرفته.

- إنها سحنة الإنسان يا سيدتي العزيزة. لقد عرفت فوراً أن  
شيئاً ما قد حدث، أما ما هو هذا الشيء فهذا ما انتظر منك أن  
تخبريني به.

وأخرج منها الموضوع متدفقاً كالسيل، ثم أعطته الرسالة فقرأها  
على ضوء مصباحه اليدوي، ثم قال: هممم... وثيقة مهمة. وثيقة  
مهمة جداً. إن فيها نقاشاً معينة...

ولكن السيدة بيترز لم تكن في مزاج يسمح لها بالإصغاء إلى  
نقاش حول أهم ما تضمنته الرسالة من نقاط، فالأهم هو ما الذي  
سفعله لويلارد! لابنها العزيز الرقيق وويلارد.

مضى السيد باركر يابن يهدئها، وقد رسم صورة جميلة لحياة  
قطاع الطرق اليونانيين قائلاً إنهم سيكبرون في غاية الحرص على  
وهبتهم، إذ أنه يشكل منهم ذهب بالنسبة لهم. وشيئاً فشيئاً استطاع  
تهديتها.

ناخث السيدة بيترز قائلة: ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟

- انتظري حتى الغد. هذا إلا إن كنت تريدني الذهاب إلى  
الشرطة.

قاطعت السيدة بيترز بضجة رغب قائلة إن من شأن ذلك أن  
يؤدي إلى مقتل ابنتها العزيز وويلارد وضياعه! ثم سألت: أنظن أنني  
سأستعيد وويلارد سالمًا معافي؟

- لا شك في ذلك، السؤال الوحيد هو ما إذا كان يوسعك  
استعادته دون دفع عشرة آلاف جنيه.

- كل ما أريده هو ابني.

- نعم، نعم، من الذي أحضر الرسالة بالمناصفة؟

- رجل لا يعرفه صاحب الفندق... رجل غريب.

- آه! هذا يقدم لنا فرصة جيدة؛ فالرجل الذي يحضر الرسالة  
قدماً يمكن أن يلاحظ، حسناً، ماذا سيخبرين الناس في الفندق عن  
غياب ابنك؟

- لم أذكر في ذلك.

فكر السيد يابن قليلاً وقال: إنني أسألك... أنظن أن يوسعك  
أن تعبري عن دعوك وقلقك على غيابك بشكل طبيعي تماماً، ويمكن  
إخراج فريق بحث للبحث عنه.

- ألا تظن أن أولئك المجرمين قد...



ثم غصت الكلمات في حلقها فقال: لن يحصل مكرور... طالما لم يجر ذكر للاختلاف أو الشدية فإنهم لن يتصرفوا بشكل دموي. وأنت لا يمكنك -في نهاية المطاف- أن تتعاملني مع اختفاء ابنك دون ضجة على الإطلاق.

- هل يمكنني إكمال الأمر لك؟

- هذا هو عملي.

ثم انطلقا غالدين نحو الفندق ثانية، ولكنهما كادا أن يضطهما بحجم رجل قوي البنية.

سأل السيد باركر باين بحدة: من هذا؟

- أظنه كان السيد تومبس.

قال السيد باركر باين بتأمل: آه! تومبس، أليس كذلك؟

تومبس: هم!



شعرت السيدة بيرز، وهي تأوي إلى فراشها، بأن تكرة السيد باين حول الرسالة كانت جيدة؛ لذلك الذي أحضرها لا بد أن له علاقة بالمختطفين. وقد شعرت ببعض الغراء ونامت بأسرع مما كانت تتصور.

وعندما كانت تلبس في صباح اليوم التالي لاحظت -فجأة- وجود شيء على أرض العرفة قرب النافذة، ولمعه، ودق قلبها بقوة.

تس السخيف الفذ الرخيص، ونفس الأحرف الكريية. فتحتة وقرأت:

صباح الخير يا سيدي. هل ذكرت؟ ابنك يخبر ولم يتعرض لأذى... حتى الآن. ولكن ينبغي أن نحصل على المال. ربما لا يكون من السهل عليك الحصول على هذا المبلغ، ولكن قيل لنا إن لديك عقداً من الألماس، من حجر فاخر جداً. وسوف نكتفي بذلك بـك المال.

اسمعي، هذا ما يجب أن تفعلي. ينبغي عليك (أو على أي شخص ترسلينه) أخذ العقد وإحضاره إلى الشوارع، ومن هناك تضعدين إلى حيث توجد شجرة قرب صخرة كبيرة، وسترايك العين لتأكد من قدوم شخص واحد فقط، وعندها ستتم مبادلة ابنك بالعقد. وينبغي أن يكون الوقت غداً في السادسة صباحاً، بعد طلوع الشمس تماماً. وإذا ما أخبرت الشرطة عنا فيما بعد فسنطلق النار على ابنك وأنتما ذاهبان بالسيارة إلى المحطة. هذه آخر كلمة لنا يا سيدي. إن لم يصلنا العقد صباح غد فترسل لك أذني ابنك، وفي اليوم التالي ميسون.

مع تحياتي يا سيدي.

ديفيد بروس

سارعت السيدة بيرز لروية السيد باركر باين الذي قرأ الرسالة بتمعن، ثم سألتها: أهذا صحيح؟ أعني عقد الألماس؟

- بالتأكيد! لقد دفع زوجي مئة ألف دولار ثمناً له.

تتم السيد باين: يا للصوت المطلقين!

- ماذا قلت؟

- كنت أفكر فقط ببعض جوانب القضية.

- يا الهي يا سيد باين! لم يعد لدينا وقت للجواب. يجب أن أستمع ابني.

- ولكنك امرأة شجاعة يا سيدة بيترز. هل بعجيك التخلي عن ألباسك بختن لمجموعة من الأثفيا؟

- طبعاً لا، إن كنت تضع الأمر بهذه الصيغة...!

ثم تصارعت المرأة الشجاعة داخل السيدة بيترز مع الأم، فقالت: لشد ما أود الانتقام منهم... أولئك الوحوش الجبناء! بمجرد أن أستمع ابني - يا سيد باين - فإنني سأثير عليهم شرطة المنطقة كلها، وإذا تطلب الأمر فسوف أستأجر سيارة مصفحة لتأخذني أنا وويلارد إلى محطة القطار!

كان وجهها قد احمرّ وبدا فيه التحدي، فقال السيد باركر باين: نعم، ولكن يا سيدتي العزيزة، أخشى أنهم سيكونون مستعدين لهذا التصرف من طرفك. إنهم يعرفون أنك فور استردادك لويلارد لن يمتنع شيء عن إثارة شرطة المنطقة كلها عليهم، مما يدفع المرأة للاعتقاد بأنهم سيكونون مستعدين لهذا الاحتمال.

- حسناً، ماذا تريد أن تفعل؟

ابتسم السيد باركر باين وقال: أريد تجربة خطة صغيرة.

ثم نظر حوله إلى غرفة الطعام، فوجدها فارغة وقد أُغلق بابها من كلا الطرفين، فقال: سيدة بيترز، يوجد رجل أعرفه في أثينا... جواهري، وهو متخصص بالجواهر الزائفة ذات النوعية العالية.

ثم انخفض صوته ليصبح هساً وهو يقول: سأنتقل به هاتفاً، وبوسعك أن يصل إلى هنا بعد ظهر اليوم ومنه مجموعة جيدة من أحجار الألماس الزائفة.

- ماذا تعني؟

- سيقوم بتزج الألماسات الحقيقية من العقد ووضع الألماسات زائفة مكانها.

حدقت السيدة بيترز إليه وقالت: هذا أذكى شيء سمعته في حياتي!

- هس! لا ترفعي صوتك. هل لك أن تفعلني شيئاً من أجلي؟

- بالتأكيد.

- تأكدي من عدم اقتراب أحد بحيث يسمعي وأنا أتحدث في الهاتف.

أوامت السيدة بيترز برأسها موافقة. وكان الهاتف في مكتب المدير، وقد قام المدير بإفراغه عن طيب خاطر بعد أن ساعد السيد

باين على الحصول على الرقم. وعندما خرج وجد السيدة بيترز في الخارج، فقالت: إنني أنتظر السيد باركر باين، فنحن خارجان للسفر قليلاً.

- آه، نعم يا سيدتي.

كان السيد تومبس أيضاً في الصلاة، وقد تقدم نحوهما وشاغل المدير بحديث قاتلاً: هل توجد أي فيلا يمكن استئجارها في ديلفي؟

- توجد واحدة لسيدة أميركية. إنها في الطرف الآخر من القرية، وهي مغلقة الآن. وتوجد واحدة لرجل إنكليزي، وهي على الحافة الصخرية التي نشرف على القرية.

تدخلت السيدة بيترز قائلة بصوت عال: لقد أحببت المكان كثيراً. وأنت يا سيد تومبس؟ لا بد أنك أحببت أيضاً طالما أنك تبحث عن فيلا. أهى زيارتك الأولى إلى هنا؟

ثم مضت في حديثها بإصرار إلى أن خرج السيد باين من المكتب، وقد ابتسم لها ابتسامة باهتة لا تكاد تُرى.

مشى السيد تومبس ببطء نازلاً الدرج وخرج إلى الطريق. وقد مضى كل شيء على ما يرام؛ فقد وصل الجواهري قبل العشاء تماماً في سيارة مليئة بالسواح الآخرين، ثم أخذت السيدة بيترز عقدها إلى غرفته. وقد ابتسم بإعجاب حين رآه وتحدث بالفرنسية فقال:

"أطمئني يا سيدتي، نلتجئ في ذلك". ثم أخرج بعض الأدوات من حقيبته الصغيرة وبدأ عمله.

وفي الساعة الحادية عشرة قرع السيد باركر باين باب السيدة بيترز وقال لها: "تفضلتي"، ثم أعطاهما الكيس الصغير المصنوع من الشامواه. نظرت داخل الكيس وقالت: الماسي!

- هس! ها هو العقد وفيه الألماسات المزيفة بدل الحقيقية. أليس رائعاً جداً؟

- ممتاز تماماً.

- إن أريستويولس فنان.

- ألا تظن أنهم سيرتابون في الأمر؟

- كيف سيرتابون؟ إنهم يعرفون أن العقد معك، وقد سلمته لهم، فكيف يرتابون في الحيلة؟

كررت السيدة بيترز قائلة وهي تعيد العقد له: حسناً، أظن أن ذلك رائع. هل لك أن تأخذه لهم؟ أم أنني أطلب الكثير؟

- سأخذه بالتأكيد. أعطيني الرسالة فقط لكي تكون تعليماتهم واضحة بالنسبة لي. شكراً. والأذن، طابت ليلتك، وتشجعي، سيكون ابتك معك غداً على الإفطار.

- آه، يا ليت ذلك يكون!

- لا تقلقي، دعي الأمر كله لي.

لم تقض السيدة بيترز ليلة مريحة، وعندما نامت رأَتْ أحلاماً فظيعة... أحلاماً عن مجرمين مسلحين في سيارات مصفحة يطلقون زخات من الرصاص على ويلارد وهو يركض نازلاً الجبل. وقد حمدت الله على استيقاظها حين بزغ - أخيراً - أول خيط من خيوط الفجر. نهضت وارتدت ملابسها، ثم جلست... تنتظر.

\* \* \*

في الساعة السابعة قرع باب غرفتها، وكانت حنجرتها جافة بحيث لم تكذ تستطيع الكلام. قالت: تقضل.

فُتح الباب ودخل السيد تومبسن فحدقت إليه وقد خانتها الكلمات، وأحست بنذر الشر. ومع ذلك فقد كان صوته - عندما تكلم - طبيعياً وواقعياً تماماً، كان صوتاً غنياً هادئاً: صباح الخير يا سيدة بيترز.

- كيف تجرؤ أبها السيد؟ كيف تجرؤ...

- يجب أن تعذرني على زيارتي غير التقليدية في وقت مبكر كهذا، ولكن لدي مسألة عمل يجب تسويتها.

انحنبت السيدة بيترز للأمام بعينين فيهما الاتهام وقالت: أنت إذن من خطف ابني! لم تكونوا قطعاً طرق أبداً.

- لم تكونوا قطعاً طرق بالتأكيد، وأحسب أن هذا الجزء من

القصة قد تم بشكل غير مقنع أبداً. كان يفترض للمسة الفنية، هذا أقل ما يمكن أن يقال عنه.

ثم تكن السيدة بيترز لتفكر إلا بفكرة واحدة في هذا الوقت. قالت وعينها كعيني ثمرة غاضبة: ابن ابني؟

- إنه خلف هذا الباب تماماً في الحقيقة.

- ويلارد!

فُتح الباب بقوة واندفع ويلارد النحيل ذو النظارات وقد طالت لحيته إلى حضن أمه، ووقف السيد تومبسن ينظر بعطف.

قالت السيدة بيترز وقد استعادت نفسها فجأة والفتت إليه: وورغم ذلك فإني سألاحقك قانونياً على ذلك. نعم، سأفعل.

قال ويلارد: لقد فهمت الأمر خطأ يا أمي؟ فقد أنقذني هذا الرجل.

- أين كنت؟

- في بيت على الحافة الصخرية، على بعد ميل من هنا فقط.

قال السيد تومبسن: "واسمحي لي - يا سيدة بيترز - بأن أعيد لك جواهرك". ثم سلمها صرة صغيرة ملفوفة بمنديل ورقي، وقد سقط المنديل ليظهر عقد الألماس.

قال السيد تومبسن مهتماً: ولا حاجة بك لإخفاء مجموعة الأحجار النافذة تلك يا سيدة بيترز؛ فالأحجار الحقيقية ما تزال في



العقد، وكيس الشامواه لا يحتوي إلا على مجموعة من الأحجار الزائفة المُقلَّدة. وكما قال صديقك فإن أريستوبولس عبثي تماماً.

قالت السيدة بيرتز بصوت ضعيف: إنني لا أفهم حرفاً واحداً من هذا كله.

قال السيد توميسن: يجب أن نظري إلى الأمر من وجهة نظري أنا. لقد أثار انتباهي استخدام اسم معين، وقد سمحتُ لنفسِي بأن أتبعك أنت وصديقك السمين خارج الفندق وأصغي (وأعترفُ بذلك صراحة) إلى حديثكما المثير جداً. وقد وجدتُ هذا الحديث موحياً بالكثير من الأمور، موحياً إلى الحد الذي جعلني أفضي بالأمر إلى مدير الفندق. وقد سجل الرقم الذي اتصل به صاحبك، كما جعل خادماً يصغي إلى حديثكما في غرفة الطعام هذا الصباح. وقد أصبحت الخطة واضحة تماماً؛ فقد كتبتُ ضحية لاثنين من لصوص الجواهر الأذكى. وقد كانا يعرفان كل شيء عن عقدك الثمين، وقد لحقاً بك إلى هنا، فاخطفنا ابنك وكتبنا تلك الرسالة المضحكة قليلاً حول «قطاع الطرق»، ثم رتبوا الأمر بحيث نقتين بالغفل المدير للعملية. وبعد ذلك غدا كل شيء يسبغاً؛ فقد سلمك الرجل الطيب كيساً من الجواهر الزائفة... وهرب مع صاحبه. وصباح اليوم، عندما لا يظهر ابنك، سنفضيبن وسيعلمك غياب صديقك نقتين أنه قد اختطف هو الآخر. وأظن أنهم قد رتبوا الأمر بحيث يذهب أحدُنا إلى الفيلا غداً. ومن شأن ذلك الشخص أن يكشف وجود ابنك، وما أن تبديني بمناقشة الأمر مع ابنك حتى تبدأ خيوط المؤامرة تتبين لك. ولكن -في ذلك الحين- سيكون الأشيء قد كسبوا من الوقت ما يمكنهم من الهروب.

- والآن؟

- آه، إنهم الآن في أيدي أمينة وفي عهدة أعتال ثقيلة، لقد دبرت أمر ذلك.

قالت السيدة بيرتز بغضب وهي تتذكر ثقتها المطلقة بالرجل: يا له من وعد! يا له من وعد متعلق خبيث!

وافقها السيد توميسن قائلاً: نعم؛ لم يكن رجلاً لطيفاً أبداً.

قال ويلارد بإعجاب: إن ما يحيرني هو كيفية معرفتك بالأمر. إنه ذكاء بالغ منك.

هز الآخر رأسه مُعاضباً وقال: أبداً، أبداً؛ فعندما تكون مسافراً متخفياً هوبتك وتسمع اسمك يُستخدم من قبل غيرك...

حذفت السيدة بيرتز إليه وقالت بسرعة: من أنت؟

أوضح الرجل قائلاً: أنا السيد باركر بابن.

\* \* \*

لمزيد من الروايات تابعونا علي متدي ليلاس

www.liilas.com/vb3

http://www.liilas.com/vb3/showthread.php?t=16090